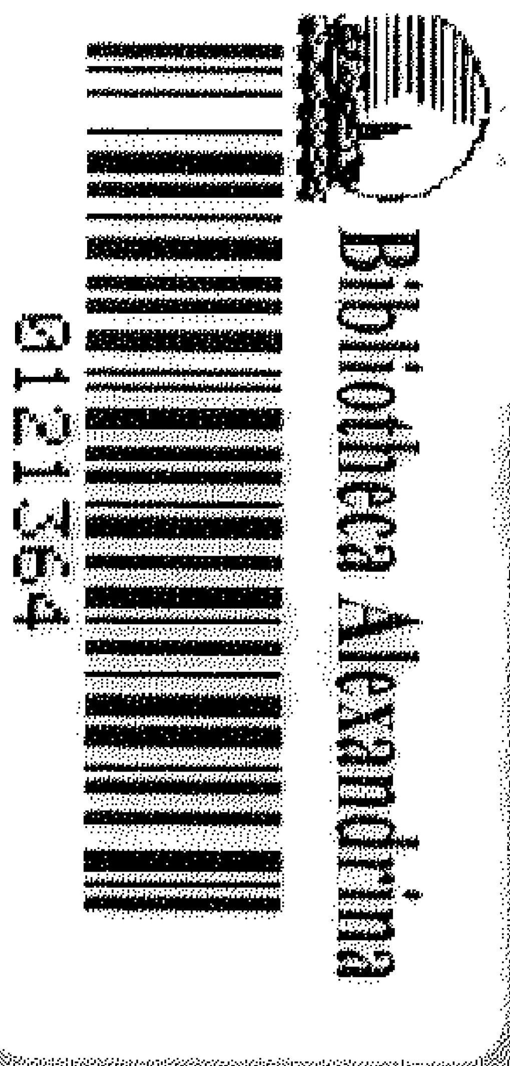
التاج الإيراني

أسيمة جانو



9

مكتبة مدبولي

التـــاج
الايـراني

أسيمة جانو

التاج الايراني

مكتبة مدبولي

الطبعة الأولى
١٩٨٧

الناشر
مكتبة مدبولي

﴿ المقدمة ﴾

أما كيف تصدع التاج الايرانى حتى وقع ، فيرويه شهود عيان ، منهم ، شاهدة عاشت فى كنف الاسرة المالكة فترة طويلة وعملت مع (الامبراطورة) فرح ديبا لمدة أثنتى عشر عاما ، وآخر ما عملت ، كان مركزها كرئيسة للمكتب الخارجى الخاص (بجلالة) الامبراطورة . شاهدت الكثير عن قريب ، وروت تفاصيل دقيقة لايعرفها إلا المقربون .

ويروى حكاية التصدع أيضا ، مراسلون وصحفيون من أنحاء العالم ، ويعلق عليها مفكرون وسياسيون وعلماء إجتماع .. وتنقل الانباء أولا بأول الوكالات التى رصدت كل حركة .. ثم شاهد من الرهائن الامريكيين الذين إحتجزهم الطلبة الثوار الايرانيون لمدة ٤٤٤ يوما كاملة فى السفارة الامريكية فى إيران .

وبذلك يمكن أن يكون الكتاب وثيقة تاريخية دونها شهود عيان ، ومراسلون ، ليبين كيف كان حال من حملوا التاج ، ثم كيف تصدع التاج ، ثم كيف هوى .. ثم ما حدث بعد أن هوى ..

النهاية :

هى حكاية كل إنسان .. كان يوما ما على كرسى فوقع هو ، أو وقع الكرسى .. أو وقع هو والكرسى معا وأبتدأت السكاكين تتغرز فى بقاياه ، نزف ما نزف من الدماء .. فهذا لم يعد يهم أحدا ..

هى حكاية التاج العظيم الذى وقع دون أن يستطيع أحد أن يلتقطه ثانية بعد أن وقع ، فقد تصدع ، والشروخ التى لحقت به كانت من العمق بحيث نفذت الى كرسى العرش الطاووسى فصدعته هو أيضا ، فوقع .

ولعلها من أغرب الاحداث فى التاريخ أن يسقط عرش لامبراطورية قوية فى بلد عمرها أكثر من ٢٥٠٠ سنة ، يحكمها ديكتاتور ويسند هذا الديكتاتور جيش معد بأحدث الإسلحة المتطورة ، ويحميه ٥٠ ألفا من البوليس السرى الذى دربته أعنف وأقسى أجهزة المخابرات فى العالم . والذى قال عنه شاه إيران : إنهم عيونى وآذانى !!

ورغم ذلك فقد أستطاع رجال الدين .. (لاول مرة فى التاريخ الحديث) أن يسقطوا حاكما قويا من على عرشه ويجبرونه على التنازل ، رغم أنه يدين بدينهم ، فقد عرف التاريخ على مداه حروبا أسقطت عروشا ، والدين الإسلامى منذ فجره وهو يسقط العروش الكافرة ويفتح البلدان بقوة الحق قبل السيف .

ولهذا وحده كانت ثورة إيران حادثا أهتز العالم له كله من أقصاه الى أقصاه . ولذلك أيضا قال د . ويليام جريفييت ، الأستاذ بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا : (إن حركة الاحياء الاسلامى تعتبر من أهم التطورات الاساسية الدينية والسياسية فى العصر الحديث) .

وهكذا إبتدأ العالم يحسب للاسلام ألف حساب .

● البهلوى ●

لقد خلع الشاه على نفسه الالقاب دون خوف . أخذه جنون العظمة فنسى نفسه تماما ، ونسى أنه ليس ملك الملوك ، وأنه ليس ، حتى الملك ! .

فملك الملوك هو الله .. وهو ملك الأملاك ، وهو الشاهنشاه ، ففى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أخنع اسم عند الله ، رجل تسمى بملك الملوك) .ويقول سفيان ، وتفسيره : شاهان شاه . وقد أخرجه الاسماعيلى عن رواية محمد بن الصباح عن سفيان ، وزاد عليه : (مثل الصين وشاهان شاه) . ويمكن أن تنّون فنقول : شاهن شاه أو شاهنشاه .

وجاء فى رواية الترمذى ، إضافة : (مثل الشاهان شاه) وهو المشهور فى روايات هذا الحديث صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم



كيف صار للبهلوية كل هذا المجد وهذا السلطان وكل هذه الابهة غير العادية ؟ وكل سلالة البهلوية الملكية التى أعتلت العرش ما هى الا شخصان فقط : البهلوى الكبير والبهلوى الصغير .

والبهلوى الكبير لم يكن يلقب بالبهلوى .. كما يمكن أن يتبادر إلى الذهن ، كلقب من ألقاب العائلات الكبيرة التى تورث الملكية عهدا بعد عهد وجيلا بعد جيل .

فالبهلوى الكبير لم يكن إمبراطورا ولا ابن إمبراطور ولاحتى يحلم بأن يكون من حرس الامبراطورية .

ففارس القديمة التى تسمى اليوم دولة إيران ظلت حتى أواخر القرن الماضى تحت حكم سلالة تسمى الكاجار أو القاجار وبعد أن إستولى قياصرة الروس على القوقاز وأقتطع البريطانيون الخليج الفارسي (الخليج العربى) وكونت القبائل الافغانية دولة أفغانستان ، تقلصت فارس حتى أصبحت بحدود إيران الحالية ..

وكان الاباطرة يحكمون نظريا .. فلم يكن لهم من السيطرة إلا على طهران العاصمة وضواحيها ، أما باقى البلاد فكانت فى حالة تمرد سافر دائم ، وعصابات قطاع الطرق منتشرة فى كل مكان .. كل ذلك فى الوقت الذى كان الروس فيه يتنافسون مع بيريطانيا والالمان والاتراك على الأجهاز على بقية دولة فارس .

ويقول المؤلف الفرنسي(جيراردى فيير)فى كتابه : (الشاه) أن البلاد كانت فى حالة إفلاس تام بعد إغتيال ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ ، وكانت تلك نهاية طبيعية لملك أسرف فى اللهو إلى حد السفه ، ويكفى أن نعرف أن نفقات رحلاته الترفيهية إلى الدول الاوروبية كبدت الدولة الايرانية رهن المناجم والطرق الحديدية وخدمات التلغراف والغابات والاراضى البور بالإضافة الى كل الانشاءات العامة وعائد الجمارك لمدة ٢٥ عاما وإدارة البنوك إلى البريطانيين ، فضلا عن منح الروس أحتكار تجارة التبغ والافيون التى كانت تدر أرباحا طائلة .

وجاء بعد ناصر الدين ، إبنه مظفر الدين شاه ، وفعل ما فعل أبوه قبله ، مما أدى إلى منح الروس مزيدا من الامتيازات والتنازلات ، وكان ذلك دافعا للبريطانيين لاحراز مزيدا من المكاسب فى إيران ، وإمتياز التنقيب عن البترول فى جميع أنحاء البلاد مقابل مئتى ألف من الفرنكات الذهبية .

فى عام ١٩٠٦ اضطر مظفر الدين شاه إلى قبول مبدأ الحكم الدستورى ، هو الدستور الذى اشترك فى وضعه الزعماء الدينيون وسارت عليه البلاد حتى الثورة الاسلامية ــ ولو بشكل نظرى ــ وبعد إغتيال مظفر الدين .. جاء محمد على شاه ..

ويبدو أنه من الضعف إلى حد أن أنتهز البريطانيون والروس والاتراك الفرصة ، لتقسيم إيران الى مناطق ثلاثة ، ليسيطر كل منهم على واحدة منها .

فلم يجد الشاه بدا من الالتجاء إلى منطقة النفوذ الروسية مخلفا وراءه على العرش إبنه سلطان أحمد ..

وسلطان أحمد هذا كان يبلغ من العمر الثانية عشرة فقط !! وكان أن بدت الفرصة سانحة لمن يريد الاستيلاء على العرش ..

ولاح شخص قوقازى فى الافق .. متين البنية .. شاهق الطول .. هو : رضا ، الذى سمى فيما بعد برضا خان . ثم برضا بهلوى .

فكيف حدث هذا ، وقد كان فى صغره وهو فى الخامسة من عمره .. مجرد (راعى حمير) ؟

لايعرف أحد أين ولد ، لكن المؤكد أن أباه توفى وهو صغير جداً ، فهاجرت معه الام إلى طهران سيرا على الاقدام .. ثم عمل راعياً للحمير ، بعد ذلك .

فى سن الثانية عشرة أراد التطوع فى الجيش فرفض لصغر سنه ، لكنه تعلم القراءة والكتابة على مدى عامين ثم إلتحق بالجيش ، وبعدها إنضم إلى حرس السفارات الاجنبية .. ولايزال أرشيف السفارة الألمانية فى طهران يحتفظ بتصريحات مرور الزائرين ، وعليها توقيع رضا بهلوى .. أيام كان مكلفا بحراسة البوابة .

وحين كانت تنشب الاضطرابات الاهلية كان رضا يشترك فيها ، وأثبت قسوته وجديته فى العمل ، وعدم مبالاته بالاخطار ، مما دعا إلى ترقيته من (نفر تحت السلاح) إلى ضابط برتبة ملازم ، ومنذ ذلك اليوم أصبح لقبه الرسمى هو رضا خان ، وكلمة (خان) بالفارسية تعنى (الرئيس) أو (الملك) .

وفى الثلاثين من عمره رقى إلى رتبة نقيب ، وأستمع بالصدفة إلى حديث أحد القادة المتمردين وهو يموت ، عن الحرية والكفاح ضد التدخل الاجنبى .

فكانت الحادثة سببا فى أن يقرأ رضا خان الصحف والكتب المتخصصة فى الاقتصاد والسياسة والتاريخ ، وأبتدأ يتصل سراً بالثوار الايرانيين المطالبين بالدستور ، كما بدأ يتعرف على الدور المشبوه الذى كان يلعبه الضباط الروس فى صفوف الجيش الايرانى . وأدرك مع الوقت إن الجهل وفساد النظام السياسى ، من أكبر أسباب الفساد ، وكان يسمع عن كمال أتاتورك ، قائد الثورة التركية ، فاتخذه مثله الاعلى ، رغم عداوته للاتراك .

كانت إيران فى الحرب العالمية الاولى حيادية ، وعقدة روسيا بعد سقوط عرش القياصرة معاهدة صداقة خطيرة مع إيران كما فعلت مع أفغانستان ، أن تمد لايران يد العون العسكرى لوحدث هجوم عليها .

لكن الانجليز كانوا قد أعدوا شابا نصف متعلم ، يتيما ، جافا ، قاسيا ، صارما ، ليجلس على العرش ، وكان أن قفز على العرش وأستولى عليه .. وكان هو : رضا خان .

ففى يوم ٢٩ أكتوبر من عام ١٩٣٤ إجتمع البرلمان الايرانى ليصدق على مرسوم يخلع آخر ملوك أسرة كاجار التركية الاصل ، الذى رفض العودة إلى إيران ، وتفويض السلطة الكاملة إلى رضا خان ، كنائب الملك .

وفى شهر ديسمبر من ذات العام دعا نائب الملك إلى أنتخابات عامة أسفرت عن برلمان جديد ، وقد إجتمع هذا البرلمان يوم ١٢ ديسمبر ليصدق على مرسوم بتولية نائب الملك رضا خان عرش الاكاسير بأسم (الشاهنشاه رضا بهلوى) .

وكان هذا كافيا لاثارة رجال الدين المسلمين لاختيار الملك لقبا من العهود القديمة يعود إلى ما قبل الاسلام بقرون طويلة . لكن الشاه رضا خان وأبنه من بعده محمد رضا بهلوى ، لم يكونا ليقيما كبير وزن لما يتعلق بهذا الأمر ، فالتعاطف مفقود مع رجال الدين المسلمين ، أصلا .

حاول الملك ، الذى كان جنديا ، إجراء بعض الاصلاحات ففتح المدارس ، حيث كان أكثر من ٩٠٪ من الشعب الايرانى أميا ، لايعرف القراءة ولا الكتابة ، وفتح الشوارع ومد السكك الحديدية ، وجعل من البدو شعبا مستقرا .

وكان أن طلب الانجليز إمتيازات وأسعة فى التنقيب عن البترول فى طول البلاد وعرضها ، وغطوا البلاد بشبكة ضخمة من الجاسوسية المدربة .

حاول الملك رضا خان إعلان حياد بلاده أثناء قيام الحرب العالمية الثانية ولكنه حياد مفضوح الميل ، فقد كان صديقا للالمان . فهمُ الذين يرأسُون الجامعات والمعهد الزراعى والاكاديمية البيطرية ، ويكادون يسيطرون تماما بخبرتهم التكنيكية والعلمية .

وحين أراد الملك التخلص من سلطان الانجليز ، إتفقت إنجلترا وروسيا على أحتلال البلاد . وأوغلت القوات الالمانية داخلة روسيا ، فكان على الانجليز أن يقدموا معاناتهم ، اما عن الطريق الشمالى أو عن طريق إيران . وكان الشاه يعلم أيضا تماما أنه لن يستطيع أن يحمى بلاده ــ منفرداً ــ من الغزو .. لكنه بالرغم ذلك رفض طلب سفير روسيا وإنجلترا بطرد الألمان من بلاده ، وهنا أبتدأت القوتان العمل .

فقد عبرت القوات الروسية الحدود الفارسية من الشمال ، وعبرت القوات الانجلزية حدود العراق إلى إيران ، ولم يعد الشاه قادرا على المقاومة ، ولم يعد كافيا أن يضع الخط الحديدى الواصل بين الخليج والبحر تحت تصرف الانجليز الكامل .

فقد إنقسمت إيران إلى مناطق ثلاثة فى ٣٠ أغسطس ، لم يكن يخص إيران منها إلا شريط ضيق يمر بطهران التى لم تكن تمتلك جيشا قويا ولا أسلحة حديثة مما ورط

إيران والشاه فى أزمة نبهت ولى العهد بعد ذلك محمد رضا بهلوى فصمم أن يجعلها سابع أقوى دولة مسلحة حديثة ..

بلغت الازمة أشدها فى ١٤ سبتمبر حين طلب الانجليز والروس تنازل الشاه عن العرش ، بعد أن طلب منه التنازل عن المطالبة بالتعويض عن الاضرار التى أصابت إيران نتيجة الحرب وكذلك طلب منه إعلان الحرب على ألمانيا . ورفض الشاه ..

أما أن البهلوى الكبير كان شخصية فذة ، عارمة السيطرة ، قوية النفوذ ، فهذا لاشك فيه ..

ويحكى عنه أساطير عديدة ، بعضها ، لايصدق لشدة غرابته : يقال ، أن أحد وزرائه عارضة يوما ببضع كلمات ، فما كان منه إلا أمسكه من ياقته وقذف به من النافذة ..!

ويقال أن (جوكى) (أحد الفرسان) لم يكسب السباق الذى كان يتوقعه له الشاه فنزعه من على فرسة وداسه بأقدامه ، ويقال أيضا أنه كان يشرف بنفسه على المعسكرات والثكنات ويكسر زجاج النوافذ التى كان يرى أنها لم تكن نظيفة كما يجب ..

ويحكى أنه ذهب فى أحد الايام إلى وزارة المالية ووقف هناك أمام البوابة الرئيسية وحين أعلن المرافقون تمام الساعة الثامنة أمر باغلاق كل الابواب ومدخل المبنى الوزارى . وحين أتى الوزير متأخراً عشر دقائق صاح فيه الشاه مزمجراً ، أنه قد أقاله وأن عليه إلا يدعه يراه ثانية ..!

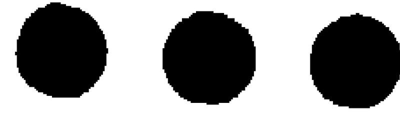
وتحكى فرح ديبا أنه كان يأمر المهندسين بالمبيت تحت الجسور التى يبنونها ليتأكد من سلامتها ..!

وكان الشاه قد توج نفسه إمبراطوراً على إيران بعد أن أستولى على الحكم وأمر رجاله بتغيير زيهم الفارسى إلى الزى الاوروبى ، كما أنه ظهر فى عام ١٩٢٧ فى حفل عام وظهر معه نساؤه الثلاثة ، وكن جميعا يرتدين البلوزات والجونلات ويضعن القبعات على رؤوسهن ، والتقطت لهن صور وزعت فى اليوم التالى لتنشر فى الصحف مع أمر من الامبراطور :

(كل نساء إيران يجب أن يرتدين هذا الزى الأوروبى) ..

وتلقى البوليس الأمر بأن ينزع الحجاب من على وجوه الأيرانيات وذهل رجال الدين . ورغم أن رجال الدين كادوا يذعنون للأمر إلا ان واحدا منهم أعلن رفضه ودعا

إلى حرب الشاه ورفض كل أوامره ، وحين سمع الشاه بهذا أشتد **غضبه وسافر إلى قم** حيث التقى بهذا الإمام ، وقيل إنه أخذ يضربه بعصاه حتى كسرت .. **!! وكان هو والد** الخميني .. !!



الشاة يتنازل لابنه .. سرا

كان آخر موعد لتنازل الشاه يوم ١٧ سبتمبر فى الساعة الثانية عشرة ظهرا . وظهر الموقف كما لو أن الشاه قد رضخ لطلبات الدولتين العظميين .

إلا أن المفاجأة حدثت . ففى يوم ١٦ سبتمبر فى الساعة التاسعة صباحا دخل قاعة البرلمان رئيس الوزراء الايرانى (موزوجى) برفقة رئيس البرلمان (أصفند يارى) ، بينما كان المجلس يعقد جلسة على أعلى مستوى .. ساد صمت حين وقف الرئيس ليتلو كلمته :

(نحن ، رضا ، شاه إيران ، إتخذنا بمشيئة الله والامة القرار الصعب بالتنازل عن العرش وتولية ولى العهد ، أبننا الحبيب محمد رضا بهلوى) ..

وأصيب الجميع بالذهول ..

كانوا يعلمون جميعا أن الشاه (ديكتاتور) ، وأنه لابد من التصديق على هذا القرار ، وفى الوقت نفسه أعلن رئيس المجلس أن الابواب الخارجية كلها موصدة وأن الحراس ينتظرون خارجها ، وأن أحدا من أعضاء المجلس لن يغادر المكان قبل أن يصدق على القرار .

ولم يعلم أحد بهذا التنازل فى موعده لا الشعب ولا القوات الاجنبية التى تنتظر ، بل أن هذه القوات كانت على إستعداد فالانجليز يعلمون أن تنازل الشاه عن العرش علانية سيؤدى الى إضطرابات عارمة فى البلاد ، وبهذا يمكن إحتلال العاصمة وضرب الامبراطورية ضربة قاضية .

ومن أجل هذا كانوا قد زرعوا قواتهم وحراسهم وعيونهم فى كل المناطق وبالرغم من كل هذا فقد إستطاع شاب مجهول أن يهرب فى سيارة قميئة قديمة عبر مناطق الحراسة هذه ، وبعد أن تجاوز كل المخاطر ، التفت إليه السائق فوجده (مكوما) بين المقعد

الخلفي وبين أسفل المقعد الامامي ، فأنبأه بأن الطريق آمن ، وهنا ظهر وجه الشاب الذى كان شاحبا شحوب الموتى لشدة الخوف ، وجلس على المقعد الخلفى .. بكل هيلمانه .. وكان الشاب هو : محمد رضا بهلوى .!

هاج الاعضاء داخل المجلس رافضين التصديق على قرار التنازل وتنصيب محمد رضا ملكا وحاول الرئيس (اصفند يارى) تهدئتهم بكل الوسائل حتى يصل ولى العهد ولم يكن يستطيع الكلام علانية .. فعيون الانجليز والروس منبثة حتى داخل قاعة المجلس .

وكان يجب أن يصل ولى العهد بأسرع ما يمكن فى السيارة (الكرايسلر) القديمة . وفى حوالى الساعة الثانية والنصف ظهراً ظهرت السيارة ودخل محمد رضا من باب الخدم والسعاة حتى لايلحظة أحد .. ثم بدل ملابسه فى ممر ضيق من ممرات المجلس وأرتدى (البذلة الملكية) وفى وسطه كان (سيف) والده الذهبى .

وفى الساعة الثالثة والربع صعد (الامير) إلى منصة الخطابة ليلقى الكلمة التى القاها والده فى نفس المكان قبل خمسة عشرة عاما : (أمام الله والامة ، نقسم — نحن — محمد رضا بهلوى شاه إيران أن نكون مخلصين للامة والدستور ..) .

صفق الأعضاء بعد دقيقة من الذهول والوجوم .. قال الخمينى فى ذلك الوقت : (أن محاربة الظلم وأجب على كل مسلم) . لم يكن محمد رضا بهلوى فى ذلك الحين يتجاوز ٢٢ عاما من عمره .. وأعتلى عرش بلد تعانى من أزمة إقتصادية حادة ومن إحتلال القوات الاجنبية لها . وعلاوة على ذلك ، فقد كان وحيدا .. تماما ! فقد غادر والده البلاد إلى المنفى، وبقيت تاج الملوك إلى جواره ، وأعتقدت أنها تسيطر على المملكة كلها ، وكذلك الاميرة أشرف ، التى ستكون سريعا حديث طهران كلها بسبب مزاجها المتطرف وتقلباتها الحادة ، أما فوزية فقد أصبحت ملكة ، لكنها ترفض تماما أن تكون زوجة له ...

كل هذا فى الوقت الذى كان يحتاج الملك الجديد الشاب إلى كل طاقته وقواه ووقته لانقاذ بلده من كل البلبلة والاضطراب .. وبالرغم من ذلك فقد أهمل إحتياج بلده إليه ، وأبتدأ يعيش حياته الماجنة التى كان يعيشها قبل أن يصبح ، ملكا ..!!

سمى الشاه بعد ذلك (عروسة من عرائس المسرح) ، مسرح القوى العظمى ..!

الشاه فى طفولته وشبابه :

وقبل أن نستطرد فى سرد الذكريات نعود أعواما إلى الوراء لننشأ مع الشاه ونتعرف على جوانب شخصيته ..

قال الشاه محمد رضا بهلوى مرة لزوجته الثانية ثريا :

« كانت نظرة واحدة من والدى تكفى لتجعلنى أغوص فى الأرض .. إن طفولتى لم تكن سعيدة ..! » .

أما والدته تاج الملوك ، فقد كانت قاسية لا يظهر على وجهها بادرة إحساس أو انفعال . وكانت ابنة لأحد الحراس ، ثم قدر لها أن تكون زوجة امبراطور ولم تكن لتتنازل عن هذا المنصب بأى ثمن ، وكانت ترى فى ابنها محمد رضا الهدف الأول والأخير لتبقى على العرش وتحكم ..

ولكن الطفل محمد رضا بهلوى كان ضعيف البنية ملازماً السرير إلى أن أصيب يوماً بالحمى .

ويروون فى إيران إشاعة غريبة ، هى أن الأم ظلت إلى جانب سرير ابنها تصلى طيلة الليل ، وقد حدث أن الله ربما استجاب دعاء الأم ، وحدث أيضاً أن الطفل استيقظ فى اليوم التالى ، ويقال أيضاً ؛ أنه رأى سيدنا الإمام على رضى الله عنه ، قد زاره فى الليل وقدم له شراباً كان هو الدواء وكان منه الشفاء .

وقد كان للطفل رضا الكثير من هذه التخيلات التى ربما لم تكن تعنى إلا شيئ واحداً ؛ هو أنه يريد أن يوهم الجميع حوله أنه محاط بالقوة الإلهية .

فقد رووا أيضاً ؛ أنه بعد أن تم شفاءه أخذه والده معه فى جولة بين الجبال وهم يركبان الخيل ، لكن الأمير هوى من أعلى حصانه ، وارتطم رأسه الصخور ارتطاماً شديداً وحين جرى الأب الشاه نحوه ومعه مرافقه ليروى مدى أصابته الخطيرة ، وعما إذا كان لايزال حياً ، لم يجدوا أى جروح أو حتى أى خدش . كل ما فى الأمر أنه فتح عينيه وروى لهم أ « سيدنا العباس رضى الله عنه ، قد أمسك برأسه بين يديه وهو يهوى بين الصخور ، بحي لا يصيبه أى أذى .! » .

كان تأثير (تاج الملوك) على الأمبراطوز كبيرا ، وكان محمد رضا بهلوى فى ذلك الوقت يبلغ من العمر أثنى عشر عاما فقط حين إقترح الشاه أدخاله المدرسة العسكرية ، إلا أن تاج الملوك أقنعت الشاه أن يرسل الغلام إلى سويسرا ليتعلم فى مدرسة داخلية وقالت للشاه :

(نحن ، أنا وأنت ، نشأة وضيعة ، أما أبننا فليس له أن يكون أمبراطورا فقط ، بل يجب أن ينشأ أيضا كأمبراطور) .

وهكذا سافر محمد رضا بهلوى فى سبتمبر ١٩٣١ مع أخيه الأصغر (على) إلى سويسرا . دخل مدرسة داخلية خاصة كانت تعد أعرق مدرسة فى سويسرا كلها بل فى أوروبا ، وكانت تقتصر على أبناء كبار الأرستقراطيين والنبلاء فى العالم ، ولذلك لم يلفت وجود ابن شاه إيران نظر أحد ، ورغم ذلك فقد كان الصبية يتحاشونه .

وفى أحد الأيام جلس جماعة منهم على مقعد حيث كانت تقف عربته الصفراء الفاخرة .. ولم يفهم (الشاه الصغير) الذى كان أبوه يلبسه بدلة عسكرية برتبة جنرال ، وكان أبن ستة أعوام فقط ، لم يفهم كيف يجلس الصبية أمامه ، ونسى أنه هنا ما هو إلا (البهلوى) فقط ، والكل يعرفه بهذا الأسم مجردا مجرد أسم ..!

إقترب من الصبية الجالسين ، فظنوا أنه سيجالسهم فأبتعدوا جميعا إلى جانب واحد ، لكن محمد رضا صرخ بمزيج من الأنجليزية والفرنسية ، أن أحدا ما لايجرؤ على الجلوس أمام أمير إيران .

فما كان من الصبية إلا أن فغروا أفواههم دهشة ، ثم إنفجروا ضحكا مما أغاظ رضا بهلوى فأندفع نحو (أوجههم) يريد أن ينتزعه من مقعده ، لكن الصبى الأخر ، الذى كان أبن شارللى شيلدز ، أحد كبار المليونيرات الأمريكيين ء أمسك بمحمد رضا بهلوى الضعيف ، وصفعه صفعة قوية رن صداها بين الحاضرين فتماسك الصبيان ، وطرح أحدهما الأخر على الأرض ، وضرب أبن شليدز أمير إيران ضربا مبرحا مما إضطره إلى طلب أستعطاف الأخرين .

فى ذلك الوقت كان الشاه الأب يوسع ممتلكاته ويقوى مركزه ويغتصب الأراضى ويبنى القصور ويخضع البدو والجنسيات غير الفارسية ، كالأكراد والعرب والأتراك إلى أن عاد الأمير الإيرانى وهو فى السابعة عشرة من عمره إلى إيران وكان أبوه قد قضى عشر سنوات كاملة ليقضى على آخر ثورات الأكراد وباقى العناصر المعارضة .

وقد حدث أنه أستقبل أبنه بعد عودته وسأله إن كان حقا قد حاز على البطولة فى المصارعة فأجابه الأبن بالإيجاب ، فما كان من الأب إلا أن حمل أبنه الذى كان يزن فى ذلك الوقت ٧٥ كيلو جراما بيد وأحدة وطوحه فى الهواء ثم طرحه على الأرض ، ثم فرك يديه مبتهجا وصاح : مضى الان وقت التانجو والشاى وحفلات الكوكتيل وسهرات الليالى القمرية .. الان ستصبح جنديا .

وقضى محمد رضا بعدها عامين كاملين فى المدرسة الحربية .

وحين تخرج بعد العامين ، لم يكن قد أتخذ حتى ذلك الوقت قرارا واحدا بنفسه . بل كان يفعل دائما ما يريده أبوه وأمه .

ورغم ذلك فقد كان نجم السهرات والحفلات ، وكان محط أنظار فتيات إيران ، بل كان الفتى المثالى فى خيال كل إيرانية ، كما ترى بعد ذلك فرح ديبا بنفسها .

كان محمد رضا البهلوى مغرما بالخيل والنساء وسيارات السباق وكان كثيرا ما يحدث شجار بينه وبين أبيه الذى كان متذمرا من تصرفات أبنه المستهترة ، والذى كان الأب نفسه يصفه دائما (بالغباء) والتذير والمراوغة .

وكان يقول لتاج الملوك ، أن إبنه الأكبر ليس فيه خشونة الرجال ، وأنه مستهتر لا يحس بالمسئولية وأنه يفكر جديا بتعديل القانون لتنصيب أبنه الأصغر (على) ، ليكون وليا للعهد .

ولكن تاج الملوك التى رفضت هذا ، أقترحت على الأمبراطور أن يشغل أبنه بأحد أمرين ، إما أن يتنازل له عن العرش ليصبح مسئولا ، وأما أن يتزوج ، وإختار الشاه الحل الثانى .!

أولى زوجات الشاه : فوزية :

كانت هناك مشكلة أختيار العروس التى تليق بالأمبراطور المقبل ، والتى يتحتم أن يجرى فى دمائها الدم الملكى ، لأن (البهلوى) ماهو إلا ابن راعى مواشى .

ووقع الأختيار على أجمل بنات عصرها وأجمل الأميرات ، الأميرة فوزية ، أبنة الملك فؤاد ملك مصر !!

كانت فوزية فى السابعة عشرة من عمرها ، وكانت بحق أجمل أميرات عصرها حتى أن رئيس شركة مترو جولدن ماير عرض عليها عقدا لتمثيل فيلم بمليون دولار (فى

ذلك الحين) ..

ورغم أن الملك فؤاد لم يرد على شاه إيران ، إلا أنه قال كلمة واحدة فى قصر، كانت تعليقا على طلب شاه إيران لأبنته فوزية ، وكان التعليق هو : إن هذه وقاحة !!! ومنع الحديث فى هذا الموضوع أمامه .

وحتى حين عاد اليه رسول الشاه ، قال له من بين أسنانه ، انه يشكر له إيثاره له بهذا (الشرف) إلا أنه (سيفكر) فى الموضوع !

أحس الملك فؤاد إذن بالمهانة ، وليس (بالأمتنان) لهذا (الشرف) .. فأين امبراطور فارس ، أبن راعى الحمير من ملك من سلالة الملوك ! وظن أن صمته الطويل سيقنع ملك فارس ، لكن هذا لم يسكت ، وأرسل تقارير وصورا عن ابنه و (إنجازاته) .

ومع مرور الوقت والحاح الشاه إبتدأ الملك فؤاد يفكر فى الأمر . فمحمد رضا ولى العهد ، يبدو (معقولا) أكثر من والده ، علاوة على إنه تربى فى مدارس أوروبية فلابد أن له أخلاقا مغايرة لأسرته .. ووافق ..

وبعد أيام ، وبالتحديد يوم ١٤ مارس ، نزلت طائرتان فى مطار طهران أحدهما كانت تقل فوزية مع وصيفاتها ، والأخرى كانت تنقل (جهاز .. فوزية) وكان يمـ ٢٠٠ حقيبة سفر ، فيها ١٠٠ قميص نوم و ١٠٠ روب نوم وكان فستان الزفاف وحد قد تكلف ١٠٠ ألف فرنك ، فى ذلك الوقت ..!!

لكن الزواج السعيد لم يستمر طويلا ، وأشترك فى تعاسته وشقائة فوزية نفسها التى ندمت على هذا الزواج ، كما أشتركت فى بؤسه الملكة تاج الملوك التى جعلت مـ حياة زوجة أبنها جحيما لايوصف ، بالرغم من أنها كانت أجمل فتاة وضع التاج عل رأسها ، على مدى كل القرون الماضية .

كان الفرق شاسعا بين حضارة القاهرة وحضارة طهران . صحيح أن القصور ا طهران فخمة ورائعة ، والحياة فيها ذات أبهة غير عادية ، لكن فوزية التى تعودت ع الحياة فى القصور وبين الملوك ، كانت تجد كل شىء غير ما تعودت ، ولم تكن لتحتمـ مثلا أن قصرا يحتوى على ٦٠ غرفة ، لايوجد فيه إلا حمام وأحد ..

لعبت الأميرة أشرف دورها فى قلب حياة فوزية إلى جحيم ، وكانت تتـ ذلك .. إلى أن حدث الأنفجار ذات يوم .

ففى أحد الشهور ديسمبر أقامت الأميرة شمس حفلا ، وهى الأخت الكبرى للشاه ، وكان محمد رضا بهلوى وفوزية مدعوين للحفل ء وهنا تعمدت الأميرة أشرف أن تتجاهلها وتتحداها ، وذلك بان قدمت للشاه أجمل فتيات إيران ، وحرصت على أن يرقص مع كل واحدة منهن على حدة ، وإحتدت فوزية بالطبع ، وبعد ساعة من ابتداء الحفل غادرت فوزية المكان فجرى وراءها محمد رضا بلهوى ، متسائلا بكل سذاجة عن السبب ، وعما إذا كان هناك ما أزعج فوزية أو أساء إليها ، لكن فوزية ردت عليه بأنه هو وعائلته من أهم مصادر السعادة بالنسبة لها ، وكانت تسخر منه بالطبع .

وفى صباح اليوم التالى قالت له ، أنها تعودت أن يحترمها الجميع ، ولن تطيق أبدا أن تكون موضع تهكم من أحد ، ولن تسمح بهذا بعد الأن ، ولذلك فإنها ستكون إلى جانبه فى الحياة العامة ، أما فى حياتهما الخاصة ، فلم يعد بينهما ما يقال ..

وحدث مرة أن الملكة تاج الملوك ، والدة الشاة ، وهى أيضا من أصل غير ملكى على الأطلاق ، كانت فى أحتفال رسمى وقد دعت إليه كبار الشخصيات على العشاء ، فأخطأت فى ترتيب الضيوف على المائدة ، وحاول رئيس البروتوكول تنبيهها إلى خطئها ، لكنها لم تفهم إشارته ، ولاحظت فوزية ما حدث من إشارات بين الملكة ورئيس البروتوكول ، الذى كان يحاول جاهدا تصحيح الخطأ ، فأنفجرت ضاحكة ولم تغفر تاج الملوك ذلك لها أبداً ، بل ازدادت كراهية لها ..

كان الشاه فى ذلك الحين يبلغ من العمر ١٩ عاما فقط حين كانت فوزية فى السابعة عشرة من عمرها .. ولم يكن الشاه الأب يحلم بأكثر من ولى للعهد ، يضمن بقاء التاج فى سلالة البهلوية .!

وأنتظرت الأسرة المالكة عاما ونصف حتى وضعت فوزية أول طفل لها وكان بنتا .. وقال الشاه الملك معلقا : أنه فال سيء ، أن يكون أول المواليد فى العائلة المالكة بنتا ..!!

ولكنها سميت شهناز وهو أسم (دلع) للملك .!

رفضت فوزية إستقبال الملك (الشاه) لتهنئتها لانه مكث طويلا مترددا قبل زيارتها وأشارت بأبعاده عن جناحها ، لكن الشاه أتى بالرغم منها وبالرغم من إستياء الشديد منها .

لم تعد فوزية تخفى رأيها فى الأسرة المالكة ، بل كانت تذيعه على الملا ، وكانت (زهرة النيل الجميلة ، كما يسمونها) تردد أن الشاه ماهو إلا (محدث نعمة ، فقط

خشن » ، رأت الملكة تاج الملوك أمرأة قاسية متسلطة . وهى بهذا لاتستطيع أن تدارى أصلها (الوضيع) أما أشرف ، المتعجرفة ، عالية الصوت ، التى تريد أن تبسط نفوذها على أوسع قدر ممكن ، فهى – بكل بساطة – لاتطيقها !

لم تكن فوزية تملك نفسها إزاء تصرفات هذه (الأسرة الفظيعة) كما كانت تسميها ، وكانت تلقائية ردود فعلها الساخرة تؤلب عليها قلوب أفراد العائلة وبالذات ، أشرف وتاج الملوك ..

كان الشاه الملك يتابع بغضب التقارير التى يرسلها (المخبرون) عن حياة إبنه الخاصة ، وعن مجونه وتصرفاته غير (الملكية) . فقد كان يحب الخيل والسيارات والنساء وكانت كلها كافية لان تثير حنق والده الذى يعده إمبراطورا من بعده .

وكى تضرب أشرف ضربتها القاصمة لهدم آخر ما تبقى من الزواج الملكى أرسلت فى طلب أصدقاء الشاه السويسريين وصديقاته ..!

ولكن ، قبل أن تنضج مؤامرات (النساء) فى البلاط ، كان هناك خطر داهم يقف على أبواب إيران . فشرار الحرب العالمية الثانية تطاير حتى وصل إلى بلاد فارس ..

بداية تدخل أمريكا :

تم التوصل الى إتفاق بين بريطانيا وروسيا وإيران مما أطلق عليه إسم المعاهدة الثلاثية فى ٢٩ يناير ١٩٤٢ ورغم أن المعاهدة تضمنت إعترافا بريطانيا وسوفيتيا صريحا بإستقلال إيران ، وتعهدا بعدم التدخل فى شئونها الداخلية ، فإنها فى الواقع أطلقت يد الدولتين ــ التى كانت مطلقة أصلا ــ فى سائر مجالات الحياة فى طهران .

وعندما وقعت تلك المعاهدة كتب الشاه إلى الرئيس الأمريكى روزفلت لينتزع تأكيدا دوليا جديدا بإحترام إستقلال بلاده ــ وأعلن الرئيس الأمريكى تأييده الحاسم للمعاهدة .

لكن البريطانيين والسوفيت مضوا فى تصريف الأمور فى طهران كما لو كانت بلادهم يقتلون ويمارسون أقصى الضغوط على المسئولين الإيرانيين ، فإستقال رئيس الوزراء العجوز وترك الشاه الصغير وحده فى مهب الرياح كلها .

كان الشاه يحتج ، فلم تكبد لندن أو موسكو نفسها حتى بالرد عليه . ولحق إقتصاد إيران من التخريب مالا يوصف . فكانت روسيا تنقل المحاصيل الزراعية الإيرانية إلى روسيا تاركة الفلاحين جوعى فى شمال البلاد .

كما قاموا بتغذية الإضطرابات لإتخاذ ذريعة فى قمعها والسيطرة بالتالى بشكل أكبر على البلاد حتى أصبحت منذ النفوذ الروسية دولة مستقلة داخل الدولة الإيرانية .

وذات مرة تسربت إلى أسماع الشاه أنباء تقول : أن البريطانيين والسوفيت مستاؤن من موقفه حيالهم . وأنهم يفكرون فى خلعه وإعادة ولى عهد أسرة كاجار إلى عرش آبائه ليكون إكثر ولاء لهم .. وبالفعل علم الشاه أن وريث عرش الكاجار دعى إلى حفل رسمى فى السفارة البريطانية وأن الأوركسترا البريطانى عزف له النشيد الملكى ..!!

فإذا كانت إيران بكل هذا التمزق ، فكيف صمدت ؟ ظهر الأمريكيون على المسرح الأحداث ! حين صدر قرار للرئيس روزفلت بأن الولايات المتحدة لن تسمح بتقسيم إيران .

وليس ذلك من أجل سواد عيون الشاه ، فقد رأى روزفلت ومستشاروه أن إبقاء إيران (حية) ، ضـــرورة لحفظ التوازن والأستقرار العالمى أمام الأطماع الروسية وأمام الضعف الذى إبتدأ يدب فى الأمبراطورية البريطانية .

وإضطر البريطانيون والسوفيت إلى التراجع قليلا لتضع أمريكا قدمها على إيران .. فهم محتاجون للمعونة الأمريكية ..

ومنذ ذلك الحين إبتدأت أمريكا تلعب دورا إبتدأ يكبر ويكبر فى إيران ، ووجد الشاه فى تدخل أمريكا .. عامل توازن للوجود البريطانى والسوفيتى ، ولهذا بذلك كل الجهد لتشجيع الأمريكيين وتوسيع نطاق نشاطهم المذهل .

وأثناء إنعقاد مؤتمر طهران بين روزفلت وتشرشل وستالين ، حصل الشاه من رورفلت على تأكيدات قاطعة بضمان إستقلال إيران وحقها فى تقرير المصير . وحصل الشاه أيضا من ستالين تأكيده بتزويده بالمعونات الأقتصادية والعسكرية ، لكن هذا لايمكن ، لانه يتضمن سيطرة الشيوعيين فيما بعد .!

وبعد أن أنتهت الحرب .. وقف الشاه أمام كل خصومه فى الداخل والخارج .. **وأرسل شقيقته أشرف إلى موسكو للتفاهم حول إقليم أذربيجان الذى يحاول الاستقلال . لكن جهود أشرف ذهب هباء .**

وعرض الأمر على الأمم المتحدة ، فما كان من أمريكا إلا أن وجهت إنذارا للسوفيت ، الذين تراجعوا تراجعا وأضحا . وسقطت حكومة أذربيجان .

وأنتهت الحروب .. وتنفس الشاه الصعداء .. فما زال هناك وقت .. لحياة اللهو .!

فى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ طلبت فوزية الطلاق وحصلت عليه ، أتهمت فيه زوجها بالخيانة الزوجية ، أما السبب الرسمى للطلاق والذى أعلن على الشعب هو أن الملكة فوزية لم تستطيع إنجاب ولى عهد للملك .. وهكذا عاد الملك الشاب عازبا وهو فى التاسعة والعشرين من عمره .

ومارس هواياته مع الخيل والنساء .. فقد كان فى الأسطبل الخاص به أكثر من ٣٤ حصانا أصيلا .. وكان الجميع يعرفون أنه يدفع أعلى سعر ممكن .. أما فى جراجاته فقد كان هناك أكثر من ٢٥ سيارة ، منها ستة رولزرويس ، وعدة سيارات مرسيدس — بنز ، وكاديلاك وبويك .

أما آخر الهوايات فكان جمع (الطائرات) وأصبح لديه (هوكر) و (هاريكان) و (بيتش كرافت) ثم سمع أن شركة T W A حولت أحدى قاذفات القنابل إلى طائرة ركاب مدة طيرانها ١٥ ساعة ، طلب شراءها فورا ، ودربه عليها أحد الأخصائيين الذى قرر أنه بعد حصتين من التدريب كان الشاه قادرا على الطيران بدون عون .

وتساءل العالم ، كيف يمكن لبلد مثل إيران ، كانت على حافة الإفلاس ، يعانى شعبها من الجوع والبطالة والفقر أن يرأسها شاب مثل الشاه ، أفلت حديثا من سنوات القهر والتدريب العسكرى والرقابة الشديدة ، وكيف يمكن أن يتحمل مسئوليتها كاملة أمام شعبه ؟

لم يستطيع السياسيون تفسير ما فعله الشاه ، هذه التصرفات الصبيانية الطائشة . غير المسئولة ، أمام الأنهيار الأقتصادى ومجاعة الشعب وعلى حافة الموت ، كيف يمكن لرئيس دولة أن يقضى وقته فى اللهو الرخيص ويقذف بملايين الدولارات من المنافذ بين شعبه جائع فقير ؟

وسط هذه الدوامة القاتلة حدث ما وضع حدا لكل هذه الألاعيب وكل هذا اللهو .

محاولة إغتيال الشاة :

كان ذلك يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٩ ، وكان يوما شديد البرودة عقب ا

ثلجية ، إلا أنه كان يوم الجمعة ، وكان يوم إحتفال بمناسبتين هامتين ، أحتفال بذكرى تأسيس الجامعة منذ ١٤ عاما ، حيث يقلد الشاه الأساتذة الأوسمة ويلقى الخطبة ويمضى اليوم منذ بدايته ككل يوم :

نصف ساعة رياضة وفى الساعة الثامنة يتناول الأفطار ويقرأ البريد من التاسعة حتى العاشرة ، ثم يأتى الوزراء يقبلون يدى الشاه ويذهبون . فى الثانية والنصف بعد الظهر يركب سيارة الرولزويس إلى الجامعة ، يجلس بجانبه أخوه الأصغر (غلام رضا) ويتبعه ١٣ سيارة .

مد بساط أحمر على درج الجامعة ليرتقيه الملك .. الحراس متأهبون بأسلحتهم ، والموسيقى تعزف .

الجميع مجتمع : مدير الجامعة والأساتذة وعمداء الكليات وأعضاء الحكومة وضابطان كبيران من الجيش وكبار رجال البوليس الحربى .

تفتح أبواب الجامعة ، يمشى الشاه على نغمات الموسيقى العسكرية ، يصعد السلالم ، يصوره الصحفيون ، يندفع أحدهم إليهم ، وبدلا من أن يوجه إليه الكاميرا ، يوجه إليه مسدسا ، لم يكن يبعد عنه بأكثر من ثلاث درجات ، طلقات المسدس تنطلق مباشرة إلى رأس الشاه ، يتأرجح الشاه ، تطير قبعته ، ينظر حوله وتلتقى عيناه بالقاتل . يقفان وجها لوجه . الدم يغطى وجه الشاه ورقبته . الرجل يطلق رصاصة رابعة ، الشاه يضرب يديه أمام وجهه ويستدير ويقفز إلى اليسار .

الأثنان يقفان وسط حلقة من (الكبار) فى دائرة قطرها ٣٠ مترا فقط . الأساتذة والضباط ورجال البوليس والعمداء والحرس يقفون مشدوهين خوفا وذهولا ، لكن أحدا منهم لم يقبض على سلاحه للدفاع عن الشاه ، ربما لأنهم كانوا يعلمون أن القاتل مازال يختفظ برصاصتين !!

تعلق فرح ديبا على الحادث وتقول :

(أخترقت الرصاصات الثلاثة الأولى قبعته دون أن تمس رأسه ، وفى لمح البصر فر الجميع ليختبئوا ، وتحتم عليه مواجهة الموقف العسير وحده بشجاعة ، محاولا تفادى الطلقات حين إنطلقت الرصاصة الرابعة تخترق عظام كتفه تاركة .. آثارا خفيفة حتى الأن ، والخامسة أخترقت أحدى شفتيه ، أما السادسة فطاشت) !!

ويقال فيما يقال أن العناية الألهية التى كانت ترعاه صغيرا هى التى ترعاه وهو ملك ، وهذا ما يفسر نجاته من محاولات الأغتيال المحكمة التى كانت تدبر ضده !!

وجه القاتل مسدسه إلى صدر الشاه مباشرة وضغط ، لكن المسدس أصبح فارغ الطلقات وهنا فقط إنقض عليه من بقى حول الشاه وأمرهم الشاه أنه يريده (حيا) ورغم هذا الأمر فان الضباط والحراس أطلقوا الرصاص وأبلا على (القاتل) بحيث مزق صدره وبطنه ، متجاهلين الأمر ، وبقى أمر إغفال هذا (الأمر الملكى) مجهولاً !! .

عرف المتهم بأسم (فخرى اراى) وكان ينتمى إلى حزب (توده) TUDEH وهو إتحاد سياسى يناصره الوجود السوفيتى عموما ، ولكن حتى هذا كان مشكوكا فيه ، فالسرعة التى قتل بها المتهم كانت مريبة ، والأكثر ريبة هو أن آية الله كاشانى وغيره من رجال الدين قبض عليهم بنفس السرعة .

كان رد فعل الشاه مريبا أيضا فقد استغل حادث الأغتيال لصالحه ضد رجال الدين الذين عمقت الهوة بينهم وبين الحكومة منذ تحريم الشاه الأب للحجاب وإرغام رجال الدين على أرتداء الزى الأوروبى !

وأصدر الشاه أمره بالقبض على معارضيه اليساريين واليمينيين أيضا ، سواء الشيوعيين ورجال الدين المسلمين .

والغريب أن الشعب ناصره ، فقد أعتبر نجاته من حادث الأغتيال الجرىء أمرا غير بشرى ، وألقيت الذبائح والأضحيات فى طريقه أثناء زيارته للبلاد المختلفة .

وكما أنه كسب نصرا دأخليا ، فكذلك كسب نصرا خارجيا .. فقد أستغل حدوده مع الروس لصالح الأمريكان ، فمنحته الحكومة الأمريكية ٢٦ مليون دولار لتسليح الجيش .

وأبتدأت العلاقات الأيرانية ــ الأمريكية تنتعش . وفى خريف عام ١٩٤٩ قام الشاه بزيارة (لاصدقائه) الأمريكان .

ولم يفته أن يقوم باحدى مغامراته .. وعاد لهواياته القديمة . فقد تعرف فى سان فرنسيسكو على رسامة شابة قلبت حياته رأسا على عقب .. كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها وتدعى (روث ستيفنس) !!

ولاحظت عيون الصحافة مشاهد لقاء بين الامريكية وبين الشاه ، وابتدأت الصور تظهر فى الصفحات الاولى .. فأرسلت الاميرة أشرف برقيات للشاه تحذره فيها من مغبة هذا التصرف الذى، يمكن أن يكلفه عرش ايران !

ولم يكن بالامكان اقناع الشاه بالتخلى عن الفتاه الامريكية الا عن طريق أخيه

الاصغر غلام رضا الذى عاد الى طهران ، بدون روث !

وابتدأت هموم أشرف فى البحث عن زوجة جديدة تليق بالشاه ، لكنه كان يرفض ، وكانت الاميرة أشرف تصر على أن يتزوج من عائلة (بختيار) التى كانت من أعرق العائلات اسما ومركزا ، عدا النزعة الثورية المتحدية التى يتميز بها أعضاء هذه العائلة ، وكأنما أرادت أشرف بمثل هذا الزواج أن (تلطف) من حدة الصراع القائم بن الاسرتين .!

لكن الشاه لم يرحب الا بصورة فتاة نحيلة فى الثامنة عشرة من عمرها ، طويلة ، سوداء الشعر خضراء ــ رمادية العينين .

وكانت (ثريا اصفند يارى)

ووافقت أشرف ، لان (الاصفند يارية) يمتون بصلة النسب (للبختارية) وبذلك تكسب الجولتين معا ، وأن كانوا أقل منهم غنى وأكثر تواضعا !

لكن والد ثريا كان قد عارض الشاه الاب فنفاه الى برلين حيث تزوج من فتاة المانية تعمل (جرسونة) فى احدى المقاهى وتدعى (ايفا كارل) .

ثانى زوجات الشاه : ثريا :

فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٥٠ وصلت ثريا مع والدها الى طهران حيث كان متوقعا أن تستقبلهما تاج الملوك ، والدة الشاه ، والامير شمس والاميرة أشرف .

ورغم أن الأميرة ثريا تعرف سبب مجيئها إلى قصر الملك ، إلا أنها فوجئت ، مذهولة وساخطة بسبب الأسلوب (غير المتحضر) أو بالأحرى (الوقح) الذى كانت تسألها فيه تاج الملوك عن (صحتها) !

بعد ساعة من الزمان ، جاء من يعلن قدوم الشاه !

وعلقت ثريا بعد ذلك على هذا اللقاء :

(لا أريد أن أوكد ، أنى أعجبت به من النظرة الأولى) فهذا لم يحدث لكن الشاة انتحى بوالد ثريا جانباً وقال له ، (يسعدنى أن أتخذ من ابنتك زوجة لى) ورد عليه الثائر المنفى ، (لكنها مازالت صغيرة) ، فقال له الشاه (إن حياتها التى ستقضيها إلى جانبى ، ستجعل منها امرأة عجوزاً بأسرع مما تتصور ، لكن الرجل طلب أن يترك الاختيار لابنته ! ووافق الشاه بشرطه أنه يتم ذلك فى المساء .

كانت الاميرة ثريا متعبة جدا بعد سفرها الطويل والانتظار المرهق والانفعالات ، ورغم أنها لم ترحب بالشاه زوجا منذ أول لحظة ، لكنها وافقت تحت الالحاح تخلصا من التفكير .. فقد كانت تتمنى أن تذهب الى فراشها بأسرع ما يمكن !!

وربما لم تكن ثريا تتوقع أن يكون ردها بالموافقة فى ذلك اليوم ردا نهائيا لانقاش بعده ، فقد علقت بعد ذلك بقولها :

(كنت متعبة جدا من سفرى الطويل ومن اللقاء المثير بعد ذلك) !

تمت الخطوبة بعد أيام ثلاثة من ذلك الحديث وتحدد موعد الزفاف ليكون يوم ٢٧ ديسمبر. كانت (الاميرة) ثريا أول حب حقيقى فى حياة الملك ، كانت جميلة وعنيدة وربما مبالغة فى اعتزازها بنفسها ..

لكن (الاميرة) التى عاشت فى اوروبا ، وانحدرت من سلالة عائلة من كبار العائلات الايرانية لم يعجبها حال القصر الذى كانت ستسكن فيه بعد زواجها .

فالمرافق الصحية فى القصر محدودة ومتواضعة ، وهى نفس شكوى الاميرة فوزية ، ابنة الملك فؤاد ، والمفروشات والاثاث عديمة الذوق ومتهالكة وغرف المطابخ فى حال يرثى لها ، وكذلك أجنحة الخدم !!

وكان أن وقعت ثريا طريحة مرض التيفوس بعد ١٨ يوما فقط من وصولها الى ايران ، واجّل موعد الزفاف بعد أن استمرت الحمى اكثر من ٣٠ يوما متواصلة رغم اشراف أطباء من أمريكا وأمريكا .

ورغم أن ايران كانت تغلى فى ذلك الوقت بين مصدق ورجال الدين (الملالى) ورازمارا ، رئيس الوزراء وبين أنصار الملك ، فأن الملك كان يريد اتمام زواجه قبل شهر الصيام ، وزفتّ اليه ثريا وقد أصيبت بنكسة من الحمى أدت الى اصابتها بالتهاب رئوى حاد ! .

كان زفافها يوم ٢١ فبراير ١٩٥١ ، وكانت الثلوج تغطى ايران حين اراد الملك أن يحتفل الشعب بزواجه ، كنوع من تحويل الانظار عن غليان الثورات فى الداخل !!

زفت ثريا فى فستان بلغ وزنه عشرين كيلو جراما ، وكان مرصعا بفصوص الزمرد والماس . وكانت الطرحة والتاج ثقيلين الى حد كبير ، فطول الطرحة كان عشرة أمتار ، وكادت الاميرة تقع مغشيا عليها تحت تأثير الحمى وثقل الفستان والطرحة والتاج !!! مما جعل الشاه يصرخ مطالبا أن تقص الطرحة !! لتستطيع الاميرة المشى بسهولة !!

ولم ينعم الملك طويلا بأيام شهر العسل ، فما كاد يوم ٤ مارس يأتى حتى كان (البازار) يغلى هى أيضا ، فقد وقع الاختيار على أحد المسلمين المتعصبين ليقتل (رازمارا) ، رئيس الوزارة ، فى اكبر مسجد سلطانى !!

طلبت ثريا فى نفس الوقت تجديد القصر ، ورغم أن الشاة طلب اليها أن تتمهل الا أنها أصرت أن يكون تجديد القصر شرطا لدخولها اليه .

لكن ايران كانت مضطربة فى ذلك الوقت ..

فقد كان حادث اغتيال (على رازمارا) غامضا رغم معرفة القاتل والقتيل . فالقاتل مسلم متعصب من البازار ولايتجاوز عمره ٢٨ عاما . لكنه كان واضحا أن حادث الاغتيال كان أكبر منه حجما ، وأن كثيرين غيره يقفون وراءه .

بل ان اصابع الاتهام تشير الى آية الله كاشانى الذى أظهر عداءه لرئيس الحكومة لميله الشديد للانجليزية والامريكان وتعاونه الصريح معهم .

اغتيال رازمارا بدلا من الشاه :

أما ما حدث فهو ان الشاه عاد فجأة يوم ٣ مارس بعد ان ترامى اليه ما يجرى فى البازار من اضطرابات .

فى يوم ٦ مارس استقبل الشاه رئيس حكومته وأبلغه أنه لن يحضر فى اليوم التالى صلاة الجمعة فى مسجد « سلطانى » وأنه يرجوه أن ينوب عنه .

فى صباح اليوم التالى ، يوم الحادث ، أرسل (رازمارا) أحد أصدقائه يبلغ الشاه أن أمورا طارئة تستدعيه ألا يحضر صلاة الجمعة ويرجو من الشاه اعفاءه من هذه المهمة ، علاوة على أن وجوده هناك ماهو الا مظهر شكلى فقط لاعلاقة له بالطقوس ويمكن الاستغناء عنه .

لكن الشاه لم يقنع بالرد ، وأرسل اليه يأمره .

ولم يجد رئيس الحكومة مفرا من حضور الصلاة ، الا أنه اغتيل قبل دخوله الفناء ، واقتيد القاتل الى السجن ..

احتفل الشعب بهذا الحادث احتفالا كأحتفال الاعياد ، فرقص الناس فى الشوارع وعلت أصوات أبواق السيارات تزغرد ! .. حتى الصحف رحبت بموت رئيس الحكومة ، وانقسمت الى فريقين ، أحدهما اعتبره بطلا شهيدا والاخر كان يتمنى له

العذاب الاخروى .

ولم يشهد الشاه محمد رضا جنازة رئيس حكومته ، وإنما أوفد مندوبا له ، مما أوضح بجلاء أنه لم يكن (السيد) فى بلده ، بل كان (رجال الدين) بزعامة آية الله كاشانى ، هم الزعماء الحقيقيون لايران .

ووسط الجنازة كان الجميع ينادون بسقوط مندوب الشاه وسقوط الانجليز ، وينادون بعودة البترول للشعب وبعودة مصدق !!

غلا الشعب ، وأضرم النار فى السيارات وضرب المؤسسات الحكومية بالاحجار ووقع الكثيرون بين جرحى وموتى ، الى أن أعلن الشاه ، رضوخه ، وعين (محمد هدايت مصدق) رئيس الجبهة الشعبية .. رئيسا للحكومة .

كان مصدق معروفا بشخصيته المتلونة ، وكان علامة مميزة فى تاريخ ايران كلها ، عبقرية صافية ، شخصية هسترية ، يشكو المرض دائما ، يمتلك حاسة خرافية تمكنه من اخراج التمثيليات الهزلية التى يتقنها فى حياته اليومية.باختصار كان يحبس أنفاس العالم فى كل حين .

مصدق يحكم ايران والشاه تحكمه ثريا :

أما تاريخ حياة (مصدق) فهو غريب أيضا ، لا يصدق :

فقد عين وهو ابن ١٥ سنة مراقبا للجمارك . وفى سن ٢٧ سنة كان برتبة سكرتير ثان ، وفى الاربعين أصبح وزيرا للمالية . وسيطر على البلاد بيد من حديد ، وخفض مرتبات الموظفين بما فيهم الذين يعملون فى خدمته ، ونادى بالاحساس بالقومية والاشتراكية ، كما نادى بتأميم البترول ، ولهذا ألقى خمس سنين فى السجن .

لكن مصدق لم يكن ليتوقف عن الخطب الدامية وعن المؤامرات وعن استفزاز من حوله وسانده رجال الدين ، فقط من أجل محاربته للتدخل الاجنبى .

وكانت المأساة الحقيقية ، أن كلا من الشاه ومصدق كان (يحقر) من شأن الاخر .

فمصدق كان يرى فى الشاه (كيس هواء) أو إنسانا (هجاصا) لايعرف الا أهواءه ونزواته .

أما الشاه فلم يكن يرى فى مصدق الا نصاباً ، عليلاً ، معتلاً ، لاوزن له ، فقد كان مصدق لايزن اكثر من ٤٣ كيلو جراما فقط !! لكنه كان كتلة متحركة من الطاقة

والديناميكية وكان كل هدفه أن يسلب الشاه سلطاته وأن يؤمم البترول ، ولذلك فما أن عين رئيسا للحكومة حتى أعلن مصادرة ممتلكات البريطانيين وسلبهم امتيازاتهم فى البترول .

وفغرت الحكومة الانجليزية فى لندن فمها من الدهشة !! وقبل أن تفيق من ذهولها أعلن آية الله كاشانى أنه يقف الى جانب مصدق ! وأعلن أيضا أن ٢٠ مليون مسلم يحاربون من أجل الاسلام ويستطيعون أن يطرحوا الدخلاء أرضا !

وابتدأت انجلترا تتفاوض مع الحكومة الايرانية الجديدة لكن المفاوض الايرانى ، مصدق ، يثير أعصاب الانجليز ، بل ، (يحرقها) !! فقد كان يقع مغشيا عليه وهو يجهش بالبكاء أثناء المفاوضات ، وكثيرا ما كان يامر بسريره ليتمدد عليه فى قاعة المفاوضات وهو (يكاد) يموت اعياء ومرضا !!

وحين طلب نقدا فوريا ١٤٠ مليون دولار انسحب الانجليز من المفاوضات واعلنوا رفضهم التام ! وغادر المهندسون والفنيون الانجليز اماكن التنقيب عن البترول وفرضت انجلترا حظراً على البترول الإيرانى .

وبدلا من ان يعيش الايرانيون عصورهم الذهبية كما وعدهم مضدق اصبحت البلاد على حافة الافلاس ، وبلغ التضخم حدا كبيرا وانتشرت المظاهرات فى الشوارع تنادى بسقوط الشاه ، الذى حمّله الناس كل ما أصاب البلاد من خراب !

فأين كان الشاه فى ذلك الوقت ؟

لم يحرك ساكنا ، ولم يسمع الناس صوته ، ولم يقرر شيئا . بل ترك ، (مصدق) يصول ويجول فى البلاد كما يحلو . والاضرابات تتزايد .. بينما كان هو يعيش فى عينى زوجته الحبيبة ثريا !!

فبالرغم من كل ما حدث ، كانت الحفلات التنكرية والاستقبالات الملكية تقام فى قصر (سعيد اباد) الذى تكلف تجديده وترميمه مئات الالوف ، بينما كانت خزينة الدولة تعانى أزمة رهيبة ، حتى أنه بنى حديقة خاصة لكلاب ثريا الثلاثة : سيتا وتونى وبوكى ، وكان سروره عظيما حين يرى ثريا تضحك سعيدة بمنظر الكلب الصغير الذى يبتل ويجرى فوق سجاجيد القصر الفاخرة .!!

كانت ثريا ، ملكة قلبه ، والامبراطورة المسيطرة على حياته ، وكانت تسخر من السياسة والسياسيين ، وكان يرضيها أن يفعل هو أيضا مثلها ، ولذلك كان لايتأخر عن رضاها .. ووصل الامر أن قطعت مرتبات الجنود والموظفين .. وسادت الفوضى فى كل

مكان ..

واستغل مصدق هذه الفرصة ، فقد كان يريد أن يكسب الجيش الى جانبه ، فهو يريد أن يصبح وزيرا للحربية أيضا ، لكن الشاه .. رفض !!

فما كان من مصدق إلا آن قام بتمثيليته التي يتقنها فقد وقع مغشياً عليه ، ثم أفاق ، ثم أخذ يقوم بترديد صرخات هسترية ثم وقع مغشياً عليه .. ثانية !!

وانتظر الشاه ريثما عاد (مصدق) الى وعيه .. انتظره طويلا وبهدوء شديد ، وحين أفاق نهائيا ، قال له :

(انى أرى صحتك قد تدهورت الى حد كبير ، وأنها لم تعد تساعدك أن تقوم بمهامك كرئيس للوزارة وأن تتحمل مسئولية هذا المنصب . ولهذا فأنا أعفيك من هذا المنصب :

وعين الشاه (جافام سلطانى) خلفا لمصدق !

وهنا حانت لحظة تدخل (آية الله كاشانى) فعقد مؤتمرا صحفيا وأشعل نار الثورة فى البازار والتهبت المظاهرات .. فحرك الشاه الجيش وفتح النار على المتظاهرين .. وسقط الكثيرون !! (وسنعود لهذا فيما بعد) .

وأعلن (سلطانى) رئيس الوزراة الجديدة تراجعه ، وهنا .. لم يعد هناك ما يمكن أن يوقف (مصدق) فنادى بنفسه رئيسا للوزارة ووزير للحربية ، وعين كاشانى رئيسا لمجلس الشعب .

. و بدأت الحرب علانية على الشاه ! عزل مصدق كل الضباط الكبار الذين كان الشاه قد عينهم ونفى أقرباء الشاه خارج البلاد وفرض الرقابة على مكالمات القصر الهاتفية .

فى ذلك الوقت ارسل الامريكان ابن الرئيس السابق روزفلت ، وهوكيم روزفلت ، ليقوم بانقلاب عسكرى ضد مصدق .

فقد كان الامريكان يخشون سيطرة الروس على ايران كما كانوا يخشون تسلط رجال الدين المسلمين ..

وبمساعدة الجنرال زاهيدى وابن ارشيدير استطاع روزفلت أن يضمن ٥٠ ضابطا الى جانبه للقيام بالانقلاب ، لكنه كان ينظر اشارة البدء وبمعنى اخر ، كان ينتظر أن يقيل الشاه ، مصدق .

المخابرات الامريكية تقيل مصدق :

كانت خطة محكمة من تخطيط الـ CIA ، جهاز المخابرات الأمريكية ، فروزفلت كان عضوا فى الجهاز ، وهى خطة كان فيها الكثير من الجرأة والمخاطرة ، وتعتمد على الفوضى التى ستعم البلاد اذا أقال الشاه مصدق ، وتعتمد أكثر على المواجهات العدائية التى بدأت بشائرها بين رجال الدين المسلمين وبين حزب توده TUDEH الذى يؤيد مصدق ، حين اكتشف رجال الدين ان لاشىء يربطهم بالحزب وبمصدق سوى عداء التدخل الاجنبى وعداء الشاه نفسه .

كان الشاه قد بدأ **يتقوقع داخل نفسه ، تاركاً** الظروف تلعب لعبتها دون ان يتدخل ، وسقط فريسة لنوبات الاكتئاب التى بدأت تنتابه كثيرا ، بل انه كان يرفض مساعدة الذين كانوا يحاولون الوقوف الى جانبه ، او حمايته وكان يردد ، أنه أصبح فى النهاية ، وأنه لاجدوى من أى شىء !!

صحيح أن ثريا كانت فى قلبه ، لكنها فى النهاية ليست ايرانية تماما ، فهى فى داخلها وعاداتها ومشاعرها سيدة اوروبية اكثر منها ايرانية ، ولذلك فهى لم تشأ أن تقف الى جانب الملك فى أعز محنة ، بل سافرت الى اوروبا لتنعم بمصيف هادىء بعيدا عن الضوضاء وحاولت اقناع الملك أيضا أن يفعل ما فعلته ولو تطلب الامر أن يختار بنفسه المنفى عن بلاده فليفعل ، فهذه الفرصة المناسبة للهرب بعيدا عن كل هذه المشاكل !!

لكن الوقت كان قد فات .. فالشاه لم يعد بأمكانه الاختيار ، ولم يعد بأمكانه نفى نفسه (بكرامته) !! ولذلك فقد اضطر للهرب مع ثريا الى روما فى يوم (١٩) أغسطس مارا ببغداد ! ونزلا فى روما فى فندق (اكسيليسيور) والتقط الصحفيون الصور للشاه ، التى كانت تعكس تماما القلق والاكتئاب والاحباط الذى يعانيه ، وكان وجهه ، رغم صغر سنه ، يبدو وجه رجل عجوز مثقل بالهموم والسنين حتى يده التى رفعها للتحية ، كانت ترتعش ، ورغم أن مناصب كثيرة عرضت عليه ، الا أنه رفضها كلها !!

فى ذات اليوم الذى حطت فيه طائرة الشاه فى روما .. كان الشعب فى طهران يحتفل بسقوط الشاه .. وكانت الشوارع مليئة بالمهرجين ولابسى الأقنعة والممثلين ، وأمتلأت مدرجات مبنى مجلس الشعب بهم ، وكانت الموسيقى تعزف والغناء يعلو والتصفيق يغطى كل الاصوات وهتافات ضد الشاه ، وزغاريد ، واعتلى بعض المهرجين

اسوار مبنى مجلس الشعب .. ووسط هذا ، سمعت طلقات مفاجئة ، واخرج المتنكرون ولابسو الاقنعة مسدساتهم ورشاشاتهم وهتفوا على مدرجات المبنى . عاش الملك ، عاش الشاه ، ويسقط مصدق !!

استمرت الطلقات فى الهواء ووزعت النقود الذهبية وعليها رسم الشاه .. وألصقت المنشورات على زجاج السيارات .. وبدأ المشهد كله كأنه تمثيلة (فارس) من الطراز الاول !

بعد ثلاثة ايام نزلت طائرة تقل الشاه فى ايران وعزفت الموسيقى النشيد القومى ، وحين ظهر الشاه على أرض المطار ، هرع الجنرالات والضباط والوزراء يقبلون قدميه !!

وقال : (حتى وقت قصير كنت أظن أنى الملك ، بالوراثة ، ولكنى تأكدت الان أنى الملك بأختياركم أنتم) .

هذا ، بينما جاء فى تقرير المخابرات الامريكية مايلى :

(عملية اعادة الشاه للعرش تمت بنجاح ـ تكلفت العملية ٣٢ مليونا ، و٦٤٣ ألف ريال ، أى : ٣٩٠ ألف دولار !!

كتب هذا عضو المخابرات : كيم روزفلت !!..

لكن أحدث المسرحية كانت تتتابع وكان لابد أن يظهر مصدق فى نهاية الفصل الاخير ، كما يحدث فى أى مسرحية . فقد اختفى طيلة الاحداث الماضية ولم يحاول أحد اخراجه من الفيلا التى اختبأ فيها .. وظل على هذا الحال خمسة أيام كاملة كان يتوقع فيها أن يموت موتة الابطال ويشهد على موته العالم كله ، ولما لم يتح له أحد هذه الفرصة ، كان لابد أن يتصرف .

اتصل بزاهيدى تليفونيا وكان يقضى امسيته فى نادى الضباط وقال له ، أنه على استعداد لتسليم نفسه !

ورد عليه زاهيدى بأن يأتى بنفسه الى النادى ، بدلا من الاجراءات الرسمية ..

وفى ساعة متأخرة ظهر مصدق فى نادى الضباط ، ولكن .. بالبيجاما !!

وبدأ اكثر مرضا ونحولا عما كان عليه من قبل .

وقاده ارشادير زاهيدى الى والده . وكتم الجميع أنفاسهم وهم فى انتظار مسرحية هزلية ، وأن تحدث ، طالما ظهر مصدق بالبيجاما !!

وحين رأى مصدق زاهيدى الاب ، ارتمى على قدميه وهو يجهش بالبكاء فى

نشيج عال وصوت يسمعه القاصي قبل الداني .

وأمسك الجنرال بذراع مصدق ورفعه اليه وقال له . انك ستقدم الى محاكمة عادلة !! علنية !!

وانحنى مصدق يقبل يدى زاهيدى بحماس وامتنان شديدين !

وبعد ثلاثة اشهر وقف مصدق امام المحكمة . ولان المحاكمة كانت علنية فقد اخذ مصدق يشتم الشاه ووصفه بانه (حمار) ووصف المحامين بانهم (اولاد كلب) ..

واغمى عليه أكثر من مرة ، وانهار اكثر من عشرين مرة ، بين صراخ وتشنج وتأوه ، واستمر الحال على ذلك ٤٣ يوما لعب فيها تمثيلية جبارة رائعة شهدها العالم كله .. ثم تقرر أعدامه !

لكن الاعجب من هذه المسرحية هو أن الشاه الذى يمكن أن يطيح بأكبر ضابط عنده لأقل هفوة ، أصدر عفوا عن مصدق واقتصر الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنين ، وأما كل الباقين المتورطين معه فقد حكم عليهم بالاعدام ، ونفذ الحكم .

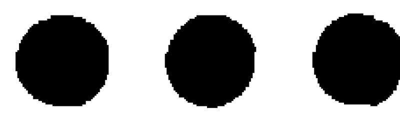
وفى سبتمبر ١٩٥٤ عقد الشاه معاهدة يكفل بها لايران ٤٠٪ من البترول بأسم الشركة الايرانية ــ الانجليزية للبترول ، على أن تعود كل المنشأت والمؤسسات وامتيازات التنقيب الى ايران .

وبهذا أصبح الشاه بعد ١٣ عاما من حكمه سيدا حقيقيا لبلاده ! لكنه لم يكن السيد الحقيقى فى بيته !! فقد كان عليه أن يواجه أزمة مع ثريا !

ولم تكن المشكلة تكمن فى تصرفاتها الصبيانية فحسب ، ولكن فى أحوالها النفسية ومزاجاتها المختلفة وانفعالاتها غير المحدودة ، مما كان يجعلها تقدم على تصرفات يدهش لها كل سكان القصر ، بل ويتفرجون عليها كأى عرض يومى !! عدا أن هذا كان يقيم القصر ويقعده فى ثوان معدودة !

وتم الطلاق !

لكن حب الشاه لثريا بقى حتى بعد أن تزوج للمرة الثالثة من : فرح ديبا .



ثالث زوجات الشاه : فرح ديبا .

أطلقت الصحف الاجنبية لقب (راعية الاغنام) على فرح ديبا بعد أن تزوجها شاه ايران .

وكانت غضبة والدتها شديدة وقالت : انت لست مولودة فى الشارع ولست راعية أغنام ، بل أنت من عائلة ايرانية عريقة ومعروفة .

كان زواجها بالملك فى يوم ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ واستمر زواجها حتى سقط التاج وسقط الملك ورحلت معه عن ايران فى ١٩٧٩ الى أن توفى خارجها ، وكانت نهاية حكم لرجل واحد استمر ٣٨ عاما كاملة .

ورغم أنها كانت الوحيدة التى وهبها الله أبناء للشاه ليكونوا ملوكا من بعده على عرش الطاووس ، الا أنه لا الابناء ولا الملكة استطاعت أن تضمن العرش !

قيل إن فرح ديبا تنتمى إلى عائلة من عائلات (الأشراف) أى لسلالة النبى صلى الله عليه وسلم .

أما اسم (ديبا) فقد كان لقبا لاحد أجدادها الذى كان يرتدى دائما عباءة من الحرير و (ديبا) تعنى الحرير :

ولم يكن للعائلات اسما معروفا فى ايران الى أن أمر الشاه رضا خان بأن يكون لكل أسرة اسم تعرف به ، فاختارت عائلتها اسم ديبا ، وسرى اللقب بعد ذلك !

وخلافا للتقاليد ، فان فرح ديبا لم ترتد (الشادور) او الملاءة السوداء ، طيلة حياتها وتعلل ذلك بقولها : (هذا الحجاب الكئيب الذى تختفى وراءه الايرانيات بحكم التقاليد) مما يدل على التفتح والحرية اللتين حظيت بهما منذ الصغر !! فنحن متدينون دون تعصب او تطرف .

وفرح ابنة وحيدة توفى والدها وهى فى التاسعة من عمرها ، ولم تعتمد على اتخاذ قرارات فى حياتها حتى بعد زواجها .

نشأت فرح ديبا فى (شاميران) وهى المنطقة التي حدث فيها بعد ذلك ، ذلك الحادث الذى هز حياة فرح ديبا حين تلقت الصفعة من الأميرة اشرف .

تعلمت البيانو فى الخامسة من عمرها كما حاولت تعلم الباليه أسوة ببنات العائلات الكبيرة ، وتعلمت السباحة ثم الموسيقى كعلم وفن فى باريس أثناء دراستها . وتروى عن أحداث فترة مصدق فتقول :

(اغتيل رئيس الوزراء الجنرال رازمارا ، وهزنا النبأ بعنف ، وتحولت المدرسة الى مأتم حزين ، لان ابنته كانت زميلتنا ، تلت ذلك موجة طاحنة من الاغتيالات والعنف معلنة عن بداية فترة حكم مصدق . أنا شخصيا لم أؤيده ، وبالرغم من شعورى بالفخر ازاء قرار تأميم البترول فان الحكومة واجهت من جرائه مشاكل مالية خطيرة ، وطرحت سندات الدولة للبيع ، ليساهم كل فرد فى سد النقص الخطير الذى تعانى منه الحكومة .

وفرضت الاحداث السياسية نفسها على كل بيت ، بل غيرت وجه البيت الايرانى .. انقسم البيت الواحد مابين مؤيد للقرار ومعارض له .. وانتشرت المعارك الطاحنة بين طلبة المدارس ، واستفحل الامر الى حد استخدام المدى والسكاكين ، واندس الشيوعيون ينشرون جرائدهم واشتركت الفتيات فى (الفوضى)

وتقول عن زواجها بالملك :

جاءت الدراسة فى باريس فى المرتبة الاولى بالنسبة لى ، ولم أشأ الزواج قبل الانتهاء منها فضلا عن أن تربيتى لم تهيئنى لاختيار الزوج ، فلم يكن للايرانيات كلمة فى هذا الشأن .

أما أنا فقد كان يتملكنى شعور غريب وثقة قوية بأننى لن أحيا حياة عادية ، وأن شيئا استثنائيا لاأدرى كهنه سوف يحدث لى ولكننى لم أتخيل أن يصل الى هذه الدرجة التى أعيشها اليوم .

الملك كان بالنسبة لى أسطورة أحببتها ، لان عائلتى غرست بذور هذا الحب داخل كل منا ، وأعجبت به لان أعمامى قاتلو ا فى سبيله فى أذربيجان ، كما كانت تعجبنى (ثريا) لجمالها ، وكنا نعلق صورتها الى جانب صورته على الجدران كسائر البيوت الايرانية ، ولكم تألمت يوم علمت بنبأ انفصالهما لعدم قدرتها على الانجاب ، ودونت فى مذكراتى : انها خسارة فادحة أن يطلق الملك الملكة .. ولم أتصور أن يحل

آخر مكانه ، إذا ما تنازل عن العرش من أجل الحب مثلما فعل ادوار الثامن .

وتتابع فرح ديبا :

بعد طلاق الملك بدأت كل عائلة تعرض بناتها عليه ، أو تنشر صورهن فى الصحف . وفى باريس كانت زميلاتى فى المرسم يداعبننى قائلات :

ولم لاتكونين انت زوجته ، وانت جميلة جدا !

وأرد مداعبة : ولم لا ؟ ابعثوا صورتى ، فربما وافق !!

حتى ان أحداهن كتبت لى مرة على ظهر كارت سياحى أحتفظ به حتى اليوم فى أثناء رحلة اسبانيا : (الى فرح ديبا .. التى ستصبح فرح بهلوى) ولكن لم يتعد ذلك الدعابة البريئة) .

وتحكى عن قصة لقائها بالملك فتقول :

(قابلت الملك لاول مرة فى سفارتنا فى باريس عندما أختار السفير بعض الطلبة المتفوقين ليقدمهم اليه .

ومن فرط الانفعال ارتديت ما رأيته محتشما ولائقا فى نفس الوقت : جونلة ضيقة من التويد الرمادى ، وبلوزة بكول صغيرة ، وأكمام طويلة فضفاضة ، وزهرة كاميليا علقتها على صدرى ، وعقصت شعرى للوراء مع قصة مجعدة تتدلى على جبينى .

حانت ساعة التعارف ، فمررنا واحدا واحدا فى الصالون الكبير حيث كان يجلس الملك ، ولما دنوت منه انحنى انحناءة خفيفة قبل ان يسألنى .

ماذا تدرسين ، قلت : ادرس الهندسة المعمارية يامولاى .

سأل : الا ترين أنها دراسة نادرة وشاقة لامرأة ؟

اجبت بأرتباك : بلى ، ولكننى لم اجد صعوبة كبيرة لاننى درست الفرنسية فى طهران .. جاء صوته هادئا رزينا ، وفى عينيه هالة من الحزن الصامت حاول ان يداريها ، ولكننى أحسست بها .

كان من الطبيعى أن ينسى هو هذه المقابلة ، كما أخبرنى فيما بعد .

وفى صيف عام ١٩٥٩ تدخل الحظ ليغير مسار حياتى ، اذ كان على أن اعود لقضاء الاجازة مع أهلى فى ايران لاعداد دراسة هندسية شاملة كلفت بالقيام بها كسائر زملائى واخترت احد مساجد أصفهان المعروفة ،واعددت المشروع كاملا متضمناً أدق التفاصيل الصغيرة ، حتى قطع الموزايكو الصغيرة رسمتها بعناية فائقة .

ولما كان عمى اصفنديار ديبا مساعدا للملك فقد قدمنى الى زاهيدى زوج الاميرة شهناز ابنة الملك من زوجته الاولى الاميرة فوزية .

كان زاهيدى يرعى شئون الطلبة الإيرانيين الذين يدرسون فى الخارج فقدمنى بدوره للاميرة شهناز التى دعتنى الى منزلها ، ثم جاء الملك ..

لم اكن غبية ، فقد فهمت الهدف الحقيقى من وراء هذه الدعوة ، وحينما رأيته مقبلا نحوى تيقنت أننى دعيت هناك ليرانى ، ولحسن الحظ بقيت طبيعية فى سلوكى تجاهه ، كما قال لى هو فيما بعد .. وبدأ يوجه لى بعض الأسئلة وكان لطيفا جدا أما أنا فكنت فى سعادة غامرة لرؤيته والحديث معه كأى انسان عادى ..

بعد ذلك تكررت لقاءاتنا فى منزل الاميرة شهناز ، ثم دعانى الملك للغداء معه فى القصر فى أحد أيام شهر سبتمبر ، وبعد الغداء حلقنا بطائرته الخاصة التى يقودها بنفسه .

حتى جاء اليوم الذى كنا نجلس فيه على الاريكة الصغيرة فى منزل الاميرة شهناز بعد انصراف المدعوين والاميرة وزوجها ، واذا به يخبرنى أنه تزوج مرتين ، واضطر للانفصال عنهما لاسباب (سياسية) ويسألنى ان كنت أقبل العيش معه ليس كزوجة عادية فقط ، ولكن كشريكة قلت .. نعم !

قال لى فيما بعد ، أنه قرر أن يتزوجنى منذ المرة الأولى التى رأنى فيها عند الأميرة شهناز .

لم أكن مفرطة الجمال ، لكنه يحب المرأة الطويلة وربما فكر أنه بزواجه منى سينجب أطفالا طوال القامة .

وبصراحة ، ولعلها جرأة منى ، أجد نفسى اليوم أجمل كثيرا من ذى قبل .

وتقول بعد ذلك :

حدثونى كثيرا عن الاميرة أشرف ، الاخت التوأم للملك التى لمست منذ اللحظة الأولى ذكاءها الشديد وشخصيتها الفريدة ووطنيتها المفرطة ونشاطها ، وقد بقيت دائماً لطيفة ومجاملة تغمرنى بالهدايا والرسائل من أى مكان تسافر إليه .

قالت عن فرح ديبا مينوريفيز ، سكرتيرتها :

(كانت فرح ديبا من الشعب ، لم تكن تملك المال ولا الالقاب النبيلة ، ولم تكن جميلة بالمعنى المفهوم ، كما أنها لم تكن متسلطة ، وأن كانت حادة المشاعر) .

أما مراسلة مجلة (بونته) الالمانية وهى (انجى بيهان) فقد قابلتها فى ايام (التاج) الاخيرة وكتبت تقريرها من هناك :

قالت :

دعونى أصف لكم السيدة التى اكتب عنها ، كما رأيتها :

هى طويلة القامة ، أطول كثيرا من الايرانيات العاديات ، وربما بلغ طولها ١,٧٣ مترا .

وهى ليست جميلة بالمقاييس المتعارف عليها ، فخدودها بارزة وأنفها عريض بعض الشيء وفمها واسع ، ولكنها تمتلك أجمل عينين فى العالم ، وحين تضحك شفتاها فكأنما أشرقت الشمس فجأة .

وقد يلجأ المرء الى بعض النكات أو الهزل فى أثناء حديثه معها ، وذلك لتحتفظ الامبراطورة بوجهها المبتسم المشرق أطول مدة ممكنة أمام عينيه .

حين استقبلتنى فى يوم لقائى الاول بها ، كانت ترتدى ثوبا أزرق بسيطا بثنيات بيضاء ، أما شعرها فقد كان مشدودا الى الخلف . وكانت تلبس اسورة (انسيان) عادية ولم تكن تتزين بالمجوهرات الثمينة فيما عدا قرطين من الماس فى أذنيها .

قادتنى عبر القصر . كان كل شيء فخماً ورائعاً وفاخرا : السجاجيد والشمعدانات واللوحات الزيتية ولوحات الجوبلان ، لكنها كلها تمتاز بذوق واحد غير عادى ، ذوق غير مألوف ، لكنه فريد فى نوعه ، وليس هذا بغريب ، فالامبراطورة كانت قد درست فن الهندسة المعمارية والديكور ؟

وتتابع (أنجى بيهان) :

لم تكن هذه السيدة لتشعرك بانها تتفوق عليك بأى شكل وبأية صورة ، وليست من النوع الذى يحاول دائما أن يسيطر على الحديث كله وعلى الاطراف التى تتحدث .

وحين واجهتها بهذا ، أطرقت موافقة وقالت بعد ذلك : انا فى الحقيقة خجول ، وكثيرا ماينتابنى الارتباك حين لاعرف ماذا ينبغى ان افعل وحين اذهب الى اى مكان ويصفق لى الناس ، أجدنى فى حيرة ، هل ارد على التحية ؟ ثم اقول لنفسى ، انهم لايحيون شخصى ولكنهم يحيون مركزى كزوجة الشاه أو كإمبراطورة !

واذا فكرت أن أجلس أو أختفى وراء زوجى ، أقول لنفسى ثانية : ان الناس قد أتوا خصيصا لرؤيتى فيجب أن أظهر أمامهم وأحييهم ، وعندها أقف وأبتسم وأحيى

الجميع .. لكنّ هذا كله فى الواقع ليس سهلا علىّ !!

تابعت الامبراطورة أثناء الحديث وجال فى خاطرى ، أن شيئا ما يعكر صفوها ، وأن هناك شيئا ما ينقصها ، رغم المجد والسلطان والثروة والشهرة .

وسألتها بسرعة ، عما اذا كانت تحس أن شيئا ما ينقصها !

لكنها نظرت بسرعة فى فنجانى ، واكتشفت أنه فرغ من القهوة فطلبت بسرعة فنجانا آخر .

ثم أجابت على سؤالى :

(تسألين عما اذا كان هناك شىء ما ينقصنى) !

نعم !! انه العلاقات الانسانية .

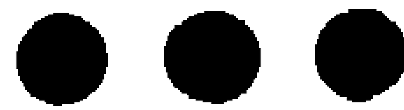
وهى صعبة المنال .. فليس من السهل أن تقوم علاقة انسانية عادية بين الامبراطورة وبين الناس العاديين ، وذلك بالرغم من أن كل فرد يعلم أننى من الشعب ، وأننى لست من سلالة ملكية .

فى الماضى كان من السهل جدا أن أعقد صدقات أما الان فتقوم حواجز كثيرة ، منها الاحترام الزائد ، والرسميات ، وأحيانا علاقات عداء غير مسببة ولا أفهم لها مبررا ، الا مجرد كونى ، امبراطورة .

وسألتها ، ماذا تطلبين من أصدقائك ؟

قالت : أن يكونوا مخلصين ، صرحاء ، لاتنقصهم الجرأة ، أما الشىء الذى لا أطيقه فهو النفاق .

قلت لها : ولكن ، الا تجدين أنه من الطبيعى أن يكون حول السلطة منافقون ! سكتت ولم تجب !!



شــــهود عيـــان عــلى
أواخـــر عهــد الامبراطوريـــة

من مذكرات السكرتيرة مينو ريفيز

كانت (مينو ريفيز) من اكثر المقربين الذين عملوا مع العائلة الملكية وقد عرفت الكثير من الاسرار داخل القصر الملكى وخارجه وقد جاء فى مذكراتها حوادث وأحداث شخصية نشرتها بعد هروبها الى انجلترا بعد قيام الثورة الايرانية وننقل هنا بعضا من هذه الاوراق :

الاميرة أشرف تصفع فرح ديبا :

ربما يبدو للوهلة الاولى اننى بطلة هذه القصة ، ولكنى لست كذلك . فقد أمضيت اثنى عشر عاما من عمرى ادور فى فلك انسان آخر ، هى (فرح ديبا) ..

أحببتها واحترمتها وماتزال حتى اليوم ، بطلة أحلامى التى هوت . لم أكن أناديها الا : (بصاحبة الجلالة) ونادرا جدا ما كنت أذكر أسمها حتى فى خواطرى ، مجردا .

كنت مديرة مكتبها للعلاقات الخارجية .. وكنت أستلم الرسائل وأترجمها وأرد أحيانا بالنيابة عنها .

كان أعجابى بها لايحد ، الى أن وقفت على حقيقة بطلتى ، أو بالاحرى على حقيقة الحياة التى تعيشها ، واستطعت أن أتعرف على التنازلات التى كانت تقدمها ، وتخضع لها بحكم موقعها .

وأبدأ بواقعة حدثت فى صيف عام ١٩٧٤ . واقعة لا أنساها ... كان ذلك فى (شيميران) وهو قصر فخم جدا فى شمال طهران .

(المعروف أن العائلة المالكة ورجال السفارات والدبلوماسيين والاجانب وأغنياء البلد وسراة القوم يسكنون فى شمال طهران . أما جنوب طهران فيسكنه الفقراء والعمال المطحونون الذين يعملون فى حقول البترول بأجور زهيدة ويعيشون دون مستوى الكفاف ،

ومعظمهم ممن هاجر من نواحى ايران ومن الارياف جريا وراء الثروة الوهمية ، لكنهم يعيشون فى أكواخ من الصفيح والكرتون ، وفى غاية من البؤس والتعاسة والفقر) !

كانت العائلة المالكة مدعوة الى حفل فى (شيميران) ضمن ١٥٠٠ مدعوا من كبار رجال الصناعة فى ايران ، وذلك بمناسبة زفاف ابنة أحد هؤلاء الكبار .

كان الحفل ظاهر الفخامة ، بديعا فاخرا .. وقد قدم العريس لعروسه هدية ، عبارة عن فيلا فى (بفرلى هيلز) وسيارة ماسيراتى وعقد من الماس لا يقدر بثمن ! ونص عقد الزواج على أن يدفع العريس حوالى ٣ ملايين دولار فى حالة الطلاق كمؤخر للصداق .

عشنا فى تلك الليلة حفلا اسطوريا ، نقل اليه مطعم (مكسيم) الباريسى الشهير البوفيه كاملا ، وازدانت حديقة القصر بالمشاعل والمياه الملونة وشرب الجميع الشمبانيا فى ذلك اليوم .

حضر الحفل ايضا توأم الشاه الاميرة أشرف بهلوى ، وهى سيدة دقيقة الحجم ناعمة تتمتع بسيطرة لاحدود لها .. وقد بدت فى تلك الليلة سعيدة لان الشاه لم يرافق الامبراطورة فرح ديبا الى الحفل ، بل رافقتها والدتها ،

فى حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل رقصت فرح ديبا .. مع جنرال (خاتمى) وهو زوج شقيقة الشاه ، الاميرة فاطمة ، كان الاثنان يرقصان بانسجام تام وكانا يضحكان بصوت عال .. ويبد وآن المشهد أثار الأميرة أشرف إلى حد أن وقفت فجأة أمام الراقصين السعيدين وأهانت الأمبراطورة فرح ديبا .. وهى فى حالة غضب شديد .

لم يسمع أحد رد فرح عليها ، ولكنها يبدو أنه كان رداً أفقد الأميرة أشرف توازنها فوقفت على اطراف اصابعها (لانها كانت قصيرة القامة بالقياس الى فرح ديبا) ورفعت يدها وصفعت الامبراطورة على وجهها .

انفعلت والدة فرح ديبا على اثر ما حدث ، ورغم أنها كانت معروفة للجميع بأتزانها الشديد الا انها واجهت الاميرة اشرف وقالت لها :

كيف تسمحين لنفسك ...!

لكن الجملة لم تكتمل ، فقد أسكتتها هى الاخرى ، صفعة قوية من يد أشرف رنت فى آذان الحاضرين وكان لها وقع الصاعقة .

ران وجوم صامت على المدعوين حين غادرت فرح ديبا الحفل بصمت والدتها ، بينما صاحت الاميرة اشرف بلهجة مرحة متشفيه وهى تصفق :

يمكنكم ان تتابعوا الرقص !!

تناقل العالم اصوات الصفعات وتوقع الجميع بوادر خلافات زوجية في الاسرة المالكة وكان منتظرا ان يثور الشاه لاهانة الشهبانو ، لكن شيئا من هذا لم يحدث .

الا أنه بعد عام تقريبا ظهر في الصحف نبأ صغير ، يقول ان الجنرال (خاتمي) وهو قائد القوات الجوية قد لقي مصرعه بطائرته في ظروف .. غامضة .!! وطوى الخبر !

نتابع مذكرات مينوريفيز :

نقفز الان عبر الاحداث .. ونعود الى قصر شاميران ، حيث جرت الحادثة التي آلمت السكرتيرة مينوريفيز ، فكتبت في مذكراتها تعلق على مارأته :
قالت :

لقد المتني الصفعات التي تلقتها الامبراطورة ووالدتها لمدة طويلة ، كأنني أنا التي تلقيتها ، ولكنني خدمت في البلاط ستة اعوام ، وقضيت في خدمة الامبراطورة نفسها عاما كاملاً **بحيث رأيت أكثر مما يمكن لفتاة من بيت طيب أن تتحمله .**

كنت من عائلة معروفة ، رغم انها ليست ثرية ، وكان والدى أستاذا في جامعة طهران ، وقد عشت في مدرسة داخلية بسويسرا ، وحين حصلت على الثانوية العامة كنت أتكلم الانجليزية والفرنسية والالمانية بطلاقة ، ثم التحقت بجامعة زيوريخ لدراسة أدب اللغة الالمانية وحصلت على وظيفة في السفارة الايرانية في برن عن طريق عمي الذى كان جنرالا في ايران .

كنت المساعدة الشخصية للسفير الايراني ، بالرغم من انني لم اكن أتجاوز ٢١ عاما فقط .. كان منصبا كبيرا ، لكنه كان أيضا منصبا مرهقا بالنسبة لي بحيث لم أستطع استيعابه نفسيا ولاجسميا .

ولو اقتصر الامر على توظيف امكاناتي واللغات التي أتقنها ، أذن لهان الامر لكن عملي كان أحيانا يمتد الى ١٨ ساعة يوميا دون انقطاع ، وكان في كثير من الاحيان يقتصر على تلبية طلبات البلاط القيصري وتحقيق رغبات ملكية كانت ترهقني وتطالبني أحيانا بأكثر مما أطيقه .

فقد كنت أجهز طائرات كاملة برحلات أضافية خاصة تحمل سيارات المرسيدس والرولزرويس الخاصة بالشاه وبعض أفراد العائلة المالكة وكذلك سيارات فيراري وماسيراتي ، بحيث كانت ترسل كطرود ديبلوماسية .

وحتى قطع الأثاث الدانماركى كانت ترسل بالطائرات الخاصة وكذلك المجوهرات الغالية والساعات الثمينة والادوية غير المتداولة ، أو المنشطة .

كنت أحب الشاه والشهبانو بصفة خاصة ، وكنت فى بداية الامر فخورة بالعمل فى خدمتها ، رغم المشاكل التى صادفتها .

وكان من أصعب المشاكل التى وقفت فى طريقى هى تصرفات المسئولين فى ايران تجاه المسئولين فى سويسرا ، فقد كان التفاهم صعبا بين رجال دولة ديمقراطية مثل سويسرا ، ورجال دولة ديكتاتورية مثل ايران .

ولم يكن أى من الطرفين ليستطيع فهم أسلوب الاخر ، فلا الايرانيون يستطيعون ادراك أبعاد اسلوب الحكم فى سويسرا ، ولا السويسريون يستطيعون أن يتفهموا ، كيف يمكن اخضاع كل شيء لديكتاتورية السلطة الحاكمة ، حتى الناس .

وقد رأيت فى العام الاول من خدمتى ماترتب على سوء الفهم المتبادل بين الحكام الايرانين وبين الحكام السويسريين .

فقد حدث مرة أن أحد كبار رجال البوليس السرى (السافاك) الايرانى أخبرنى أن (صاحب الجلالة) الشاه سيقضى اجازته الشتوية فى (سان موريس) بسويسرا ، وطلب منى أن أجهز (اللازم) !!

وحين سألته أن يعلنى بموعد وخطة طيران صاحب الجلالة لأتمكن من اتخاذ الاجراءات الضرورية ، رفض بأستنكار أن يفضى الى بأية تفاصيل !!

ازدادت دهشتى بالطبع ، اذ كيف يمكن أن (اجهز اللازم) وأنا لا أعلم حتى موعد طيران (صاحب الجلالة) !!

لكن رجل البوليس السرى طلب منى أن أحدد له موعدا مع رئيس البوليس السرويسرى وطلب منى أيضا مرافقته لاقوم بمهمة الترجمة لانه لايعرف الالمانية .

واستطعت بصعوبة بالغة تحديد موعد عاجل ، وحين جلسنا معا مع رئيس البوليس السويسرى ، نقل رجل السافاك الايرانى تعليماته اليه بلهجة آمرة مقتضبة ، وكأنه يلقى بأوامره الى مرؤوسه فى ايران !! وكان يضيف مع كل أمر : (أن صاحب الجلالة ، ملك الملوك ، شمس الشعوب الآرية ..) ولكنى كنت أترجم بأختصار : (صاحب الجلالة الشاه) ..

وقد بدأ احتدام الامور ، حين اعلم رجل السافاك ، رجل البوليس السويسرى ،

أن هناك أربعين شخصا سيرافقون جلالة الملك ، ولذلك يجب اخلاء طابقين فى فندق (جراند اوتيل دولدير) فى زيوريخ ، وسيكون فى حراسة الشاه وزوجته ٢٥ حارسا ، وبالطبع سيرافق كل هؤلاء أيضا عائلاتهم وأقاربهم .. وسأل عن عدد الحراس الخصوصيين الذين يمكن وضعهم لحراسة الشاه !ــ

أجاب البوليس السويسرى : عشرون !!

عشرون !!!..

ذهل رجل السافاك الايرانى للرقم (الضئيل) وفتح محفظته ووضع امامه قائمة طويلة واستدار متوجها الى قائلا :

(قولى له : ان هذه قائمة باسماء المعارضين السياسيين لجلالة الشاه !

ويجب على البوليس السرى ان يمنع دخول أى واحد منهم الى سويسرا أثناء تقضية الشاه لاجازته ، ويستحسن أن تمنع السلطات السويسرية كل الايرانيين من دخول سويسرا فى هذه الفترة !!

فما كان من رئيس البوليس السويسرى الا ان اتسعت عيناه عجبا ! ثم انفجر فجأة فى ضحكة عالية !! ولم يعلق .

والتفت الى أحد رجال البوليس الحاضرين وقال لى فى ضحكة مكتومة ساخرة : (اشرحى له ، أننا بلد ديمقراطى وأننا لانملك أية امكانيات أو سلطات ولو بسيطة نستطيع معها أن نعطى الاوامر لكل قنصلياتنا فى الخارج لتمنع اعطاء التأشيرة لللايرانيين الذين يريدون زيارة بلدنا لا ى سبب) !!

غضب رجل السافاك الايرانى من رد البوليس السويسرى ولم يفهم كيف لايجيبه الى طلبه مع أن هذا يتعلق (بصاحب الجلالة) ملك الملوك ، شاه ايران ؟؟

أما السفير الايرانى فقد فزع فزعا شديدا وخشى على منصبه الذى تسلمه منذ أسبوعين فقط ، بعد أن قضى أكثر من سبع سنوات فى التشريفات الملكية الخاصة بالقصر .

ومبعث فزعه أنه كان نتيجة خبرة هذه المدة يعلم تماما بكل المؤامرات التى تحاك فى البلاط ويعلم بمغامرات الشاه وعاداته ، ويعلم طبعا بالاضافة الى ذلك كيف يمكن أن (يتلاشى) أى انسان .. بسهولة !!

بعد هذه العاصفة من الاخذ والرد مع البوليس السرى .. تم الاتفاق !

وقبل أيام من قدوم الشاه حطت الطائرات الايرانية فى مطار زيوريخ تحمل حقائب الاسرة المالكة وخصصت طائرة كاملة لملابس الشهبانو وحدها !

ملحوظة ::

جاء فى مذكرات فرح ديبا التى دونتها فى كتابها :

أحيانا نسافر الى أوروبا لتزحلق على الجليد (دون أن يتعرف علينا) أحد ، حيث نحيا كسائر البشر ، وأنا أهوى تلك الحياة وذلك التغيير المتمثل فى أداء أبسط الاشياء كالسير فى الشوارع أو ارتياد مطعم أو دخول متجر ، حتى أننى أعتاد الوضع بعد فترة فأنسى من أكون ، واذا ما نظر الى احدهم تساءلت عن السبب .

وتقول :

(اطلقت بعض الصحف الغربية علينا لقب (أثرياء الحرب) كما لو كنا لانحمل وراءنا قرونا من التاريخ والحضارة .. ولاشك أن الكرم من شيمتنا !!

ففى اعماق اقليم بالوخستان يسكن هذا الفلاح المتواضع الذى يقتسم الخبز والملح مع أى مسافر بدون مقابل !

وتتابع :

وأعتقد أننا لن نستطيع إنفاق الأموال على هذا المنوال طويلاً ، فمنذ فترة بدأت سوق البترول تتقلص ، وبعناه بأقل مما قدرنا وبذلك قل دخلنا ، مما اسفر عن بعض المشاكل فى الميزانية ولكنها ليست مشاكل خطيرة !!

وقد حان الوقت (لربط الاحزمة) !!

فقد بدأ الصراع الفعلى فى كل مكان فى العالم ضد مرض العصر : الاسراف !!

ولابد من الاحتذاء بهم على المستوى الفردى والقومى ، ولكننا نجد مشقة كبيرة فى شرح هذا المبدأ لان الايرانى مبذر وكريم بطبيعته ، فاذا دعا عشرة أفراد أعد طعاما لعشرين فردا ، ويضىء عشرة مصابيح فى مكان تكفي ثلاثة مصابيح فقط ، وأنا نفسى أضىء الانوار بلا داع أينما سرت فى أنحاء القصر !

وتنقدنا بعض الصحف العالمية لان هناك ايرانيين يعانون من سوء التغذية أو يسيرون حفاة الاقدام أو لان معدلات وفيات الاطفال والامية فى ايران أعلى منها فى أوروبا ..

وبينما تتحدث فرح ديبا عن سياسة ربط الاحزمة ومعاناة الايرانيين والاسراف

فان الحقيقة هي ماتعيشه فرح ديبا وما وصفته مينوريفيز ، سكرتيرتها :

وصلت الطائرات المحمل سويسرا ومر الموقف بسلام . الا أنني في اليوم التالى تلقيت مكالمة هاتفية من مكتب طيران تقول فى دهشة :

لقد قدمت إحدى طائرات الشاه تحمل حصانين عربيين ، مع أنه معلوم أن الطائرة تحمل ملابس !! ومضى وقت طويل بين أخذ ورد مع السلطات السويسرية وحاولت أقصى ما يمكنني حتى استطعت أن أحصل على الموافقة بدخول الحصانين بصورة استثنائية .

وصل الامر الى درجة غاية فى الاهمية حين اخبرنى مكتب شركة الطيران أن هناك طائرة نزلت فى برن من زيوريخ ، والطائرة محملة هذه المرة ، ليس بحصان عربى ، ولكن بما هو أخطر من ذلك ؟ بصناديق مليئة بالاسلحة والمدافع الرشاشة ، وهى أسلحة تخص رجال الحرس الايرانيين .

وهنا علت نبرة المتحدث معى — وهذا ليس معهودا فى أدب السويسريين — وأخبرنى أنه يجب اعلام السفارة بصفة قاطعة أننا لن نغمض أعيننا هذه المرة وان الطائرة **يجب أن تعود بكامل حمولتها إلى إيران**

كان يجب أن أتفادى هذا بأى شكل ، فقد كنت أعلم تماما أنه لوحدث فان السفير سيخسر منصبه بكل تأكيد ، فحاولت تهدئة ثائرة العاملين بمكتب العلاقات الخارجية السويسرى بكل ما اسيطيع .

لكننى لم افلح هذه المرة فى حمل المسئولين السويسريين على العدول عن قرارهم واتصل السفير برئيس البروتوكول للوساطة ولكن بلا جدوى .. وغادرت الطائرة برن الى زيوريخ .

حدث كل هذا قبل أن يصل الشاه أو أى أحد من عائلته وأقاربه . كنا فى دوامة الاحداث والتعب وانتظار مفاجآت الزيارة الى أن جاء أخيرا اليوم الذى سيصل فيه الشاه بطائرته الخاصة (شاهين) .

انتظرت مع السفير نصف ساعة كاملة قبل وصول الطائرة ، حيث أعلمنى أنها زيارة خاصة جدا وأن قليلين فقط هم الذين يعلمون بها ولذلك فلن يتواجد الا بعض المستقبلين . وأراحنى هذا فقد كنت أريد أن أكون على مقربة من الشاه والشهبانو وكان السفير أكثر سعادة لان الشاه سيراه عن قرب وسيقدر له ما فعله !!

لكن الذى حدث كان أكثر من مفاجأة ، فقد تزاحم جمهور كبير فى مكان

الاستقبال الخاص بكبار الزوار مما أدهش رئيس البروتوكول السويسرى ، فقد حضر كل سفراء ايران فى الدول الاوروبية .!!

وحين حطت الطائرة وقفنا كطابور التلامذة .. واستقبل السفير الشاه والشهبانو اللذين نزلا من الطائرة بملابس رياضية .

ثم وقف السفير الى جانبى يعرفنى (بالاربعة) الذين يحيطون بالشاه ويكادون يلتصقون به ، قال هامسا :

الاسمر الطويل صديقه ، والرجل بالنظارة واللحية طبيبه الخاص والثالث وزير البلاط أما الرابع فهو (مهرج جلالته) !!

وحين استفسرت عما يعنى (بالمهرج) أمرنى بالسكوت ! أعطانى الشاه يده ثم الشهبانو وأبتسمت . تأملتها ، كانت خجولا مرتبكة ، لكن ابتسامتها كانت على شفتيها فقط ، ولم تطل أبدا من عينيها . رغم ذلك كنت أحب الامبراطورة . لكن لم أنسى (المهرج) أبدا .

حملقت فيه طويلا كان رجلا قصير القامة فى منتصف الاربعينات من عمره شعره منفر لكن عينيه كانتا تلمعان بقلق بالغ ولاتستقران على شيء .

غادر الشاه الجميع متجاهلا بصفة خاصة السفراء الذين أجتمعوا لاستقباله مما أثلج صدر السفير الايرانى بسويسرا ، الذى عدت لسؤاله عن المهرج ، وهل هو (مهرج البلاط) كما قال ؟

أجابنى بالايجاب ، وبداله الامر طبيعيا . أما انا فقد استنكرت أن يكون الامر طبيعيا ، فهذه عادة الملوك فى العصور الوسطى !!

لكن السفير أجابنى ، أن جلالته كثيرا ماتنتابه حالات اكتئاب ، وهذا المهرج يروح عنه !!

الا أنه اتضح لى أن الشاه يستطيع أن (يروح) عن نفسه حتى بدون مهرج . انتهت مراسم الاستقبال استقل سيارة فيرارى وانطلق بها ، فى الوقت الذى استقلت فيه الشهبانو الرولزرويس .. الفندق !

بعد أن عدنا من المطار ، خيل إلىَّ أن مشاكلى ومتاعبى التى سبقت قدوم الشاه قد انتهت .. وأن عملى أنا بالذات .. انتهى عند هذا الحد – وتنفست الصعداء .. على أمل أن أرتاح ، لكننى أكتشفت أننى أخطأت !!

فوجود الشاه فى سويسرا تطلب منى مجهودا مضاعفا لم أكن أبدا أتوقعه .

السفارة تعمل ٢٤ ساعة لتلبية مزاج الشاه وعائلته :

كانت الامبراطورة فرح ديبا تقضى أياما على الثلوج فى (سان موريس) **وكان** الناظر اليها يعتقد أنها سعيدة ، فقد كانت تتزحلق على الثلوج مدة طويلة تستمع الى الموسيقى من جهاز (ووكمان) المعلق فى رقبتها .

لكن أحدا لا يعلم أن الأيام الشتوية بين الثلوج ، كانت أياماً تفتقر إلى الدفء ، وخالية تماماً من السعادة . فقد كان الشاه يستمتع بأجازته بعيداً عن فرح ديبا فى أغلب الأحوال .

فى أحد الايام رن جرس التليفون فى غرفتى ، وكانت الساعات الرابعة صباحا ، **وكان المتحدث هو السفير ، الذى أخبرنى أن أحضر (مرهماً)** ضد الحساسية **يحتوى على الكورتيزون لأن الشاه يحتاج إليه .**

ولما أبديت دهشتى من طلب غريب كهذا ، أخبرنى أثناء الحديث التليفونى أن الشاه يعانى من حساسية فى جلد يديه تظهر على شكل مرض جلدى ، على شكل الاكزيما ، وهى تتكرر كل عام فى أوقات معلومة .

ويبدو أن أحدا قد أشار عليه (الان) بهذا المرهم .

قلت له ، ان هذا غير ممكن فالوقت مايزال مبكرا وجميع الصيدليات مغلقة ، ولكنه أوصانى أن أعمل ما بوسعى . ووعدته بذلك .

فى تمام الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى كنت أقف أمام أكبر صيدلية فى **برن ! BERN ، لكننى لم أجد المرهم المطلوب لجلالة الملك . لم أيأس وطلبت من الصيدلى بإلحاح ، أن يبحث عن مكان المرهم فى أية ناحية من نواحى سويسرا ، وفى أية صيدلية فى أى مكان ، لكن الصيدلى لم يستطع معرفة ما إذا كان المرهم أصلاً موجوداً ،** وأحضر لى ثلاثة أنواع من المراهم البديلة إلا أننى رفضتها . وحين عدت إلى السفارة صرخ فى رئيسى السفير غاضبا أن على أبحث فى سويسرا كلها وإذا إحتاج **الأمر أن أعبر** الحدود ، فليكن !

لم أغضب من رئيسى فقد كنت أعلم حالة الرعب التى كان عليها ، لاننا لم نحضر المرهم حتى الان .. ومن أجله فقط .. أنفقت طيلة اليوم فى التنقل من صيدلية إلى

أخرى دون يأس ، وعبرت الحدود إلى ألمانيا ولكن أحدا لم يتعرف على إسم المرهم .

أحسست فى ذلك الوقت أننى أشبه عروسة من العرائس الخشبية مربوطة بخيط يحركها إنسان مجنون !

وآلمنى هذا الشعور بالطبع ، وحين عدت فى الساعة السادسة بعد إغلاق جميع الصيدليات ، كان وجه السفير فى شحوب الموتى ، وبعد تفكير طلب منى أن اتصل بمكتب الجمارك ، فربما وجدنا أسم المرهم فى قائمة الادوية المستوردة .

لكن الوقت كان قد فات ! فجميع المكاتب قد أغلقت .. وفى غضبة هوجاء طلب السفير منى أن أتصل بمدير مكتب الجمارك شخصيا ، فى بيته !

وفعلت !! لكنه أسمعنى كل توبيخ ، وصرح بأنه لا يجد إلا المتاعب مع الديبلوماسيين الايرانيين ، وطلب منى أن أمهله حتى اليوم التالى حيث يكون فى مكتبه .. لكن السفير انتزع منى سماعة التليفون حين ترجمت له ما قاله ، وتكلم مع المدير بالفرنسية ..

كانت لهجته فى البداية عالية النبرة ، ثم تحولت ببطء إلى رجاء ثم إلى توسل ، ثم إنقلبت إلى إستعطاف ذليل .

لان المدير .. ووعد أن يبحث عن إسم المرهم فى القائمة بشرط أن نحضر له سيارة بسائق تذهب إلى المكتب وتعود إلى البيت . وكان ..!!

فى الساعة التاسعة مساء ، علمنا منه أن المرهم موجود فى الصيدليات السويسرية ولكن تحت إسم أخر ، لانه مرهم مستورد ، وغير سويسرى ، بل هو إنتاج أمريكى أو إنجليزى !

قام السفير باتصالات تليفونية مع السفارات الايرانية فى كل من واشنطن ولندن ، وأعلنت بالطبع حالة الطوارىء فيها من أجل خاطر مرهم الحساسية الذى طلبه الملك ! (الملوك) !!

وأخيرا علمنا فى صباح اليوم التالى أن المرهم موجود فى الصيدليات الانجليزية ، ولكنه متوفر فى الصيدليات السويسرية ، تحت إسم أخر !!

واعتبرنا المشكلة محلولة ، ولكن السفير لم يجروء على أن يشترى للملك دواء تحت أسم أخر ، ففى هذا قطع رقبته !!

وكان أن قامت (لجنة إيرانية) من سويسرا على أول طائرة إلى لندن واشترت (عشرين

أنبوبة) وعادت إلى زيوريخ ، حيث كانت تنتظرها فى المطار سيارة أقلتها فورا إلى سان موريس !!

وإنزاح الكابوس !!

كنت فى ذلك الوقت فى الثانية والعشرين من عمرى ، وحين إستلمت منصبى كسكرتيرة للسفير الايرانى فى برن منذ عام كانت أحلامى ما تزال وردية ، ولكننى أحس بها تذبل ،

كنت أتقن الألمانية ولهذا فقد كنت أعمل أحيانا ثمانية عشرة ساعة فى اليوم .. كان إحساسى فى البداية أننى أخدم بلادى يشجعنى أن أحتمل .. لكننى حين لمست كل شيء عن قرب وجدت أننى أخدم العائلة المالكة فقط وحاشية البلاط مما أصابنى بالأحباط .

فقد كان على أن أرسل الطرود الديبلوماسية بأستمرار ، محتوية على الساعات والمجوهرات والسيارات .. وكنت أرى كيف كانوا يهربون الافيون والهيروين ، وأحيانا كان أمرهم يفتضح لدى السلطات السويسرية ، فيكون من (واجبى) أن أفعل المستحيل لاخراجهم من الشرك !! إنقاذ إيران !

كنت أظن فى البداية بأن كل هذا يحدث دون علم الشاه ، ولكننى أدركت مع الوقت أن للشاه والعائلة طلبات تفوق فى غرابتها طلبات المحيطين به !

كان أملى الوحيد يتركز فى فرح ديبا ، فقد كانت هى المرأة الوحيدة الفارسية التى جلست على عرش الطاووس بعد الأميرة المصرية فوزية والأميرة ثريا ، التى كان يجرى فى عروقها الدم الألمانى .

فى أثناء الرحلة الملكية حديث ضجة كبرى ، فقد قبضت السلطات السويسرية على الصديق الشخصى للشاه وهو الأمير DAWALU وكان يرأس مركز تصدير الكافيار ، لكن السلطات عثرت فى منزله على كميات كبيرة من الافيون ..

لم نفلح هذه المرة أنا والسفير فى عمل أى شيء بهذا الصدد رغم مباحثاتنا الطويلة ومحاولاتنا وتوسلاتنا إلى أن تدخل مدير المراسم فى مكتب العلاقات الخارجية ، وبعد أخذ ورد عنيفين بين إيران وسويسرا أفرجت السلطات السويسرية عن الأمير بكفالة بلغت عدة ملايين من الدولارات !

كان يمكن فى أى بلد آخر أن يحاكم الأمير من قبل حكومة بلاده لاساءته الشديدة

لسمعتها ، لكن هذا لم يحدث . فلم توجه حتى بادرة لوم للأمير ، وإنما كان الذى وجهت إليه مسئولية الفضيحة كلها هو السفير الإيرانى !!

وكانت التهمة الموجهة إلية ، أنه لم ينجح فى كنس القاذورات تحت السجادة ، كما يقول المثل ، أى لم يتستر عليها فى الوقت المناسب ..

وقد عوقب على هذه التهمة (الخطيرة) بأن أستدعى إلى طهران ، ثم أختفى بعدها .. تماما .

وصل السفير الجديد ، وكان من النوع البارد الخطير ، وكان الجميع يعلمون أنه يعمل منذ فترة مع السافاك ، جهاز البوليس السرى للشاه !

بعد عدة أيام من وصول السفير ، وصلنا نبأ من سان موريس يقول :

إن الشاه قد إختفي .. ولايعلم أحد أين هو ! ويتساءلون ، إن كان فى السفارة ! وحين أبلغت السفير بالأمر بكثير من الجدية والانفعال والاهتمام ، لم أجد على وجهه بادرة أهتمام أو أزعاج ، وهو الذى يثير الدنيا ويقيمها ويقعدها لاصغر الأسباب .

ولم يتعد الأمر أن قال بهدوء وبرود شديدين :

لن نقوم بعمل شيء — فجلالته سيظهر ثانية فى سان موريس هذا المساء !

سألته ، من أين يعرف هذا ، هز كتفيه وقال : إنى أعلم !

وأخبرنى بعد ذلك أن الامبراطورة السابقة (ثريا) تقوم بأجازتها الشتوية فى جستاد التى لا تبعد كثيراً عن سان موريس .. (إذن ، فهو يقابل ثريا) ، سألت السفير بسذاجة !

أجابنى : طبعا إنه ما يزال يحبها !!

وتذكرت فرح ديبا ، المسكينة ، وانتابنى ألم شديد فى المعدة وأحسست بالغثيان !

لماذا تورطت فى هذه الشبكة من الفضائح والفساد والمؤامرات ؟

إن ما أتقاضاه من عملى المرهق لايساوى أكثر من ١٣٠٠ فرنك شهريا ، مما لايكاد يكفينى إلا للمعيشة الضرورية ولاستئجار غرفة بسيطة متواضعة تصلح للنوم .

ولو لم يكن والدى يرسل لى معونة مالية من وقت لأخر لما أستطعت أن أشترى حوائجى وملابسى الضرورية التى تليق بمركزى فى السفارة وأنا أستقبل كبار الشخصيات الإيرانية والأجنبية .

ولكنني حين رقدت فى غرفتى الصغيرة هذا المساء صممت على أن أنهى هذا كله ، فلم أعد أطيق الإحتمال .

لم أذهب إلى العمل وقررت الإستقالة . لكن السفير أرسل فى طلبى بعد أيام ، ثم جاء هو بنفسه مع رجل لاأعرفه . كان الرجل ضيق العينين يرتدى حذاء لامعاً شديد السواد حدست فورا من يكون ..

وعرفت أن التراجع أمر لابد منه .. فلم أملك إلا العودة للعمل .. لكن أحدا لم يستطع أن يتجاهل أنى تغيرت تماما ، وكان معلوما أننى أصبحت أرفض أن أقوم بأى عمل غير عادى ، وأننى لم أعد أوافق على كل ما يفعل .

كان طبيعيا أن يستاء السفير من تصرف هذا ، وأعتبره ضد أخلاقيات العمل الذى وكل إلىّ ، ولهذا طلب بديلا لى ، على أن أقوم بمراجعة بريد الشهبانو فرح ديبا الخاص .

سعدت جدا لهذا ، فقد كنت معجبة بها بشكل خاص ، وأعتبرت عملى الجديد تكريما لى ، بالرغم من أننى الأن أبذل أضعاف المجهود الذى كنت أبذله فيما مضى

وذلك لأن الملك والملكة اعتادا أن يقضيا كل شتاء فى سويسرا . والأجازة الملكية تبدأ عادة من منتصف يناير تقريباً وحتى قبل عيد الربيع فى ٢١ مارس حيث يعودان إلى طهران ليقضيا هناك عيد النيروز أو عيد الربيع . كان القيصرة تتلقى أكثر من ٢٠ رسالة يومياً أثناء قيامها فى سويسرا تحتوى فى معظمها على شكاوى وطلبات كما كانت تصلها رسائل يتذمر فيها أصحابها من الحال التى وصلت إليه إيران والطريقة التى تعيش بها عائلة بهلوى .

كنت أرد على الرسائل بنفسى غالبا دون الرجوع إلى الأمبراطورة ، إلى أن طلبت فى يوم أن تتعرف على لنتحدث فى أمور بريدها الخاص .

وأنتفض قلبى من الفرحة ، فقد كان أقصى أحلامى أن أقابلها .

حين حان موعد لقائى بها لم أستطع أن أملك نفسى من السعادة . حملتنى (سيارة رولزرويس) الملكية .

كانت السيارة مبطنة بأفخر أنواع الجلد ، وكانت كل معداتها من الذهب الخالص . نقلتنى إلى حيث كانت الأمبراطورة تقيم فى فيلا (سوفريتا) التى إشتراها الشاه فوق فندق سوفريتا الفخم وتكلفت خمسة ملايين فرنك سويسرى عدا نفقات تأثيثها . فقد أحضر لها الأثاث خصيصا من فرنسا والدنمارك ، وبلغ ثمنه فوق مايتصور

أخيرا .. قابلت الأمبراطورة :

حين وصلنا الفندق ، كانت غرفتى محجوزة ، وتهيأت تماما لمقابلة الأمبراطورة .

نزلت إلى القاعة لمقابلة السفير الذى سيصحبنى إلى هناك ، لكننى لم أجده .
سألت عنه ، فأشاروا إلى بأن سعادته فى بار الفندق مع بعض (الشخصيات الإيرانية) .

دخلت البار الذى كان صغيرا ، وفى أحد الأركان رأيت السفير جالسا مع وزير الخارجية الإيرانى ووزير البلاط وطبيب الشاه الخاص ، وعلى نفس المائدة جلست سيدة شقراء يحيط بها فراء أبيض !!

لم أتعرف على السيدة فقد كانت تدير لى ظهرها وكان الجميع يتحدثون إليها بأهتمام .. وكانت تضحك بصوت عال !!

كنت واقفة أمام الباب فى حيرة شديدة لأدرى ماذا أفعل ، وهنا لاحظ السفير وقوفى فاستدار لى قائما وإستقبلنى بحفاوة لفتت أنظار الحاضرين ، فالتفتت السيدة ذات الفراء الأبيض ، فوجدتها الممثلة الفرنسية الشهيرة : (برجيت باردو) !!

دهشت ، وحين سألت بعد ذلك عن سبب وجودها بينهم وعما إذا كانت تنتظر المقابلة ، أجابنى السفير ، أجل ، كانت تنتظر المثول بين يدى أصحاب الجلالة ، ولكن بين يدى (الشاه) وليس الشهبانو !!

اعتقدت للوهلة الأولى حين زرت الفيلا أن فرح ديبا هى التى قامت بتغيير ديكور وأثاث الفيلا حسب مزاجها وذوقها ، فقد بلغ اهتمامى بهذا الأمر حداً كبيرا وذلك لأننى درست الديكور فى باريس ، لكن السفير ضحك من سذاجتى وأخبرنى أنه كان يرافق الشاه فى أول جولة داخلة الفيلا بعد تجديدها ، ودخلوا جميعا الغرفة الخاصة بالملك والملكة .. كانت غرفة فاخرة الاثاث ، وكانت هناك باقات من الورد فى كل مكان ، وكانت هى الورود المحببة الى الشهبانو .

لكن الشاه تغيرت ملامحه حين رأى الورد ، وقال ساخرا ، كيف خطر على بالكم أن الأمبراطورة ستكون معى فى هذه الغرفة !!!

حين سرد علىَّ السفير القصة أحسست بالامتهان الشديد ، تماماً كما أتوقع أن تكون الشهبانو قد أحسته أمام الجميع !!

قابلت القيصرة أخيراً عن قرب .. لماذا يقولون عنها أنها ليست جميلة ؟ إن لها عينين سوداوين معبرين وأهداباً طويلة وكتفين عريضين وقواماً معتدلاً .

صحيح أن وجهها يوحى بالجدية ، ولكنها حين تبتسم تبدو جذابة جدا ، وللأسف فهى لاتبتسم إلا نادرا .. وهى القيصرة !!

فى طريقى إليها كنت أفكر بلا إنقطاع فى الفرنسية الشقراء برجيت باردو التى قابلتها مع رجال البلاط الإيرانى فى بار فندق سوفريتا تنتظر الشاه ، وقارنت رغما عنى بينها وبين فرح ديبا !!

قبل المثول بين يدى الشهبانو أنتظرت مع السفير فى غرفة إستقبال صغيرة ، وكان فى الغرفة كومودينو صغير عليه صور الشاه مع أولاده الأربعة ، ثم فتح الباب وطلب الى المثول بين يديها ..

أخيرا :

كانت ركبتاى ترتعشان حين رأيتها . كانت ترتدى بنطلونا من التويد الفاتح اللون ، وبلوفر من الموهير الأصفر وكان وجهها متورداً ، وقالت بسرعة ، أنها قادمة لتوها من رياضة الانزلاق على الثلج .

لاحظت أن السفير يرتعش بل تصطك ركبتاه وكل ما فيه من رأسه الى قدميه وهو يقدمنى إليها .. وحين أنحنيت لها كاد قلبى ينخلع .

بعد أن طلبت لى الشاى إبتدأت حديثها معى عن البريد ، ولاحظت أنها تكلمت بسرعة وبلا أهتمام عن رسائل الملوك والروءساء وكبار الشخصيات ، ولكنها تأنت طويلا حين إبتدأت الحديث عن رسائل الإيرانيين وأصحاب الحاجة .

كانت تتحدث عموما بنبرة منخفضة هادئة عميقة ، ولاحظت بتمييز شديد هدوء حركاتها ، ولاحظت أيضا أنها كانت تتعمد الابتسام بين حين وآخر فيشرق وجهها كله ..

أستغرق لقائى معها ساعة ، وحين أعطتنى يدها تودعنى قالت لى : (إنك متعددة المواهب وأعتقد أنك ستكونين ذات نفع كبير لو عملت فى بلدك إيران)

عدت إلى برن .. ولاحظت كيف تغير لون أيامى من الرمادى الداكن إلى اللون الأزرق السماوى والأخضر المشع البيهج . كنت ممتلئة بالامل والإيمان بعد مقابلتها ، وتصاعف حبى لها وإعجابى بها .

فى ذلك الوقت كان السفير فى حالة إضطراب عام ، فقد كان عليه أن يتفادى فضيحة سببتها الأميرة شهناز أبنه الشاه من زوجته الأولى فوزية. وإلا فسيكون مصيره هو مصير السفير الذى سبقه ، إذ يبدو أن السفراء لايقالون إلا بفضيحة يسببها أحد أعضاء الأسرة المالكة ولا يملكون تفاديها قبل انتشارها .

خطيب الأميرة شهناز يرفض قص شعره :
والشاه يطلب طبيب أسنان من سويسرا :

كانت الأميرة شهناز قد طلقت من زوجها الأول ، وكان من أعوان الشاه ، وطبيعى أن يتقبل الشاه هذا الأمر على مضض ، لكن الأميرة شهناز قبلت خطوبة فنان إيرانى شاب ، وأتفقت معه على الزواج ، فما كان من الشاه إلا أن هدد الأميرة شهناز بطردها من البلاط الملكى ، ويبدو أنها ردت على هذا بأستخفاف ، وعلى من فى القصر والبلاط الملكى ، وغادرت البلاد مع خطيبها إلى سويسرا حيث أقامت فى مسكن صغير جميل على بحيرة جنيف .

كانت الأمبراطورة فرح ديبا هى التى حاولت بكل الجهد إقناع زوجها بالصلح مع إبنته ، فهى أخت أولادها فى نهاية الأمر ، وكانت تكن لها مودة خاصة .

لان الشاه ووافق على مقابلة الأميرة ، بل أنه أبدى إستعداده لتنصيبها (حاكمة) على مقاطعة إيرانية ، وصدرت تعليمات للسفير بتقديم كل المعلومات التى تخص خطيب الأميرة وجمع ما يمكن معرفته والحصول عليه عنه .

ولكن .. لم يكن فى التقرير الذى قدمه السفير أى شيء يمكن أن يرضى الشاه . فقد أثبت أن (الشاب) تقدمى وله آراء متحررة ويميل إلى الشيوعية ، وتصرفاته غير محافظة ، وبالإضافة إلى كل ذلك فهو يدخن (الحشيش) لكن أكثر ما سبب إزعاجا للشاه ، هو أن هذا الشاب يصر على أن يطيل شعره ..

وتلقى السفير مايفيد آن الأميرة شهناز وخطيبها مدعوان لمقابلة جلالة الشاه ، ولكن تحت شرط واحد ، هو أن يقص شعره .

وانتقل السفير بنفسه إلى جنيف ليحمل الرسالة ، لكنه عاد فى آخر النهار ، وكان شاحبا مصفر الوجه ، محطما وعلى حافة آخر درجة من درجات اليأس .

فقد أبلغه خطيب الاميرة الفنان أن الامر عنده لايقبل التفاوض ، فاما أن يستقبله الشاه بشعره الطويل ، وإلا فأنه يتنازل هو (شخصيا) عن هذه المقابلة .

ثم خطرت للسفير فكرة طريفه بعد تفكير مضن ، وهى أن يستدعى أبرع كوافير فى سيويسرا ويتركه فى بيت الأميرة إلى أن يقنع الفنان بقص شعره .

وبالفعل ، فمالم يستطعه تهديد (ملك الملوك) بكل (جلاله وقدره) ، استطاعه الكوافير .

فهو لم يكن يهمه أن ينتظره الشاه ، ليس يوما ، بل شهرا ، ولكن الذى كان يهمه هو ألا يؤذى مشاعر الكوافير الفنان وألا يضيع وقته ، بالايدعه يرجوه مدة طويلة ، ولهذا فقط ، وليس من أجل (ملك الملوك) رضى الشاب الفنان أن يقص شعره .

وعاد الشاه وزوجته إلى إيران .. وتوقعنا أن ننام بعد كل هذه الشهور .. لكن الهدوء لم يستمر أكثر من أسبوع بعد سفرهما إلى طهران .

ففى أحد الأيام وكانت ليلة يوم الأحد ، العطلة الرسمية ، كلمنى السفير هاتفيا بعد منتصف الليل وأبلغنى الآتى :

(جلالة الشاه ، ملك الملوك ، شمس الارانيين (ولم يكمل الالقاب) يعانى من ألم فى ضرسه .. وعليك الاتصال بطبيب الأسنان السويسرى هذه الليلة لترتيب سفره إلى طهران اليوم) !!

رقدت فى غرفتى الصغيرة وأخذت أحملق فى ذهول وغضب وغيظ شديد إلى السقف . ماذا يظن نفسه هذا الملك ؟

وكيف أستطيع أن أوقظ (مواطنا سويسريا) فى منتصف ليلة الأحد لان ضرس الشاه يؤلمه على مسافة آلاف الأميال ؟

لكننى أبتلعت غضبى ، ورغما عنى أتصلت بالرقم المطلوب ورد صوت نسائى يقول :

(إن زوج أبنتى فى أجازة) !!

أبتدأت ــ كالأطفال ــ فى التوسل والرجاء والأستعطاف إلى أن أعطتنى رقم هاتفه فى مقره حيث يمضى أجازته . ولم أكد أنهى المكالمة حتى أتصل بى السفير غاضبا وأنبنى لأنى (أتسلى) بينما جلالة (ملك الملوك) يتوجع من ضروسه !!

أتصلت بالطبيب ، وجاءنى صوته هادرا غاضبا ثائرا يكاد ينفجر ، رغم أنى أعرفه هادئها مهذبا مجاملا ، وبعد أن أبلغته الأمر ، صرخ فى بأعلى صوته : (أسمعى

ياآنسة !! لقد فاض بى منكم ومن ملككم . أبلغى رئيسك أنه لايوجد إنسان فى العالم يستطيع أن يقطع أجازتى ولاحتى الملك نفسه !)

وعدته بمكافأة مالية ملكية ، لكنه رفض قائلا : (إن الشاه ليس زبونه الوحيد وأن هناك كثيرين غيره ، وأن من حقه أن يأخذ أجازة من الجميع ، وعدا ذلك فهو لن يترك زوجته وحيدة فى أجازتها من أجل خاطر الشاه) عرضت عليه أن ترافقه زوجته ، ولتكن اجازة لهما معاً فى طهران !!

وبعد أخذ ورد وإغراء مالى وتنازلات من جانبى تمت الموافقة بعد أن أشترط أن أرسل له (تاكسى هوائى) لينقله ، وأن يكون الحجز فى الطائرة بالدرجة الاولى .. ووافقت على كل شرط .

وحين أبلغت السفير تلفونيا عما تم الاتفاق عليه ، سمعت بوضوح صوت تنهيدة أرتياح ؟!

سمعت وأنا فى المستشفى بعد ذلك أن طبيب الأسنان السعيد ، الذى عالج ضرس الشاه ، قد أعطيت له عدا المكافأة الطائلة سجادة حريرية فاخرة ورحلة مدفوعة التكاليف لمدة أسبوعين فى أنحاء إيران ، تنقل أثناءها بين أكثر المدن مع زوجته ..

كنت أقرأ فى الصحف السويسرية عن الحياة الاسطورية التى تعيشها عائلة البهلوى ، وأصبت بإحباط ويأس شديدين ، ما كنت لأحس بهما لو كنت فى إيران ، حيث الرقابة شديدة على الصحف .

أنتابنى غضب بعد حادثة الطبيب : إلى متى أشغل وقتى بمثل هذه الأمور الصغيرة ؟ وإلى متى أجهد أعصابى من أجل أفراد العائلة المالكة لامور تافهة ، وأهدر كرامتى وأتوسل لكل الناس !

علمت فى سويسرا أن الشاه أعد أكبر جهاز للمخابرات فى العالم وهو (السافاك) حيث بلغ عدد العاملين فيه أكثر من ٥٠ ألف شخص وأن السجون فى إيران أمتلأت بالمعارضين السياسيين ، وكتب الصحف الأجنبية عن أبشع وسائل التعذيب التى كان يستخدمها السافاك فى تلك السجون ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه الشاه وعائلته والمقربون منه هم الذين يستمتعون بدخل البترول الذى يبلغ المليارات كل عام ، ولم يكن هم الشاه إلا أن يؤسس أكبر أمبراطورية فى الشرق الأوسط .

تتويج الأمبراطورة :

تذكر هنا مناسبتين كبيرتين استمتع فيهما الملك والعائلة :

الاولى هي تتويج فرح ديبا أمبراطورة على إيران ، لأول مرة منذ قرون عديدة ، والثانية هي أحتفال إيران بمرور ٢٥٠٠ عاما على إنشاء الدولة الفارسية .

تقول فرح ديبا وتصف تتويجها في كتابها ! ألف يوم ويوم :

(بدأنا الاعداد لواحد من أهم أحداث إيران المعاصرة . ولم نجد في البروتوكولات القديمة التسلسل الدقيق لاجراءات التتويج ، فبحثنا في الوثائق القديمة لعلنا نهتدي لما يناسب الظروف الحاضرة والتاريخ الحديث وخاصة أنها المرة الاولى التي تتوج فيها أمبراطورة لإيران منذ قرون عديدة ، مما يستدعي مزيدا من التفكير والدقة : ماذا أرتدي ؟ وأي تاج أضع على رأسي ؟

وأخيرا قررت أن يشبه تاجي تيجان آل بهلوي وخاصة ذلك الذي يرتديه رضا شاه ، واستدعينا أمهر الصائغين وأشهرهم وعرضوا على رسوماً عديده اخترت منها أجمل تصميم ، وكان من تصميم أربل وفان كليف ، وقد أستطاع اربل بعد قدومه إلى طهران أن يجد في خزائن ميلي الأحجار الكريمة التي يحتاج إليها وهي الزمرد والآلىء والماس .

وأنتقيت ثوبا أبيض بسيطا فيه الروح الايرانية وصممه على الورق الفنان مارك بوهان من بيت أزياء ديور وقامت بحياكته وشغله حائكات إيرانيات ، ونظرا لطول الذيل الكبير إضطرت الحائكات للعمل في نادي الضباط حيث توجد المناضد الضخمة التي تفي بالغرض ، ووفقاللتقاليد الإيرانية أخترت معطفا طويلا من القطيفة الخضراء وهو اللون المفضل لخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم! لم يهتم زوجي كثيرا بهذه التفاصيل .

فقد انصب اهتمامه الأول على ولي العهد الذي قررنا أن يرتدي بذلة رسمية ويحمل سيفاً صغيراً كان محمد رضا نفسه يحمله عند تتويج رضا شاه الأب .

وأخيرا جاء دور التنسيق للتفاصيل الدقيقة الخاصة بالحفل مثل ترتيب الدخول ومن يعطي الملك التاج ومن يعطيه الحزام ومن يعطيه الصولجان ، وأعددنا كل شيء بحيث ينتهي خطاب الملك وقت الظهيرة حين ينادي المؤذن للصلاة .

وقمنا بتجربة واحدة للحفل جعلته كاملا إلا من بعض العيوب الصغيرة التى لم يلاحظها أحد :

فحين حان وقت ارتداء الملك للحزام الإمبراطورى خلع حزامه الرسمى ولم يكن هناك من يتلقاه منه فسقط على الأرض ، وكان تاجى قد وضع بطريقة خاطئة فبرز من شعرى مما جعل مصفف الشعر يستشيط غضباً .

وكان مفروضا أن يعد قصر جولستان إحتفالا بالمناسبة الجليلة وقد أنقذته المناسبة لأنه كان آيلا للسقوط .

ودخل ولى العهد أولا إلى البهو يحيط به الحرس الحربى والمدنى ويتبعه رجال القصر ثم جاء دورى فأقبلت تتبعنى سيدات الشرف بملابسهن البيضاء الجميلة ، وبعد أن أتخذ كل موقعه ظهر الملك وسط عاصفة مدوية من التصفيق والهتاف ، وخيم الصمت والخشوع حين بدأ الأمام يتلو الآيات القرآنية ، وبعدها أرتدى الملك شعار الامبراطورية الحزام والسيف الذهبى المطعم بالاحجار الكريمة والمعطف الكشمير المطعم باللآلىء ويمنتهى الرزانة والاعتداد وضع التاج فوق رأسه ، وتوج نفسه ، كما توج والده نفسه من قبل !!!

ثم ناولوه صولجان الملك فى يده ، وجاء دورى فدنوت منه وأنحنيت ليتوجنى ثم جلس على العرش الطاووسى الشكل .

وارتفع صوت المؤذن فى سماء طهران وركبت العربة الملكية مع الملك فى المقعد الامامى وركب ولى العهد وحده فى المقعد الخلفى ، وحين أنطلقت الجياد أوشك التاج أن يقع !

وتقول فى معرض آخر للحديث :

قبل حفلات التتويج مباشرة قدم لى الدليل الحى على ثقته فى : فقد نصبنى وصية على العرش ! إذا توفى — لاقدر الله — قبل بلوغ ولى العهد السن القانونية ، ولهذا جمع منذ عدة سنوات كبار المسئولين المدنيين والعسكريين ليعرض عليهم وصيته السياسية وما ينتظره منهم فى حالة وفاته !؟

ولو أننى وأثقة بأن غيابه سيعقد الأمور كثيرا ، فإيران دولة لا يمكن تجاهل مكانها على الخريطة ، وإذا لم يكن هو موجودا للدفاع عن مصالحها ، فإن كثيرا من الدول الأجنبية ستحاول التدخل لبسط نفوذها .

وفى الداخل ، من يدرى أية مطامع أن تظهر !!

أن القلق من هذه الأخطار المتوقعة هو الى دعا زوجى لأن يحرر تحديد خلف مسبق له .. وحين فكر أن يبعد رضا عن كل هذه العصابات والشللية ، وجد أن الشخص الوحيد الذى يمكن أن يكون أكثر قربا وأقدر على العمل لمصلحته هو أمه ، أنا !

فوقوفى إلى جانبه ومشاركتى أعماله يجعلنى أفضل من يفهم فلسفته ويعمل على إستمرارها .. ثم إنه يعلق أهمية مشاركة الشعب المتزايدة فى سياسة الاستقلال والتقدم لانها ستكون أكبر سند لى حتى لو ظل هناك بعض الرجعيين الذين مازالوا يقفون ضد مشاركة المرأة فى الحكم .

وأعتقد أننى أعطيته الدليل على أخلاصى وتفانىّ طوال ثمانية عاما ، فإذا حدث أن وقعت المأساة ـــ لاقدرالله ـــ فسأهب نفسى كلية للمحافظة على (مكتسبات ثورة الشاه) والدفاع عنها حتى آخر قطرة فى دمى !!

وقد وضع الملك كل الخطوط والضوابط التى تستطيع إيران من خلالها التقدم بدون الأعتماد عليه ، وأنا أدعو الله بكل قواى ألا أعيش مثل هذه الظروف !!

هكذا احتفل الملك بتتويج الملكة .. ربما لانه كان قد نجا منذ عامين فقط من محاولة جادة لاغتياله حين أطلق عليه أحد أفراد الحرس الملكى .. الرصاص !

أما عن تلك فيكتب المراسلون ، أن الشعب كان يعانى من الضغط السياسى الرهيب ومن حالة (ربط الحزام) على البطن !!

وفرضت الاوضاع الاقتصادية الرهيبة أشكالا من الحصار حول الشعب .. بينما كانت العائلة المالكة مازالت تتمادى فى الاسراف والتبذير بشكل أثار الأوساط الغربية !

ويقول الخبراء ، أن هذا التخطيط الاقتصادى والاجتماعى الذى قام به الشاه لم يستطيع أن يتلاءم مع البرنامج الضخم الذى يموله الدولار الامريكى ، فقد فاق كل تصور !

حتى الجيش تدخلت فيه يد الشاه ، فأشترى بـ (١٥) مليار دولار أسرع الطائرات وأغلى الدبابات والمصفحات وأحدث السفن والغواصات البحرية الحربية .

وأنقلبت الاوضاع تماما ، ودخلت جيوب الدول الصناعية أموال طائلة من الدول التى لم تستفد من تحويلها من زراعية إلى صناعية . .

كما طلبت إيران بناء ٦ مفاعلات نووية فى ألمانيا مما يجعل التكنولوجيا المتطورة

الحديثة التى تتطلبها لاتتفق مع بلد زراعية من دول العالم النامى .

واستنفذت هذه المشاريع الضخمة إيرادات البترول بحيث لم يتبق للاصلاحات الداخلية ولاحتياجات الشعب الطبيعية أى شىء ، حتى ولا لتنفيذ المشاريع التى وعدت بها الحكومة الشعب ، أثناء الثورة البيضاء !

وتحولت البلد التى كان يريد لها حاكمها أن تكون خامس دولة صناعية كبرى فى العالم إلى بلد يعانى من أزمة اقتصادية رهيبة .. وأصبح الشعب يدور فى حلقة مفرغة .

هذا كله ، وأية الله يدعو الى الثورة ضد الفساد والبذخ والتبذير !!

و قال الخمينى فى عام ١٩٤١ حين تنازل الشاه رضا بلهوى لابنه عن العرش : (إن محاربة الظلم هو واجب كل مسلم) .

وكان الشاه يقول : فى عام ٢٠٠٠ يجب أن تكون إيران قوة تهيمن على العالم كله !!

ولم يفهم سياسة الشاه الجديدة الا القليلون ولم يؤمن بها الا المستفيدون منها ، وأما الجماهير العريضة من الشعب فلم يفهم ماذا يريد الحاكم وإلى أين سيصل وكان هو بالتالى يرى فى شعبه (جرد عبيد) أو مجرد (مادة بشرية) يمكن استخدامها والاستفادة منها فى المصانع وصناعة البترول وفى الجيش .

وكان يعتقد جازما ، أن الشعب لابد وأنه (مبسوط) من هذه السياسة التى ستجلب لايران البريق والمجد .

خيمة بيرسيليوس للاحتفال بمرور ٢٥٠٠ عام على إيران :

فى عام ١٩٧١ والشعب مازال يترنح من آثار الثورة البيضاء واسراف العائلة المالكة ونقص الموارد وهرب الزراع الى المدن للرزق وجور الصناعة على الزراعة وتسليح الجيش بصورة تفوق الخيال ، أحتفل الشاه والشهبانو بمرور ٢٥٠٠ سنة على انشاء دولة فارس ، وبالذات فى مدينة (بيرسيليوس) التى بناها داريوس الاول عام ٥٣٠ قبل الميلاد .

فى هذه المدينة بنى الشاه خيمة ظلت اسطورة فى خيال كل من زارها أو تفرج عليها ولو عن بعد .

تكلفت الخيمة أكثر من ٥٠٠ مليون دولار وبلغ عدد الضيوف المدعوين ٢٠ ألف مدعو . أما الخيمة نفسها فقد اتسعت لستين خيمة تفصل بينها ممرات تحمل أسماء القارات الخمس ، فقد كان (العالم) كله مدعوا بقاراته الخمس ، ولو كان بالامكان دعوة سكان

آخرين على كواكب أخرى ما تردد الشاه !!

دعى عدد (هائل) من رؤساء الدول بأعتراف الحكومة الايرانية نفسها ! وعاشوا أياماً (رائعة) لن ينسوها ، وهذا طبيعى ، فقد كان حدثا غير عادى .

وقد فعلت العائلة المالكة كل ما يمكن أن يتخيله المرء لانجاح هذا الاحتفال . فقد كان الوزراء يحملون الحقائب أحيانا للضيوف ، وكانت (سيدات) القصر على استعداد حتى تمصان الضيوف (كما قالت فرح ديبا) اذا لزم الامر .

كان يجانب الخيمة الكبيرة المخصصة للاستقبالات ، ثلاث اخريات ، واحدة للملك خاصة ، وواحدة لولى العهد ، والثالثة لفرح ديبا خاصة !!

حين وصل رؤساء الدول ، استقبل كل منهم بالسلام الخاص ببلده ، ورفع العلم الخاص به ، وكان على قائد حرس الشرف استعراض حرس الشرف للملوك والرؤساء ورؤساء الوزارات مع ذكر اسمائهم وألقابهم على صعوبة نطقها فى بعض الاحيان ، خصوصا الملوك والرؤساء الاسيويون والافريقيون والدول الشيوعية ذات الاسماء الطويلة الصعبة . لكن الحدث مر بسلام .. لولا أن الضابط أصطدم بباب الفندق الزجاجى بعد عودته ، وكسر أنفه .. فقد كان الارهاق قد بلغ منه مبلغا كبيرا .

وكان من بين المدعوين : أمبراطور أثيوبيا هيلا سيلاسى ، والأمير رينيه أمير موناكو وكل أمراء الخليج !! والكاردينال فوستنبرج مبعوث البابا ، والملك حسين والملكة علياء .

وقد وقعت بالطبع بعض المشاكل بسبب البروتوكول ، لان الترتيب لاماكن الرؤساء والملوك كان تبعا للاقدمية وليس لاهمية الدولة مما أغضب فرنسا ، كما حدث أن شعب وصحافة وحكومة الدانمارك حاولوا الضغط على الملك كى لايحضر الاحتفال !! ولكن الملك والملكة حضرا رغم ذلك .

والغريب ــ كما قالت التقارير ــ أن هذا التجمع الهائل للرؤساء أوجد مناخا من الود والصداقة تحت الخيام .

وقد حاولت الشهبانو شرح أهمية هذه الأحتفالات ومغزاها والسبب الذى دعا إلى أخراجها بهذه الفخامة والأبهة .

وقد أستغرقت شهرا كاملا فى شرح أسباب الأحتفال أمام الصحفيين والدفاع عنها !!

والحقيقة أن هناك أمرا تنبه إليه بعض الصحفيين بالرغم من كل هذا ..

الشاه : زرادشتي أكثر منه مسلما :

قال (على مازاندارى) وهو واحد من كبار الشخصيات الإيرانية التى تنتمى إلى العائلات العريقة فى إيران :

(إن الشاه لا يحب الذين يعرفون أنه من عائلة بلا أصل معروف ، إلى حد أنه يعطى الفرصة للانتهازيين المحدثين ، ولذلك فأنا والذين هم على شاكلتى ، ليس لهم كان فى البلاط القيصرى) !!

وقال عن الأحتفال :

(إن المرء ليعجب من هذا الرجل الذى هو ابن مرتزق فى الجيش ، ورغم ذلك يحاول التمسك بوراثته الشرعية لكسرى ، ملك الفرس ، دون خجل) !!

يقول د . شول ـــ لاتور ، **الصحفى** ، خبير **الشرق الأوسط فى ألمانيا** :

أنه كان من بين خطط الشاه أن يعيد للاذهان أساطير التاريخ الآرى للإيرانيين وجعله قطعة منهم ، متجاوزا التاريخ الاسلامى ، لهذه البلاد .

وكان يؤكد على هذا المعنى باضفائه لقبا جديدا عليه وهو (ملك الملوك ، شمس الآريين ..) فالآريون شعب كان يعبد الضوء الذى يشع من النار وهو دين بعيد كل البعد عن الاسلام .

وكان الشاه يؤكد فى كل المناسبات الدينية التى يحتفل بها الشيعة أن الاسلام الذى أتى فى القرن السابع الميلادى ، إنما (غزا) إيران التى كان شعبها قبل ذلك يدين بدين (النبى) زرادشت .

بل إن التفسير الرسمى للدولة يقول : بأن (السنيين) العرب هم الذين أقتحموا إيران ليقاوموا فيها هذا الشعور القومى الايرانى الذى يقف أمام (التدخل الدينى) الذى قام به العرب الغزاة .

فإيران ذات أصل آرى يجب أن ينتمى إليه الإيرانيون ، وأن ديانة زرادشت ، هى أصل الديانة الإيرانية .

ويحكى أيضا أنه فى كل عام يجرى تقليد سائد لتذكير الشعب بذكرى إقتحام (الساميين) لبلاد فارس وذلك بأن يحرق الشعب عروسا من القش تمثل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه ، والذى حفل عصره بالفتوحات الاسلامية العظيمة !! وذلك لاعتقادهم أنه هو السبب فى إدخال الإسلام إلى إيران !!

وأكثر من ذلك فإن الشاه حاول أكثر من مرة إيقاف موجات الشعب التى تحج كل عام إلى مكة والبيت الحرام ، وذلك بتحويل هذا الحج إلى مدينة (مشهد) المدينة الشيعية المقدسة ، ليكون للإيرانيين حج مختلف عن السنيين العرب ، وذلك فى محاولة لابعادهم نهائيا عن ركن الدين الصحيح ، وأقنعهم بأن يكون الحج حول أضرحة الأولياء بالذات الأئمة وخاصة الإمام الثامن من الأئمة الأثنى عشرية الشيعية وهو الإمام رضا المدفون بها ، والذى يقال أن الخليفة العباسى المأمون هو الذى أمر بقتله .

وزيادة فى تأكيد هذا المعنى أقام الشاه تمثالا وضريحا كبيرا (فى مشهد) لشاعر إيران (الفردوسى) الذى ألف كتابه الشهير « الشاهنامه » وهو « كتب الملوك » ذكر فيه أمجاد البطل الفارسى القديم فى عهود بعيدة (رستم) الذى كان يقوم ببطولات خارقة خيالية أدت به فى النهاية أن يقف وجها لوجه أمام ابنه ، وهو ماصوره بعد ذلك فى صورة شعرية رائعة الشاعر الأنجليزى (ماثيو أرنولد) !!

فمغزى الأحتفال بأمبراطورية داريوس هو التأكيد على آرية إيران ، وزادشتيها !! وذلك فى محاولة لاضفاء أهمية خاصة على الشاه الذى كان يعانى بصورة قاسية من وقوفه دائما في ذكرى ظل أبيه والذي كان يعرف تماماً أنه شخصية (بلا بريق) !!

فى أثناء الاحتفال الذى أمتد أياما تصادف يوم ميلاد الشهبانو فأحضر لها الطهاة الفرنسيين كعكة عملاقة ضخمة من باريس !!

لكن التاج الذى كان يعلوها كسر أثناء نقلها فبكى الطاهى ، فذهبت الشهبانو لمواساة الطاهى على (رقة شعوره) !!

بدأت الاحتفالات بزيارة قبر قورش ولم يشترك فيها إلا الإيرانيون وتقول فرح ديبا : (إنه مشهد مؤثر فى وجدان أى إيرانى إذ يرى أمامه ذكرى أكبر ملوك إيران وقد نقش تاريخه على الاحجار متضمنا كل المبادىء الأساسية لحقوق الإنسان منذ ٢٥٠٠ عام .

(ما أعظم الإيرانيين حين يرون ملكهم اليوم يخلد ذكرى الملك البعيد مرددا فى فخر مبادىء ترجع الى ٢٥ قرنا ، وما أبلغ الدرس الذى قدمه حين قادنا للحفاظ على نهج أجدادنا بعد كل هذه الاعوام) ..

(وها هو ذا أمامنا وسط الصحراء قبر قورش الأكبر الذى عاصر عظمة

برسيليبس . وفخامتها ، بسيطا (متجردا من ملابسه) قابعا فى هدوء شامخ وسط سكون الرمال ونقائها .

وشاهد ضيوفنا جيوش أحقاب تاريخنا تمر أمامهم ، وأطلق الجنود لحاهم ، وشعورهم ليشابهوا أجدادهم وصممت ملابسهم بإخلاص لمدة عشرة أعوام عكف فيها دارسو الآثار الإيرانية لتقديم أحسن ما لديهم .

استمر الإعداد لهذا الاحتفال عشرة أعوام كاملة وذلك لإعداد (الجانب التاريخى منها) وطلبت إيران مساعدة فرنسا الفنية فيما يخص (بالتفاصيل العلمية) بينما أهتمت إيران (بفلسفة الحدث) نفسه .

واشترك فى الحفلات ممثلون لكل الطبقات الاجتماعية ولكل الجامعات والعمال والفلاحين والجامعيين والطلبة والنواب والى جانب ذلك ملئت قرى ومدن إيران بمهرجانات شعبية إنتهت بأحتفال رياضى ضخم أفتتح خلاله أستاد واسع يسع ١٠٠ ألف متفرج .

نعم .. الخيام والأثاث و (بعض) الوجبات باعتراف إيران نفسها لم تكن من صنع إيران ، لان (فلسفة الحدث) أتت فى المقام الأول (كما تقول فرح ديبا) ..

أما بالنسبة لكبار مصففى الشعر الذين يثيرون خيالات الناس أمثال الكسندر وكاريتا ، فتقول فرح ديبا ، أن أحدا لن يصدق أننا لم ندفع لهم ليحضروا إلى إيران ، وإنما جاءوا من تلقاء أنفسهم للأستمتاع بوقتهم والدعاية لأنفسهم !!

(ورغم ذلك فإن الصحف أفردت مساحات واسعة للحديث عن الرموش الصناعية والباروكات وأدوات الزينة التى أحضروها معهم كما لو كانت هذه (التفاصيل الصغيرة) ذات أهمية إلى جانب ٢٥٠٠ عاما من التاريخ) !!

وتقول فرح ديبا :

(بما أننى ارتديت ملابسى إيرانية فلم يذكرها أحد ، ولو كنت ارتديت من بيت أزياء ديور أو غيره لأفرادوا صفحات ، وقد طاب للبعض تهويل المبالغ التى صرفت ، والحقيقة أنها لاتزيد عن قيمة الأستثمارات التى تنفقها أية دولة فى العالم فى السنة على الحفلات والمهرجانات الشعبية ، وأتعجب :

كيف يستنكرون حقنا فى اظهار أهمية حدث فريد يحمل معه عظمة ٢٥ قرنا من الزمان ؟؟

بالإضافة إلى هذا فإن أغلب النقود التى أنفقناها ذلك العام لم تذهب سدى : فالفنادق والطرق والخيام مازالت موجودة ، كما تم إنارة عدد كبير من القرى وبنيت ٣٠٠٠ مدرسة !!!

وقد كسبنا حملة صحفية ضخمة ومضمونة يندر أن حدث . كما أننا أنشأنا مؤسسة (قورش) للسلام كرامز لأرادة السلام واستمرار روح التسامح الأيرانية التى أنشئت للعناية بأربعة أطفال من كل الأجناس : (طفل زنجى أفريقى ، وطفل هندى كندى ، وطفل إيرانى أبيض ، وطفل أصفر) حتى نهاية التعليم الجامعى بهدف نشر الاخوة والصداقة والمساواة ونريد بمساعدة اليونيسيف واليونسكو تعميم هذا المبدأ !

نتابع مذكرات مينو ريفيز :

(كنت قد بلغت السادسة والعشرين ، واكتشفت أنى قد ضاع منى حتى أحلامى حين أحسست أنى أعيش لاأحس **بالانتماءالحقيقى** لاى منهما ، وقررت بعد ذلك أن أترك عملى الديبلوماسى فى السفارة ، وما أن وضعت أستقالتى على مكتب السفير حتى فاجأنى بأن الشهبانو شخصيا قررت أن أعمل معها بمراجعة بريدها الخاص ، وبصفة شخصية ، وذلك فى إيران !!

وعادت أحلامى تنتعش .. وعدت إلى إيران !!

كنت أتنقل معها فى زيارتها الرسمية وتعرفت عن قرب على مشاكل الشعب الذى كنت بعيدة عنه ، وما زال يحضر أمام عينى حتى الأن أحياء الفقراء ، بالغة التعاسة والبؤس والقذارة ، فى جنوب طهران حيث يعيش الناس فى أكواخ من الصفيح والكرتون بلا كهرباء ولامياه ولامرافق صحية ، هناك حيث ينتشر أطفال جياع بؤساء ، وتحوم حول المكان رائحة المياه الراكدة القذرة .

تقول فرح ديبا عن أولادها بهذه المناسبة :

(أحيانا) أتوقف أثناء السفر لاعرض على ابنى المشاكل التى تعانى منها منطقة معينة ويرد على وفقا لما يمليه عليه خياله الصغير من حلول اذا ما قدر له أن يكلف برفع مستوى معيشة أهل القرى خلال سنتين أو ثلاث) .

(وأحيانا نرسلهم دون أن يتعرف عليهم أحد إلى جنوب طهران حيث المناطق المحرومة .(اكتشف) رضا الفقر والظروف المادية الصعبة التى تعيش فيها بعض العائلات ، تأثر بشدة ، وعند العودة كان يبدى الملاحظات لوالده . وهنا تحين الفرصة

لنشرح لرضا أن التغيير لايأتى بضربة واحدة وأنه يحتاج لكثير من لوقت والجهد ، ونستغل الفرصة لنحدثه عن مشاكل إيران ، وأن أهم شيء هو التعليم وإيجاد عمل لاكبر قدر ممكن لان أية مساعدة مادية طارئة لاتحمل كل شيء)

وقد قالت فرح ديبا فى حديث لها للمراسلة (انجى بيهان) مراسلة مجلة (بونته) الألمانية :

هناك أحياء فى الجنوب من إيران ، بل فى الجنوب من طهران ، يعيش فيها الناس فى ظروف سيئة جدا ، بل فى منتهى السوء والتعاسة .

إن الحرية لمثل هؤلاء الناس ، تعنى أولا أن يتحرروا من الجوع والجهل .

إنني مقتنعة بأن نظامنا سيعود بالنفع على ايران . وقد أتبت التاريخ أن الملكيات تستمر طالما كانت صالحة للشعب نفسه . وأنا أحاول أن آخذ بنصيبي من عملي فأنا أعمل بكل جهدي وبكل مأأستطيع ، وربما يستمر هذا عشر ساعات وربما ١٢ ساعة أحانا . وأحيانا يصلني أكثر من ٦٠ ألف رسالة في العام .

وأعمل رئيسة لادارة أكثر من ١٢ مؤسسة .

سألتها المراسلة ، لو حدث أى شيء للشاه ، هل ستكونين الامبراطورة الحاكمة على ايران ؟

أجابت فرح ديبا : نعم !! لو حدث — لاقدر الله — سأكون الامبراطورة الحاكمة ! ..

ويقول المراسلون :

ومن الغريب أن كثيرين من سكان جنوب طهران أتوا من الارياف الفقيرة حيث جذبهم بريق العمل في آبار البترول معتقدين أنهم سيتقاسمون مع الحكومة مايدره الذهب الاسود من ملايين طائلة ، لكن الحقيقة المؤكدة أن البترول في إيران زاد في غنى الاغنياء ، كما زاد في بؤس البؤساء وفقر الفقراء .

○ ○

بينما تتابع السكرتيرة مينو ريفيز :
كانت فرح ديبا هي مديرة مكاتب العمل ، وبما أنني كنت أعمل في ذلك الوقت سكرتيرة لها فقد سافرت إلى الأحياء الفقيرة المسماه SLUMS جنوب طهران ، قبل قيامها بزيارة هذه الاماكن وذلك لأضع (الرتوش) على وجه البؤس الفظيع الذي يخيم على المكان . فطلبت بسرعة الأكواخ التي ستعترض طريق الامبراطورة وحاولنا بكل الجهد وضع قناع سميك شديد البريق على الوجه الكالح البائس .

ثم أتت فرح ديبا بسيارة رولزرويس .. كانت معدات السيارة كلها ومعدنها الخارجي من الذهب الخالص !!

وكانت ترتدي تايورا صنعه المصمم الفرنسي الشهير كريستان ديور خصيصا لها ، وكانت من الحرير الخالص ومن اللونين الأسود والأبيض . وكانت تضع على رأسها قبعة بالغة الأناقة ظهر تحتها شعرها الأسود ، بينما كان يبرق على أذنيها قرطان كبيران من الماس !!

هكذا بكل هذه الأناقة المستفزة الملساء مشت الأمبراطورة بين النساء اللواتي كن يحملن أطفالهن ويرتدين ملأاتهن السوداء الباهتة فى خجل ظاهر وقد خرجن لاستقبالها .

لم يتم استقبال النساء لها بطريقة عشوائية ، بل بذلنا مجهودا كبيرا لنختار النساء والأطفال الذين تبدو عليهم بعض الصحة وبعض النظافة وحسن المظهر .. وكان هذا صعبا !!

وبدت تماما الهوة العميقة التى تفصل بين الأمبراطورة وبين الشعب ، ولم يكن الأمر مقتصرا على ذلك فهذه الهوة موجودة حتى بين رجال البلاط وبين الشعب العادى !!

توقعنا أن يحدث ما يكشف عن هذه الهوة .. وحاولنا ما بإمكاننا تفاديه .. لكنه كان لابد أن يحدث .. وحدث !!

مدت الأمبراطورة يدها وهى تلبس قفازها الحريرى لتصافح إحدى النساء الواقفات . وسألتها عن أحوالها وعن صحة أولادها ، وظلت المرأة تعض على شفتيها فى غيظ وعصبية دون أن تتكلم .

وتابعت فرح ديبا الكلام فى صبر وبشاشة ، وسألتها :
وهل تتبعون الأرشادات التى يقولها طبيب الحى ؟ من أجل تنظيم النسل ؟ ..

وهنا تكلمت المرأة أخيرا وقالت :

كنا نتمنى .. لكن الرجال يرفضون .. فقد سألوا (المّلا) ـــ وهو الشيخ ـــ إذا كان هذا مشروعا ، لكنّه أفتى بأن هذا ضد الإسلام وأنه حرام شرعا !

ولهذا فقد رمينا بكل الوسائل التى أعطاها لنا طبيب الحى ، وكذلك الأدوية ، وحتى العلب المحفوظة التى توزع علينا والفيتامينات رميناها . وما عدا ذلك .. فنحن نتبع التعليمات فى كل شيء !!

وصمتت الأمبراطورة دون كلمة !!

ربما كان سهلا عليها أن تنسى ، لكنه كان مستحيلا بالنسبة لى ! كنت أحس أكثر بالبؤس والتعاسة التى يعانى منها الشعب ، والفساد والبذخ الذى يعانى منه رجال البلاط .

فقد كان هناك ـــ مثلا ـــ وزير للشئون الأجتماعية ، يرفض مقابلة من يريدون المساعدة ، ومنهم من يطلب مالًا للعلاج ، أو سريرا مجانيا فى مستشفى لطفل مصاب بالـ ل وكان الناس يقفون على بابه أياما وشهورا ، دون جدوى . فقد كان يرفض مقابلة أحد إذا كان موجودا .. وغالبا لم يكن متواجدا فى مكتبه .

فقد بنى لنفسه قصرا فى شمال طهران يمضى فيه أيامه بطولها .. أما كيف حصل على المال اللازم لبناء القصر ، والحياة فيه كالملوك ، فقد كان ببساطة يستورد الأدوية الفاسدة ، وهو وزير الشئون الأجتماعية ، هذه الأدوية كانت الأسواق الأوربية تعيدها إلى الشركات المنتجة لعدم صلاحيتها ، فيتكفل هو بشرائها قبل أعادتها بمبالغ زهيدة ، ويكسب من وراء ذلك أموالا طائلة !!

كانت فرح ديبا ترأس عددا كبيرا من المؤسسات والجمعيات الخيرية والقومية ، وقد روت مرة لاحدى المراسلات :

أنا لاترضينى الرئاسة الشرفية للعديد من الجمعيات والمؤسسات والمنظمات والمجالس بل أن مايرضينى هو القيام بدور نشيط وفعال فيها .

فمن بين ما أرأس من المنظمات ، مؤسسة رفاهية العائلات زحضانات أطفال العائلات ومدارس محو الأمية للسيدات وتنظيم الاسرة ومنظمة نقل الدم ، ومؤسسة مرض الجزام ومنظمة مكافحة السرطان ومنظمة مساعدة المصابين بالحروق ومنظمة الصحة والمركز الاستشفائى للأطفال ومركز التنمية العقلية للأطفال الذى أنشأته وغير

ذلك من المؤسسات الثقافية ، أمثال المعهد الأمبراطورى للفلسفة ، ومؤسسة الثقافة الإيرانية ومهرجان طهران شيراز ، ومنظمة الفولكلور وجامعة بهلوى إلى وأكاديمية العلوم !!

وترعى فرح ديبا أيضا مركزا للايتام يضم أكثر من ثمانين ألف طفل ، حاولت كما تقول ، أن تهتم باضفاء شخصية خاصة على كل منهم وتختار لكل واحد أسما جميلا مناسبا بدلا الأرقام ..

وتقول : أنها ترعى أيضا مؤسسة الآمومة والطفوله ، وهى تحاول القيام بدراسات حول الأم وغذائها وتطبق تنظيم الأسرة !! لكننا رأينا أن النسبة العظمى من أهالى إيران (يحّرم) تحريما دينيا هذا التنظيم .

وهذه المؤسسة تمتلك مستشفيات كبيرة ، لكن يبدو أن أحد لايعالج فيها بدليل ان معظم سكان الأحياء الفقيرة من المرضى والذين يعانون من الجوع والمرض وسوء التغذية إلى حد كبير ، وتقول أيضا أن المؤسسة توزع اللبن والبسكويت على الأطفال الذين يسكنون المناطق النائية ، كما تتولى رعاية الأطفال المعوقين الذين لهم فى طهران مدارس خاصة .

وهى تعتقد أنه تطور هام رغم أن البعض يتساءل عن جدوى إنفاق المال على مثل هؤلاء الأطفال ، ويعتبره أستثمارا (سلبيا) وترد على هؤلاء بأنهم مخطئون من الناحية الأنسانية والأقتصادية معا .

لكن (مينو ريفيز) تتحدث عن هذه المؤسسات فتقول .

كنت أحاول بكل الحيل التى تعلمتها أن أساعد الأطفال الذين أعمل من أجلهم تحت إشراف الأمبراطورة .

وقد كافحت مرة طويلة من أجل تعبيد طريق يصل بين الأوتوستراد ومركز التأهيل المهنى للأطفال المعوقين ، فقد كان الطريق إلى هذا المركز وعرا ومتربا ، وحين تنزل الأمطار والثلوج يتحول الطريق الى بركة طينية يصعب إجتيازها بالنسبة للاصحاء ، فكيف بالنسبة للمعوقين الذين يتحركون بصعوبة ، وكيف يمكنهم الوصول الى هذا المركز والطريق إليه على ماهو عليه ؟

وقد جاهدت من أجل الحصول على المال الكافى لتعبيد الطريق ، لكننى لم أجد أحدا يهتم بالمشروع .. إلى أن حانت الفرصة ، حين إعتزم الشاه والشهبانو زيارة مركز

المعوقين . وهنا أتصلت بوزير المواصلات لأخذ موافقته ، ووافق !

ثم كان على أن أقنع رجال (السافاك) البوليس السرى السياسى ، بالسماح للعمال بالعمل فى هذا المشروع ، لكن رجال المخابرات كانوا قد (زرعوا) رجالهم فى كل مكان الى المركز لحراسة الطريق ، أياما قبل وصول الشاه .

فرفضوا الموافقة على المشروع بحجة أن هناك مئات من العمال سيعملون وسيكون من السهل على أى واحد منهم أن يضع قنبلة فى طريق الشاه .

وبعد أخذ ورد طلبوا منى إعطاءهم قائمة بأسماء كل العمال الذين سيشاركون فى تعبيد الطريق وعناوينهم وأماكن عملهم وأعمارهم وورديانهم .. ورغم أن هذا كاد يكون فى حكم المستحيل بالنسبة لى ، إلا أننى تعهدت بذلك .

وتم تعبيد الطريق قبل وصول الزيارة الملكية .

وأخيرا قدم الشاه يرتدي بذلة بلون رمادي فاتح وكرافتة حريرية ، كان لونها يتناسب مع ثوب الامبراطورة .. وتبادل المستقبلون المشروبات الباردة في قاعة الاستقبال ؟ ثم دخلوا جميعاً قاعة التأهيل .

هناك فى القاعة كان يرقد على الارض غلام صغير معوق ، لا يستطيع المشى . كان يحاول أن يقف لكنه كلما حاول، وقع على الأرض . وكرر المحاولة مرة بعد مرة ، وفى كل مرة يصفق بيديه ويصيح : أنظروا ، أنظروا !! ملكنا هنا .. ملكنا هنا .

كانت الأمبراطورة هى الوحيدة التى أنحنت على الغلام وربتت عليه ومسحت على شعره ، وحين اعتدلت فى وقفتها ، رأيت دموعها فى عينيها . هذه الدموع هى الشيء الوحيد الذى أعطانى الشجاعة والإيمان بأن عملى فى القصر الملكى ليس هبأ ، وأن معى على الأقل إنسانا واحدا له قلب عطوف ، وضمير حى ، يمكن أن يحب أهل هذا البلد ، بصدق !!

الأحوال تتدهور فى إيران :
والأميرة أشرف تلهو :
تقول مينو ريفيز :

إبتدأت الأحوال تتدهور في إيران . كانت اخبار الفضائح واللهو والتردي في الحضيض تتواتر وتنتقل وكان من المألوف أن يرددها كل إنسان .

كان المراقب لهذه الفترة يحس أنها أشبه بأيام ما قبل إنهيار الأمبراطورية الرومانية ، وبات تصدع التاج الإيراني أمرا محتملا ، لأن تفاقم الفساد فى العائلة المالكة ، كان يسايره تفاقم الغضب بين أفراد الشعب .

لم تمر تلك الفترة على فرح ديبا دون أن تترك أثراً . وقد بدت عليها فجأة المعاناة الجادة ، ولاحظ الجميع كيف كانت تنحل بشدة ويضعف قوامها الطويل رغم رشاقتها وأناقتها . لكن نفوذها لم يكن قويا بحيث تستطيع إيقاف التياز الجارف الذي بدأ يجتاح إيران كلها ، تيار الفساد والبذخ والمؤامرات .

ولم يكن الأمر مقتصرا على الشاه ، بل كانت الأميرة أشرف القوية المتسلطة ذات النفوذ الجبار لها اليد الطولى فى كثير من هذه المؤامرات والفضائح ، بل كانت متورطة فى معظمها دون أن يستطيع حسابها أحد .

وجاء نبأ فى يوم ، أن النار إشتعلت فى الفيلا البيضاء الخاصة بالأميرة أشرف والتى تقع فى شمال طهران . كان فى الفيلا شاب وسيم أرمنى ، ولم يكن هناك أحد غيره . فقد أختفى الخدم فجأة ويقال أنهم أرسلوا فى مهمات غامضة بعيدا عن المكان .

وفجأة خرج الشاب وحده وسط النار المندلعة وكان عليه بعض من ملابسه ، وأبلغ عمال الحديقة أن النار أندلعت فجأة فى حمام (الساونا) السويدى ، وحين طلبوا إليه أن يبلغوا إدارة الأطفاء رفض بشدة .

قال له العمال ، أن النار يمكن أن تلتهم الفيلا كلها ، فما كان من الشاب إلا أن ضحك بخبث وتشف وأجاب بهدوء وثبات : (فليكن) !!

ثم ركب سيارته بسرعة وانطلق بها .

تناقل الناس الخبر فى طهران ، وتساءلوا عن سبب الحريق ، وعما إذا كان يقصد به الشاب شخصيا ، لكن الذى حدث أن النار التهمت الفيلا كلها دون أن يمس هو بسوء !! بل يقال أنها أتت على كل ما فيها من مقتنيات ثمينة ومن بينها سجاجيد فاخرة لاتقدر بثمن ، يقال أنها كانت أغلى سجاجيد فى العالم كله !!

لكن شماته الشاب بالحريق لم تطل ، فبعد ثمانية أيام فقط من الحادث نشرت الصحف نبأ صغيرا يقول : أن هذا الشاب لقى مصرعه فى حادث بطائرته الخاصة .

لم يتعجب الناس ، فهو لم يكن أول أصدقاء الأميرة أشرف ، يلقى مصرعه بهذه الطريقة السريعة الغامضة !

انتشرت الأنباء فى جزء محدود من إيران وبالذات فى الشمال المرفه الغنى المترف الذى يهتم بأخبار العائلة المالكة ، أما فى الجنوب ، بداية من جنوب طهران فلم يكن الناس يقرأون الصحف ولا يتابعون الأخبار ، لأنهم كانوا غارقين الى حد كبير فى مشاكلهم الخاصة ومتاعبهم ومآسيهم .

لكن مكاناً واحدا لم يستطع أحد تكتم الخبر عنه ، وكان من الخطورة الشديدة وهو الجامعة في طهران حيث يدرس الكثيرون من أبناء الطبقة المتوسطة التي تعاني من التقشف رغم طموحاتها التعليمية والترفيهية ، وبسبب تعلم هؤلاء فإن كثيرا من الامور التي تحدث في « الطبقات العليا » كانت تصل إليهم فتثير فيهم الكثير من الغضب والحقد والسخط ..

كانوا هم — باختصار — الذين يحسون بمشاكل البلاد الحقيقية لأنهم مفتوحون على الشمال وعلى الجنوب معاً ! ..
ولذلك ، فهم الذين سيقودون الثورة !!

اندلع الخبر وسط صفوف الطلبة ، وأحسوا حين سمعوا هذه الفضيحة الجديدة كأنهم ابتلعوا الاشواك في حلوقهم ، فاشتد سخطهم ونقلوا هذا السخط والغضب إلى جميع طبقات الشعب وإلى جميع أنحاء البلاد .

وتشكلت جبهة المقاومة فى مجموعتين :
أحداهما الجبهة (اليسارية) التى كانت ترى أن إعدام هذا المجتمع الفاسد المتمثل فى القصر هو الهدف !! وثانيهما هى الجبهة (اليمنية) التى كانت تلعن بأسم الله كل من ينتمى الى هذه الطبقة .



تقول مينو ريفيز :

لم أكن أنتمى لاى واحدة من المجموعتين ، ولكننى كنت على علم تماما بما يجرى فى الجامعة . فقد سجلت أسمى هناك وابتدأت دراساتى فى الجامعة بطهران ، ولم يكن هدفى الحصول على شهادة عليا بقدر ما كان هروبا من الإحساس بالإحباط الشديد الذى واجهته أثناء عملى فى البلاط .

بل إن ما كنت أعتبره تكريما وتمجيدا لى ، حين عملت فى خدمة الأمبراطورة ، صمت عنه الآن لاحساس بالخجل والعار معا ، ولم يعرف احد من زملائى بطبيعة عملى ذاك . .

لكن استمراري في عملي كان أمرا لابد منه. وكنت أتقاضى عنه مرتبا ضخما، إلا أنه لا العمل ولا المرتب كانا يعطيانى أى إحساس بالسعادة أو بالرضا أو بالإيمان بما أفعل لانى كنت أشهد كل يوم تسلط (الافراد) كأفراد ، على كل مرافق الدولة مما يشل كل حركة لنا أو محاولة للإصلاح .

وإبتدا شعورى بالنقمة يتزايد ، الى ان فاض الكيل تماما فى أحد الأيام . فقد حدث أن جلبت مؤسستنا ، وهى المسئولة عن رعاية الأطفال ، لبن أطفال كاعانة للأحياء الفقيرة والتى كانت تتولى الأمبراطورة الأشراف عليها .

وأعتمد المبلغ المطلوب وجاءتنا عروض كثيرة أوروبية ، لكن السكرتير العام المسئول عن المؤسسة والذى يعمل مباشرة تحت إشراف الأمبراطورة ، طلب أردأ وأرخص أنواع اللبن الجاف .

(كانت فرح ديبا قد تحدثت بفخر !! عن مجهودات المؤسسة التى ترأسها فى إستيراد علب لبن الأطفال لتوزيعه مجانا !!)

حين وصلنى رد الشركة السويسرية المنتجة ذهبت إليه غاضبة وقرأت عليه رد الشركة على نوع اللبن الذى طلبه بعد أن ترجمته له وقد جاء فى الرد ما يلى :

(إن هذا النوع من اللبن يستخدم فى السويد فى حظائر المواشى) !!

وضحك الرئيس المسئول عاليا من غضبى وقال :

(لاتخشى شيئا من الرقابة الملكية ، فنحن سنكون معك عند الضرورة . وإذا حدث مالاتحمد عقباه ، وقبض عليك ، فسنقضى معا أياما ممتعة فى السجن ، بالتأكيد) !

أثارني رده بطريقة أفقدتني أعصابي ، وقلت له بصوت عال :
(إن الرقابة لاتهمني والقصر لاهمني ، ولكن ما يهمني حقا هم الأطفال الذين أعمل من أجلهم ، وأعتبر نفسي مسئولة عنهم ، ولن أحتمل أبدا أن أقدم لهم من اللبن ما يتغذى عليه المواشي والبهائم) !

ودار بيني وبين السكرتير العام مشادة عنيفة صارخة عالية ، وأدهشني أن هذا كله لم يزعزعه عن نيته .

بل وجدت بعد أيام الطلب الرسمي المقدم الى الشركة بتوريد اللبن المطلوب على مكتبي ، ولكنني رفضت التوقيع عليه ، وبدلا من ذلك كتبت إستقالتي موجهة الى الأمبراطورة وضمنتها صراحة كل الأسباب التي دعتني الى تقديم الأستقالة .

جاءني الرد بعد يومين فقط .. وكان ذلك في الفجر ، حين زارني اثنان من جهاز البوليس السياسي السري (السافاك) وقرعا الباب بعصبية بالغة وأنذراني بتهديد واضح :
(إن كل من يترك العمل لدى الأمبراطورة يعطي دليلا أكيدا على معارضته للنظام وعدائه له) !

ورغم ما حدث وحتى ذلك الحين ، كنت ما أزال على درجة من البلاهة والسذاجة وأعتقدت أنه لاشك أن الأمبراطورة ستتخذ أية خطوة لتقبل سبب اعتذاري ، ولابد أنها ستجري تحقيقاً عاجلا بشأن ما كتبته عن إستيراد لبن للأطفال تتغذى عليه البهائم !! ولا يصلح للغذاء الآدمي البشري !

الا أن ما حدث كان على العكس تماما ، وعشت أياما في فزع فقد كنت — كإيرانية — أحس بالاغتراب الشديد في العمل مع العائلة المالكة ، إذ أنني كنت أرى خضوع المقربين الى حد الذل ، ولم أفهم هذا الخضوع بل لم أستطع أن أدرك ، كيف يمكن أن يعيشوا وسط هذا الفساد الذي وصلت رائحته الى الجو ، الى حد الأختناق ؟

لكن فزعي إبتدأ يبهت مع الأيام وتخف حدته .. وتابعت دراستي ومضت حياتي كما هي ، الى أن جاء شهر أكتوبر وحدث مالم أكن أتوقع ! فقد جاءتني مكالمة تليفونية تطلب مني أن أتواجد في وزارة البلاط الخاصة ، وعرفني المتحدث بنفسه ، بأنه من :
(المكتب الخاص بجلالة الامبراطورة) .

خفت أن يكون هذا كمينا أو مؤامرة من أي نوع ، فالعنوان الذي أملي عليّ كان غريبا بعض الشيء . ذهبت في الموعد المحدد ، فوجدت منزلا قديما من أربعة أدوار

متهالكة . كان المنزل قبيح الشكل وكذلك كل البيوت التى حوله ، وقرأت لافتات لشركات تجارية صغيرة على هذه البيوت ولم أجد مايدلنى ولا من يدلنى على (المكتب الخاص بالقصر الملكى) !

بحثت طويلا ، وكدت أعود من حيث أتيت .. لكنى وجدته بالصدفة !! قابلنى رئيس المكتب الخاص بالقصر بلا مبالاه شديدة ، وأبلغنى (الشرف) العظيم الذى حصلت عليه ، فقد وكّل الى رئاسة قسم (المكتب الخارجى الخاص بجلالة الأمبراطورة) ؟؟

أحسست للحظة بفرح شديد ، لكن مشاعرى فى الواقع كانت مشتتة . فقد سعدت جدا لأنى سأعمل فى خدمة الأمبراطورة ثم انتابنى حزن غامض ، فقد كنت أعلم تماما بالمؤامرات الفظيعة التى يتعرض لها أى إنسان شريف محترم يعمل فى خدمة العائلة المالكة . ورغم ذلك استلمت عملى الجديد .

كانت هناك أكوام من الرسائل تصل بالفعل الى الأمبراطورة ، ورسائل من كل نوع وبكل اللغات ، أمهات يطلبن عطف الأمبراطورة للتدخل فى إنهاء إعتقال أولادهن ، وآخرون يطلبون مساعدات مالية تعينهم على الحياة أو العلاج ، وشركات أجنبية تطلب من الأمبراطورة التدخل لدى الشركات الإيرانية التى لم تحترم عقودها معها .

وأحيانا كان يصل الى الأمبراطورة هدايا أو يرسل اليها تأنيب طويل لما وصل اليه الحال فى إيران ، وكان البعض يطلب المقابلة فقط لمجرد حب المثول بين يديها .. وكنت أرد على كثير من هذه الرسائل بنفسى ودون الرجوع اليها ، ولاأحول لها إلا الرسائل التى أحس أنها ذات مضمون خاص يهم القيصرة أن تعرفه وبعض هذه الرسائل كان يعود الى بهوامش أرد عليها ، ويختفى البعض الأخر عندها دون أن أعرف له ردا .

فقد كان يدير المكتب الخاص لفرح ديبا واحدة من زميلاتها أيام الدراسة ، وكانت هى الوحيدة التى يسمح لها بمحادثتها أو بالمثول بين يديها .

لكنها كانت شخصية باردة المشاعر ، متكبرة ، تردد مع كل أمر تصدره كلمات ممقوتة ، كأن تقول : (لا تنسوا لحظة أنه شرف لكم أن تعملوا فى خدمة الأمبراطورة ، وأى شيء يطلب منكم عمله لا يمكن أن يكون أقل من قدركم ، ولو أن الأمبراطورة طلبت اليكم فى كل صباح أن تمسحوا الأرض ، فيجب أن تعتبروا هذا شرفا لكم) .

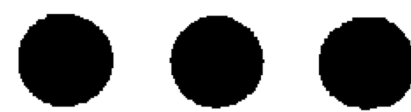
كنت اكره منها هذه اللهجة ولكنى كنت أعرف أن هذا أمر طبيعى فى القصر ، فإن أى إنسان لايجروء أن يقول للشاه مثلا : (أطلب من جلالتكم) أو (لو أن جلالتكم يسمح) ..

بل أن عليه أن يقول :

(إن العبد الخاضع الفلانى ..) أو (المحكوم الفلانى) .. أو (العدم المعدوم الفلانى) ، (يطلب من الجلالة ، ملك الملوك ، شمس الآريين .. الخ) ..

كان هذا جزءا من النفاق الذى يمارسه ببلاهة كل الذين يعملون فى البلاط وفى خدمة الامبراطور ، مما يقوى الشعور لدى العائلة الحاكمة بأن إيران كلها أرض محكومة مملوكة لهم .

وبالمناسبة فقد علمت فى هذا الوقت أيضا سبب وجود المكتب الخاص بالأمبراطورة فى مثل هذا البيت وفى مثل هذا الحى ، أنها أسباب تتعلق بالأمن فقط !!



بداية سقوط التاج :
مقال عن الخمينى واندلاع الثورة الإيرانية

بداية سقوط التاج :

ابتدأت الشائعات تنطلق فى البلاد كما كانت من قبل ، بل ازدادت إتساعا وأنتشارا ، عن الحكام وأتباعهم الذين يتصرفون بطريقة مكشوفة لاتعرف الحياء ، وكان معروفا أن هذه (الطبقة العليا) كانت تمتهن الدين علانية وبدون مواربة بل أن أمر انتهاكها لكثير من الحرمات الدينية لم يعد خافيا على أحد !

ونقرأ فى تقارير المراسلين الألمان :

(كان من أخطاء الشاه) المصيرية أنه وهو الديكتاتور ، لم يقدر تماما قوة الحركة الدينية فى بلاده ، ولم يتعرف حتى على أسبابها فقد أراد أن يقود بلاداً زراعية نامية يسكنها شعب متعصب فى أغلبه لدينه ومتشيع الى أقصى حد ، نحو الغرب الصناعى بمفاهيمه وأخلاقياته وتطوره التكنولوجى وذلك دون تدرج طبيعى ..

وتؤكد ذلك مينوريفيز حين تقول :

تناقل الشعب حكاية زواج الشاه سرا ، من فتاة إيرانية شقراء طويلة من مدينة فى شمال إيران ، كانت الفتاة تسمى : (جليداً) وكانت ترافقه دائما فى كل مكان عدا الأماكن الرسمية والمناسبات العامة .

وكانت على العكس من فرح ديبا ، دلوعة ، متثنية ، جشعة ، وكان كل من فى البلاط القيصرى يطلبون ودها ورضاها نفاقاً ، وهم يعتقدون أنهم بهذا يختصرون الطريق الى الشاه ، ويتقربون منه شخصيا .

أما (الامبراطورة) فرح ديبا ، المتوجة ، فقد أصبحت أكثر جدية وأكثر تحفظا وانطواء ، وجاء وقت اتخذت فيه شكلا معينا أصبح مألوفا ، فقد أصبحت تجر قدميها

حين تمشي ، وكانت أكتافها متهدلة بعض الشيء ، وظهرها منحنيا قليلا ، كما ابتدأ نحولها يظهر بوضوح .

وفى إحدى الأيام حضرت والدة الأمبراطورة ، السيدة ديبا ، فقلت لها مجاملة : (لقد أصبحت نحيلة ياسيدة ديبا) !

فابتسمت قائلة : (إن جلالته — حماه الله — لايحب السيدات البدينات يقول ، حماه الله وحفظ رأسه ، إن السيدات العصريات اللاتى يعملن فى المجالات الأجتماعية يجب أن يكنّ نحيلات !!

وظلت السيدة — والدة فرح ديبا — تتكلم أكثر من خمس دقائق رددت فيها أكثر من عشرين مرة ، ليحمى الله رأسه .. ثم ذهبت !!

مقال عن الخميني يلهب الثورة :

في صيف عام ١٩٧٨ كانت الثمار قد أينعت وحان قطافها ؟ أو هكذا بدا الأمر على الأقل ، فقد كان كل شيء مهيأ لأية بادرة .. وصمم شعب إيران أن يكون أكثر ثورية وأكثر إيمانا بالمستقبل .

إلى أن ظهر مقال في أحد الأيام في إحدى الجرائد ، كان كعود كبريت القى في برميل من البارود !

كان المقال غبيا ومثيرا ، وكان عن آيه الله خميني ، وقد أظهره على أنه عميل انجليزى وعجوز متصابى ، وأنه يعيش فى المنفى حياة متهتكة متحررة من كل قيد !!! وقامت الدنيا . ولم تقعد !!

وقبل أن نتابع الأحداث التى أسقطت التاج نهائيا وغيرت وجه إيران كما غيرت الكثير من الأمور التى كان العالم يعتقد أنها قد أستقرت ، لابد لنا أن نعرف ماذا يعنى مثل هذا المقال القصير الذى فجر كل ضغوط السنين الماضية وكل حقد الشعب وكل هتاف المظاهرات بسقوط ، بل بموت الشاه وكل عائلة بهلوى !!

كان المقال ببساطة بمثابة نزع فتيل قنبلة !!

كيف غاب هذا الأمر على الشاه ومعاونيه !؟

يتحدث الصحفى الألمانى د . بيترشول — لاتور فى كتابه : (إن الله مع الصابرين) عن المرة الاولى التى قابل فيها (الشاه) لاجراء حديث صحفى معه (وبالمناسبة ، كان شول — لاتور أول صحفى يجرى حديثا مع الخمينى فى الطريق الى

طهران من باريس على متن الطائرة التى نقلته)

يقول شول ــ لاتور :

سألته وكان ذلك عام ١٩٧٤ .

ــ اننا نلاحظ أن هناك بعثا جديدا للأسلام فى شتى أنحاء العالم العربى ، هل يمكن أن يحدث تطور مشابه فى إيران ؟

ولم يتردد الأمبراطورة لحظة واحدة فى القول : بأنه مسلم مؤمن وأنه يعتقد جازما بأن مجتمعاً راسخا كالمجتمع الإيرانى يجب أن يكون رسوخه على أسس دينية وقال ، انه هو شخصيا ذهب الى مكة وحج !!

وتابع ::

ولكننا نريد أن نحقق النجاح (لثورتنا) البيضاء ، ولهذا فقد وضعنا خطاً (فاصلا) بين السياسة وبين الدين . وسنلتزم بهذا فى المستقبل أيضا ، لأنه فى كل مرة تتدخل العناصر المدينية فى السياسة تمر بلادنا بأوقات شديدة وأزمات صعبة ، ومثل هذا المسار الخاطىء ينتهى دائما الى الرجعية والتأخر !!

ويقول شول ــ لاتور أنه تذكر فى أول زيارة له لطهران وكانت فى الخمسينات ، أيام أزمة مصدق ، بأن الإيرانيين كانوا يتندرون فى ذلك الوقت متهكمين على الشاه بقولهم أن شقيقته التوأم الأميرة أشرف ورثت الرجولة والقوة كلها من والدها ولم تترك لمحمد رضا شيئا ..

وفى هذا المعنى يقول شول ــ لاتور تعليقا على صورة الشاه التى رآها معلقة فى مطار بندر عباس قبل إجراء المقابلة الصحفية مع الشاه :

كان فى قاعة الأنتظار فى المطار صورة كبيرة للشاه وعائلته ، كان يضع التاج ويرتدى البذلة المذهبة الشديدة البريق ، أما الشهبانو فكانت تبدو بجمالها الصارم وثيابها (الملكية) مثل أميرة فى كرنفال بينما بدأ الأمير الصغير رضا بعينيه السوداوين الشرقيتين كصبى فى سيرك !!

ومهما كان الأمر فإن هذه الصورة العائلية كانت تبدو وأكثر تواضعا بالمقارنة مع صورة الشاه التى كانت معلقة فى صالة فندق بندر عباس .

فلم يكن الشاه هنا يرتدى بذلته الرسمية ولا يضع ميدالياته البراقة بل كان يسبح بين الغيوم وقد رفع يديه بالتحية أو ربما ليبارك شعبه ، حتى بدا كأنه الخليفة القادم لنبى

الآريين زرادشت . ولم يكن يفوق الشاه في طريقته في تقديس نفسه إلا كيم ــ ال ــ سانج ، زعيم كوريا الشمالية ، كما كتب المراقب الأنجليزى لشئون إيران (روبرت جراهام) .

كان شول ــ لاتور قد طلب حديثا صحفيا فإذا بالأمر يتحول الى مؤتمر صحفى تلفزيونى وتم التصوير فى غرفة مكتب مجهزة بقطع كثيرة من الاثاث الفاخر المطعم بالذهب، وعدد كبير من المرايا ومجموعة فاخرة من السجاجيد الثمينة . وأخذ الشاه مكانه خلف مكتبه الذى كان من طراز لويس الخامس عشر ، أما باقى الأثاث فكان من طراز روكوكو .

ويقول :

حين جلس الملك تأملته ، فوجدته أقصر وأصغر حجما مما يبدو فى الصور . كانت نظراته جدية فيها كثير من الحزن ، وتوحى بالوحدة التى يحسها أى حاكم لايحس بأية صلة بشعبه !!

كان يرد على أسئلة الصحفيين بتحفظ شديد لكنه يبدو وبجلاء أنه تلقى تربية عالية وأن كان خجولا .

كان الشاه يعانى معاناة عميقة لانه لم يستطع أن يكون كوالده بل أن الشاه رضا خان لم يخف خيبة أمله فى أن يكون له ابن (ضعيف وخجول) وكان يتابعه باحتقار غير خاف ؟؟

ويقول شول ــ لاتور :

وأعترف باننى بذلت جهدا لاقنع نفسى بأن هذا الرجل (اللطيف) والذى يتكلم معى الفرنسية بطلاقة ، هو واحد من أهم شخصيات العصر !!

وكان يخونه التعبير بالفارسية فيلجأ للفرنسية ، الأمر الذى لابد وأنه كان مفزعا لشعب يتذوق اللغة والشعر مثل الشعب الإيراني !!!

وقد دهشت بحق ، حين تصورت أن هذا الرجل (الهش) الضعيف البنية أستطاع أن يضمن ولاء الجيش له ؟!

لكن المراقبين لا يستطيعون أن يخفوا اكتشافهم بأن الشاه كان شخصية متناقضة ظاهرها يخفى داخلها ، ففى الظاهر هو الحاكم القوى الطموح النشيط المتحرك الذى يريد أن يفعل كل شىء يراه عظيما لامته وبلاده ، وفى الحقيقة يعانى من الأكتئاب بل من

الملانخوليا فهو يعرف كما يعرف الجميع أنه لايمتلك تلك الشخصية اللامعة الديناميكية القوية !!

بل ان فترة مكوثه فى المدارس الداخلية السويسرية الراقية كانت حاجزا مضاعفا بينه وبين الناس ، فقد كان مثل الملك فريد ريك الثانى ملك بروسيا الشهير يتكلم الفرنسية بأفضل مما يتكلم لغة بلاده الأصلية .

كما أنه يتصرف داخل قصره كملك من ملوك فارس القديمة بينما يحاول فى الظاهر أن يقيم الأصلاحات فى البلاد !!

هذا هو الشاه الذى قامت المظاهرات فى شتى أنحاء إيران بداية من الجامعات تنادى بسقوطه .. بل بموته ؟

وتروى مينوريفيز :

بلغت أصوات المتظاهرين الغاضبة كل أذن فى إيران وتظاهر طلبة كلية الدين فى المدينة المقدسة (قوم) وهى مسقط رأس الخمينى .

وتحركت قوات البوليس ضد المظاهرة ، وبدون انذار أو تهديد مسبق أطلق البوليس النار على الشباب والطلبة .

وجرى بحر من الدمار .. وابتدأت أصداء الأحداث تسمع على بعد ١٢٠ كيلو مترا في مدينة طهران ، العاصمة .

وأغلق التجار الذين يمتلكون عصب التجارة فى أيديهم ، محلاتهم ومتاجرهم ، وخرج الشعب الى الشوارع رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا يصرخون فى هدير عارم مخيف : الموت للشاه ، الموت لعائلة بهلوى !

كان هذا يوم الجمعة ٨ سبتمبر ١٩٧٨ وحين قارب اليوم على نهايته كانت هناك جثث لاكثر من أربعة ألاف قتيل تفرش الارض بدمائها .

لقد أطلق الشاه الرصاص على شعبه .. كما حدث من قبل عام ١٩٦٣ .

الجمعة ٨ سبتمبر :

تصاعد غضب الشعب فى ألسنة لهيب ملأت أجواء إيران . لم تكن مجرد شعلة نار غضب لمئات من الناس ، ولم تكن مجرد سخط (لبعض) أفراد الشعب بل كانت كلها نارا واحدة متأججة ملتهبة ، ضارية ، مضطرمة ، عالية اللهيب محرقة !!

وفى محاولة لاخماد النار هذه وايهام الشعب بأن العائلة المالكة متمسكة بالدين ،

قام الشاه والشهبانو ببضعة تصرفات لامعنى لها على الأطلاق . فقد ذهبا فى زيارة رسمية دينية الى (مشهد) حيث مقر الإمامة الشيعية ، وارتدت الشهبانو لإول مرة (الشادور الاسود) لكن شادور الأمبراطورة كان من الدانتيلا الشفافة السوداء !!

ونقل التليفزيون وقائع الزيارة الدينية وظهرت الأمبراطورة فرح ديبا فى أجمل صورة لها ، وكانت رائعة بحق !

لكن الشعب الإيرانى .. بصق بأشمئزاز !!

ويروى شول ـــ لاتور فى كتابه تعليقا على يوم الجمعة ٨ سبتمبر الشهير ، والذى سماه : يوم الجمعة الدامى !!

(فى ذلك المساء ، وفى ساعة متأخرة اجتمع فى حديقة الفندق (صفوة) المجتمع الإيرانى) . كان الرجال يرتدون السموكنج بينما ظهرت السيدات بفساتين سهرة من تصميم ديور أتت خصيصا من باريس ! ولمعت على الديكولتيهات الواسعة المجوهرات الثمينة !

لم يكن المرء ليصدق أنه فى نفس الوقت ترقد على شوارع إيران مئات من الجثث وتسيل فوق الشوارع ـــ ماتزال ـــ الدماء ساخنة .. بل لم يكن المرء ليحس بأى أثر لجو المأساة التى عاشها الشعب طيلة اليوم .

كانت الفرقة الموسيقية تعزف أحدث ألحان الرقصات الامريكية ، والشمبانيا تدور على الحاضرين ، ولم يكن ينقص إلا الصواريخ النارية ليكتمل الجو المبتهج .

وانتحى بى أحد رجال الصناعة الألمان جانبا وقد لمح على وجهى أثر الدهشة وقال ضاحكا : لعلك تتذكر ثورة مايو فى ١٩٦٨ فى (كارتييه لاتان) فى الحى اللاتينى ؟ لم يحدث شيء .. لقد تردد الشاه قبل أن يدفع بدباباته الى الشوارع أما (ديجول) فقد فعل ذلك .. وعاد يمسك اللجام بيده .. سريعا !!

أما تقرير المراسلين فتقول :

إن الثورة لم تبدأ الأن ، بل إن أول المظاهرات التى قامت ضد الشاه كانت فى مارس من ذلك العام ١٩٧٨ .

فقد ابتدأ الشعب يقارن بين تعاليم الأسلام وما كان عليه المسلمون وبين ما يفعله الشاه الان ، حين يبذر الأموال شرقا وغربا دون مسئولية ودون رقابة ودون محاسبة مما يتعارض تعارضاً صارخاً مع تعاليم الاسلام !

بينما جاء فى حديث لأحد علماء الاجتماع الإيرانيين وهو :
احسان ناراجى IHSAN NARAJHI ..

(قادت خطوة الشاه السريعة نحو الغرب ، الى أزمة هوية قوية عنيفة) .

وقال : (انها ليست مصادفة أن جميع المظاهرات التى قامت كانت تطالب بالافصاح عن خطة الحكومة وبكشف جميع الأوراق التى تلعب بها الدولة ، وأن تضعها على المنضدة أمام الجميع) .

ويعلق بقوله :

(فى هذا يكمن نوع من الولادة الجديدة لمجتمعنا) .

ورغم أن سقوط الشاه كان أمرا ليس بعيد الاحتمال لدى المراقبين لكن الأختلاف على كيفية سقوطه هو الذى كان واردا .

فإن د . شول ــ لاتور يذكر فى كتابه ، أنه كان فى إحدى السنين فى زيارة لجنوب طهران حيث توجد ما يسمى الـ .SLUM وحيث البؤس المنتشر كما هو معروف هناك ، وحيث يعيش الناس فى عشش الصفيح ، التقى بمجموعة من طلاب الآثار الإيرانيين الذين كانوا فى مهمة دراسية . كانوا ينظرون للصحفيين الأجانب بتحفظ شديد ، بينما يمرحون معا وداخل دائرتهم المغلقة بطريقة ملفتة .

ودار الحديث بينه وبين احدى الصحفيات الفرنسيات المخضرمات فى الشرق الأوسط ، وتوصل الى نتيجة واحدة ، وهو أن يسقط الشاه ، ولكن كيف ؟

وبينما رأى شول ــ لاتور أن هذا ممكنا عن طريق انقلاب ثورى رأت الصحفية الفرنسية ، خبيرة شئون إيران ، مارى كلود ، بنظرتها الماركسية ، أن هذا سيتم بالتدريج عن طريق الشعب .

ويضيف شول ــ لاتور ، أنه كان يتوقع أن يأتى التغيير فى أحد الأيام من **أعماق العقيدة الشيعية** ومن الحقد المتراكم لدى رجال الدين المضطهدين .

ويقول : كان رأيى هذا فى تلك الأيام غريبا ويحمل طابع المجازفة الخطيرة ، وحين سجلت هذا بعد عودتى الى ألمانيا فى فيلم تسجيلى وثائقى فتح على باب السخرية الحادة من قبل الشبان الألمان اليساريين ووجدت معارضة جادة وواضحة من جانب الدوائر الصناعية الألمانية التى ترى فى الشاه أكبر سوق أقتصادى لها فى الشرق .

ويصف الشباب الذين صادفهم فى جنوب طهران وبالذات فى يازد : كان هؤلاء

الطلبة نموذجا حيا يشيد بالتمزق النفسي لجيلهم .. فظهرهم الخارجي كان يوحي بأنهم (نتاج) الأسلوب الأمريكي للحياة .

ورغم ذلك فهم يفاخرون بأنهم ضد كل ماهو أمريكي ، وفي نفس الوقت كانوا يرفضون الأنتماء ولو شكليا للمعسكر الشرق الشيوعي .

الدين والسياسة فى إيران :

رغم أختلاف الاحصائيات فان هناك حوالى ١٨٠ ألف ملّا وهم (العلماء الدينيون) ولكل واحد منهم مقره ، فهم الذين يحددون حركة واستراتيجية الشعب الدينية .

وهم فى الغالب يخدمون فى المساجد دون مقابل ويساعدون على نشر الدين ويقومون بالدعوة بحماس ويقظة بين الطبقات الدنيا للشعب . ويعملون كمأمورى ضرائب ، أو قضاه فى الأرياف ، أو نظّار مدارس ريفية أو معلمين للكتابة والقراءة ، أو خبراء زراعة فى الحقول أو حتى أطباء بيطريين .

والملا أقل درجة من (آية الله) ولكنه مثله لايتقاضى راتبا حكوميا عن عمله ، وانما يعيش من (الزكاة) التى يدفعها المسلمون . ولذلك كان نداء رجل الدين أثناء الثورة على شاه إيران بأنشاء (بيت المال) كما كان أول عهد المسلمين ، حتى يكون مصدر المال معلوما وانفاقه معلوما فلا تمتد اليه أيدى الحكام دون أن يعرف الشعب .

أما (آيات الله) فهم الصفوة الممتازة من رجال الدين ، ولقب آية الله ، لايحصل عليه رجل الدين إلا بعد أن يقطع مراحل متعددة يحصل فيها على ألقاب شتى منها المجتهد والفقيه حتى يصل الى (الامام) .

وهنا تكمن المشكلة !!! أو أننا هنا نضع يدنا على جوهر العقيدة أو بما يسمى بالمذهب الشيعى فى الاسلام !

وقد جرى العرف أن يقسم المسلمين فى الظاهرة الى فرقتين هامتين هما أكبر الفرق : وهى السنة والشيعة ، رغم التحفظ الشديد على هذا القسيم .

واذا عرفنا جوهر (الشيعة) استطعنا أن نتابع أحداث إيران وأمكننا التوصل الى النتيجة الحتمية التى كان لابد أن تصل اليها الحال فيها !!

ولذلك أرى أنه من الواجب أن نستعرض بأختصار هذا المذهب لنفسر كثيرا من الأمور الغامضة والتى كانت شبه مجهولة بالنسبة لنا قبل أن يحدث فى إيران ما حدث !

التشيع ــ والفرق الاسلامية
الشـــيعة فى إيـــران

الفرق فى الاسلام :

عن حديث باسناد قوى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة .

وقد روى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وابى هريرة وأبى الدرداء وجابر وأبى سعد الخدرى وأبى بن كعب ، وعبد الله عمرو وأبى امامة وغيرهم ..

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(كلهم (كل الفرق) فى النار الا ملة واحدة . قالوا يارسول الله : فمن الملة الواحدة قال : ما أنا عليه وأصحابى) .

وروى عنه ذم القدرية الذين قال فيهم : القدرية مجوس هذه الأمة ! وهذه الفرق المختلفة خالفوا الفرقة الناجية (السائرة بهدى رسول الله ﷺ في أمور كثيرة تتصل بأصل العقيدة ولذلك يعتبر منها ماهو خارج عن الاسلام على الاطلاق .

أما الفرقة الكبرى الناجية فهى **أهل السنة والجماعة** . وهم جميعا متفقون على قول واحد فى التوحيد وفى صفات الله عز وجل وفى عدله وحكمته وأسمائه وصفاته ومتفقون فى النبوة والامامة وفى سائر أصول الدين . وهم جميعا يقرون بتوحيد الله عز وجل وقدمه وقدم صفاته الأزلية (فهناك أختلاف بين سائر الفرق على صفات الله وعلمه وارادته !!)

وفرقة السنة والجماعة تقر أيضا باجازة رؤية الله عز وجل فى الاخرة من غير

تشبيه ولاتعطيل مع الاقرار بكتب الله ورسله وبتأييد شريعته واباحة ما أباحه القرآن وتحريم ما حرمه مع قيود ماصح عن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

كما يعتقدون بالحشر والنشر وسؤال الملكين فى القبر ، والاقرار بالحوض والميزان ، وهؤلاء لم يخلطوا دينهم وإيمانهم بأية بدعة من بدع الفرق الباقيه. ويشكل أهل السنة الفريق الاعظم من مجموع المسلمين فى العالم الذين يبلغ عددهم الان حوالى المليار ، بينما يشكل الشيعة وهم ثانى الفرق عددا : ٨٦,٣ مليونا فقط تعيش منهم حوالى ٩٥٪ فى سبعة بلاد متفرقة ، ويشكلون الأغلبية الساحقة فى إيران ، أذ تبلغ نسبتهم ٩٤٪ من مجموع الشعب المسلم ، وفى احصائية أخرى تبلغ النسبة فقط ٧٤٪ من المسلمين .

ونستطيع أن نحصى من هذه الفرق (عدا السنة) :

فرق الروافض (المتعارف الان على تسمية أغلبها بالشيعة) ويبلغ عددها ٢٠ فرقة وفرق الخوارج : وهى الثالثة فى التعداد ، وهم أيضا ٢٠ فرقة .

وفرق القدرية : وهم عشرون (وهؤلاء الذين قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام : مجوس هذه الأمة) . وفرق المرجئة : وهم عشر فرق . وهناك فرق اخرى قليلة العدد متفرقة .

وبذلك يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد نبأ بما سيكون حال المسلمين .

وقد اختلفت هذه الفرق فى اصول الاسلام ولم تتفق حتى فيما بينها وبلغت هذه الاختلافات الى حد الخروج عن الاصل ، فاختلفت فى النبوءة وشروطها ، وفى صفات الله عز وجل وأسمائه وأوصافه ، والعدل والتوحيد ، والقدر ، وتقدير الخير والشر ، والارادة والمشيئة ، والرؤية والإدراك .

أما الاختلافات فى فروع الاحكام وفى الاجتهاد فليس فيه تفكير ولاتضليل ، بل ان حديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيح يقول : (اختلاف أمتى رحمة) ..

وحتى لايذهب بنا الخيال بعيدا فإن الاصل في أمة الاسلام : (هم كل المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وذاته وصفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه ، وبنبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته إلى العالم كافة وبتأييد شريعته وأن الكعبة هى القبلة التي تجب الصلاة اليها) ..

أما باقى الفرق كالشاركانية مثلا : فقد أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأقروا بأن دينه حق ولكنهم يقولون أن شريعة الاسلام لاتلزمهم ! فهم ليسوا من ملة الاسلام .

والخطابية يقولون بألوهية بعض الائمة ، واليزيدية يقولون أن شريعة الاسلام تُنسخ فى آخر الزمان ..

ولم يقع الخلاف بين المسلمين الا بعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم فبدأ هذا الخلاف : هل مات أو أنه رفع كما رفع سيدنا عيسى عليه السلام الى ان اتفقوا على ما أثبته سيدنا أبو بكر بالاية القرآنية .

(إنك ميت وإنهم ميتون) صدق الله العظيم .

ثم اختلفوا فى موضع دفنه ، هل يدفن فى مكة أم فى المدينة أم فى القدس حيث جده سيدنا إبراهيم عليه السلام وحيث أسرى به ، لكن سيدنا آبا بكر حسم الموقف .

(الانبياء يدفنون حيث يقبضون) .

وروى هذا الحديث بشكل آخر :

(ماقبض الله نبيا الا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه) .

ثم اختلفوا فى الامامة من بعده ، وبايعوا سيدنا أبا بكر . ثم اختلفوا فى توريث التركات عن الأنبياء ، وحسم أيضا سيدنا أبو بكر الموقف بروايته عن النبى صلى الله عليه وسلم :

(ان الانبياء لايورثون) .

ثم اختلفوا في وجوب الزكاة واتفقوا على رأى سيدنا أبى بكر بوجوب قتالهم . وقد اتفقوا بعد ذلك على كل ما اختلفوا عليه ، وما اختلفوا الا فى فرع الفقه كالميراث وغيره ومسائل الكلالة وتعصيب (من العصب) الاخوات من الاب والام ..

الاختلاف الرئيسى بين المسلمين نشأ بعد الخليفة عثمان رضى الله عنه :

أما أختلافهم الرئيسى فقد ظهر فى أواخر عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم اختلفوا فى شأن سيدنا على بن أبى طالب وأصحاب موقعة الجمل الشهيرة (مع السيدة عائشة رضى الله عنها ، وفى شأن معاوية وتحكيم موقعة صفّين ، ثم حدث فى زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية (فى القدر) وتبرأ منهم هؤلاء الصحابة أمثال : عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبى هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم .

ثم اختلفت فرق الخوارج (وهم الذين خرجوا على سيدنا على رضى الله عنه لقبوله التحكيم) حتى بلغت فرقهم عشرين فرقة كل فرقة تكفّر كل الفرق الأخرى ثم جاءت

(المعتزلة) .

التشيع :.

هناك حديث نبوى شريف صحيح دعا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الى التشيع لسيدنا على بن ابى طالب .

ويقال أنه بعد أن رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وصلى الى بئر خم وخطب فى الناس قائلا :

(ان الله مولاى وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه ، فعلىّ مولاه ، فعلىّ مولاه ، فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب) !

يقال ان هذا الحديث رواه ١٢٠ صحابيا و١٨٤ من التابعين و٦٣ من أئمة الحديث .

ويقول الكاتب انيس منصور :

(والشيعة يرون أن خطبة الرسول هذه هى دعوة الى الشيعة ، فلا خلاف بين الشيعة والسنة فى صحة هذا الحديث وانما الخلاف فى تفسير كلمات الولاية والحب ، وهى قضية بين المذاهب الاسلامية !) .

وفى كتابه : نهج البلاغة .

قال سيدنا على ، رضى الله عنه :

(سيهلك فى صنّفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق ، وخير الناس فىّ حالا النمط الاوسط فالزموه ، والزموا السواد الاعظم فإن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة ! فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب ، ألا من دعا الى هذا الشعار **فاقتلوه** ، **ولو كان تحت عمامتى هذه**) !!

(من نهج البلاغة للامام على) .

واعترف أنى حين بدأت أصنف الشيعة بين الفرق الاسلامية ، اكتشفت أن ذلك أشق الامور ، فللشيعة فرق كبيرة ، والمراجع التى يمكن الوثوق بها يرجع معظمها الى

القرنين الرابع والخامس الهجرى ، وهى اما كتبت بيد مؤلف سنى متشدد ، أو بيد مؤلف شيعى متعصب !

والمذهب الشيعى هو فرقة من هذه الفرق أو هو مجموعة من الفرق أختلفت فيما بينها لكنها اتفقت على :

(١) المبدأ وهو التشيع لسيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه .

(٢) كما اتفقت على وجود (امام) من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن سيدنا على ، وهذا الامام أختفى وسيظهر فى آخر الزمان وهو (المهدى المنتظر) الذى بشر به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) كما اتفقت هذه الفرق الشيعية على ان هذا الامام الذى مايزال (غائبا) هو الحاكم الفعلى فى كل مكان وزمان ، وحتى يظهر ثانية يقوم (آيات الله) بالحكم بالنيابة عنه .

وهم لايصلون وراء أى امام سنى ، فامامهم غائب .

وإذا تدرج (آية الله) يصبح (إماماً) لكنه إمام ينوب عن المهدي والإمام النائب عن الغائب يحكم بأسمه ، ويجب أن يكون (مختارا) من الله ، وان يكون من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الامام يجب ان يكون حافظا للقرآن ، محافظا عليه ، متبعا لتعاليمه ويمتلك قدرة غير عادية من الحكمة والبلاغة ، ولايخطىء ، فهو :

(معصوم من الخطأ) وهذه (العصمة) هى التى تميزه عن الناس جميعا ، فهو : انسان فوق الانسان العادى !! سوبر !!

هذه هى الخطوط الرئيسية للمذهب الشيعى . أما الفرق التى تنتمى لهذا المذهب فهى كثيرة ويمكن ادراجها ، لمن يبغى معرفة أشمل فى هذا المجال :

فرق الرافضة او الروافض :

وهم من أهم الفرق المنتسبة الى الاسلام والتى يطلق عليها اليوم التسمية (شيعة) للتعميم !

وهم فى الاصل من تشيعوا لسيدنا على كرم الله وجهه ، ومبدأ مذاهبهم كلها يقوم على انتظار (المهدى المنتظر) أو الامام الغائب الذى يحل مكانه رجال الدين حتى يظهر !!..

وهم قصدنا فى هذا التقسيم لان باقى الفرق لاتنتمى الى مانحن بصدد الحديث عنه ، وفرق الروافض عشرون فرقة !!

الزيدية : منهم الجارودية من أتباع ابي الجارود :

يقولون بزعمهم أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة سيدنا على بالوصف دون الاسم ، وزعموا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على رضى الله عنه ، وكان سيدنا الحسن هو الامام بعد على كرم الله وجهه ، ثم سيدنا الحسين رضى الله عنه

ثم تفرقوا فرقتين : (١) فرقة تقول ان علياً نص على امامة ابنه الحسن ، ثمْ نص الحسن على امامة أخيه الحسين رضى الله عنهما ، ثم صارت الإمامة بعد الحسن والحسين رضى الله عنهما شورى في ولديهما ، فمن خرج شاهراً سيفا داعيا إلى دينه وكان عالما ورعاً فهو الإمام !

(٢) وهناك فرقة تقول ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى نص على امامة سيدنا الحسن بعد على كرم الله وجهه ، وامامة الحسين بعد الحسن ..

ثم افترقت الجارودية كلها فى خلاف حول الامام المنتظر .. فمنهم من لم يعين احدا بالذات .. ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب ، ولايصدق بقتله أو بموته ويزعم أنه (المهدي المنتظر) .

ومنهم **السليمانية** أو الجريرية ، وهم يقولون أن الامامة شورى وأثبتوا امامة سيدنا ابى بكر وسيدنا عمر ولكن عليا كان أولى بالامامة منهما ، لكنهم كفّروا سيدنا عثمان بن عفان !!

أما البترية منهم ، فلم يذموا سيدنا عثمان ولم يمد حوله ، وهؤلاء أحسن حالا عند أهل السنة !

والجارودية يكفّرون البترية ، لانهم لم يكفّروا سيدنا عثمان !

لكن الفرق الثلاث **اجتمعت** على القول بان اصحاب الكبائر من الامة يكونون مخلدين فى النار (وذلك قول الخوارج أيضا) ، فهم يدعون المذنبين الى اليأس من رحمة الله (ولاييأس من رحمة الله إلا القومُ الكافرون) صدق الله العظيم .

أما سبب تسميتهم بالرافضة أو الروافض فله **قصة** :

فقد خرج زيد بن على بن الحسين وكان قد بايعه (١٥) ألف رجل من أهل الكوفة ، على والى العراق وكان يوسف بن عمر الثقفى ، فقال له يوسف بعد قتال بينهما : انا ننصرك على اعدائك بعد ان تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدك عليا بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال زيد : انى لا أقول فيهما الاخيرا وما سمعت أبى يقول فيهما

الا خيرا ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين واغاروا على المدينة يوم الحرة ورموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار !

ففارقوه عندما قال ذلك ، حتى قال لهم : رفضتمونى !!! ومن يومئذ سموا بالرافضة .

وبقى معه ۲۰۰ رجلا فقط وقاتلوا حتى قتلوا وقتل زيد ثم نبش من قبره وصلب ثم أحرق .

ومعروف أن أهل الروافض من الكوفة هم أكثر الناس غدرا وبخلا ! فقد غدروا بسيدنا الحسن بن ابى طالب بعد أن بايعوه ، ولما خرج لقتال معاوية طعنه أحدهم فى جنبه فسقط عن فرسه ، وقد كتبوا الى سيدنا الحسين رضى الله عنه لينصرهم على زيد بن معاوية فلما بلغ كربلاء غدروا به حتى قتل مع أكثر عشيرته ، ثم غدروا بيزيد ، حفيده ونكثوا بيعته حتى قتل .

وقد قال فيهم سيدنا على رضى الله عنه :

(يأهل الكوفة ، منيت منكم بثلاث واثنتين : صم ذوو أسماع وبكم ذوو كلام ، وعمى ذوو أبصار ، لاأحرار صدق عند اللقاء ولا اخوان عند البلاء تربت أيديكم ، ياأشباه الابل غاب عنها رعاتها ! كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر !

(نهج البلاغة)

وهناك حوالى ۱۰۰ ألف من الزيدية يسكنون إيران والباق يقيمون فى اليمن ولهم فيها امام مستقل بأمره منذ عام ۱۹۰۱ .

أما **الكيسانية** من الرافضة فهم أتباع المختار بن عبيد الثقفى الذى قام بثأر سيدنا الحسن بن على رضى الله عنه وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء ، وكان يقال له ، (كيسان) .

وقد قالوا بجواز البدء على الله عز وجل .

وهؤلاء يقولون بامامة (محمد بن الحنفية) (ابن سيدنا على رضى الله عنه) وذلك بوصية من الامام الحسين نفسه حين غادر المدينة الى مكة رافضا اتمام البيعة ليزيد بن معاوية .

ثم اختلف الكيسانية ، فمنهم من قال ان (محمد بن الحنفية) لم يمت وهو حى فى جبل رضوى الى يوم خروجه وهو (المهدى المنتظر) ومنهم من قال بموته ، وبذلك

رجعت الامامة من بعده الى ابن آخيه على بن الحسين ، ومنهم من قال برجوعها الى ابنه أبى هاشم عبد الله وأختلفوا حتى فى تتابع الائمة بعده !

وقد قال كثير الشاعر وهو من الكيسانية فى قصيدة له :

تغيب لايرى فيهم زمانا (برضوى) عنده عسل وماء !

الامامية : وهو مذهب أغلب الشيعة فى إيران وأهمها :

والإمامية مخالفة في بعضها للزيدية والكيسانية والغلاة ، وهم ١٥ فرقة :

(١) الكاملية : أتباع أبى كامل : وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على وكفّر عليا بتركه قتالهم ، وقالوا أيضا بتصويب ابليس حين فضل النار على الارض ! وكان ابو كامل أفحش هؤلاء قولا فى سيدنا على رضى الله عنه وفى سائر الصحابة ..

(٢) المحمدية : ينتظرون (المهدى المنتظر) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن ابى طالب ويزعمون انه مايزال فى ناحية نجد الى ان يؤذن له بالخروج .

(٣) الباقرية : اعتقدوا بامامة سيدنا على واولاده من بعده الى محمد بن على المعروف بالباقر وهو ابن زين العابدين بن سيدنا الحسين وهو المهدى المنتظر .

(٤) الموسوية : اعتقدوا بامامة جعفر الصادق ثم موسى بن جعفر ، وزعموا أنه مازال حيا وأنه لم يمت ، وهو المهدى المنتظر .

(٥) المباركية : يقولون بامامة ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر .

(٦) الهاشمية : وهم ينسبون الى هشام بن الحكم الرافض والى هشام بن سالم الجواليقى ، والجميع يتكلمون فى الامامة وأضافوا (ضلالتهم فى التجسيم) و (بدعتهم فى الشبيه) وقد قال صاحبهم هشام بن الحكم اقوالا أقل مايقال عنها انها (ضلالة متجسد) .

فقد قال ان الله عز وجل انما يعلم ماتحت الثرى بالشعاع المتصل منه ولولا مماسة شعاعه لما رأى ماوراءها (حاشا لله وسبحانه) !!

وقد ضل فى صفات الله فقال ان الله علم الأشياء بعد أن لم يكن عالما بها وكان يقول فى القرآن أنه لاخالق ولامخلوق ، وكان يجيز على الأنبياء العصيان أما الأئمة **فمعصومون** من الذنوب !!!

وزعم أن الفرق بين النبى والإمام بأن النبى اذا عصى ، أتاه الوحى بالتنبيه على خطاياه والأمام لاينزل عليه الوحى فيجب أن يكون معصوما من الخطيئة والمعصية !!

وقد كفّره باقي فرق الأمامية لأنه أجاز المَعصية على الأنبياء !! (وقد ظهر خطر رأى الخميني حين قال بعد كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن المهدى المنتظر هو الذى سيكون كاملا) .

وقد قال (الهشامية) بإن ارادة الله هى حركة وهى معنى لاهى الله ولاهى غيره .

وقال هشام الجواليقى عن أفعال العباد انها أجسام فلا يوجد فى العالم الا الاجسام .

الزرارية : وهم على فحش وضلال ، وهم أتباع علىّ زرارة بن أعين وكانوا من القائلين بامامة عبد الله جعفر ثم انتقل الى مذهب الموسوية وهو يقول :

ان الله عز وجل (سبحانه وتعالى عما يصفون) لم يكن حيا ولاقادرا ولا سميعا ولابصيرا ولاعالما ولامريدا حتى خلق لنفسه حياة وقدرة وعلما وارادة وسمعا وبصرا ، (وهو فى الحق قول يناقض نفسه) !!

اليونسية : وهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمّى (وكان على مذهب **القطيعية** الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر) ..

وقد أفرط فى بدعته المضلة فزعم أن الله سبحانه وتعالى يحمله حملة عرشه ، ويرد أهل السنة على ذلك بقولهم :

ان الآية : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) دلالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى عز وجل .

الشيطانية : وهم أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق وقد قطع أيضا بموت موسى ولكن بانتظار بعض أسباطه ! وشارك الهشامية فى دعواهم بأن الله تعالى سبحانه ، انما يعلم الأشياء اذا قدرها وأرادها ولايكون قبل تقديره الأشياء عالما بها .. (نستغفر الله العظيم من كل هذا) .

الاسماعيلية : أو السبعية ، وهم طائفة ينتسبون الى الامام اسماعيل (جعفر الصادق) ، سادس الأئمة ، وهم يقولون بوجود النفس والعقل فى امامهم المقيم فى الهند والملقب بآغا خان . وينتشرون فى إيران وسوريا (خصوصاً في مدينة حماه)

الاثنا عشرية : (المذهب المعروف والاكثر شهرة والمنتشر فى إيران بالذات)
وهولاء ساقوا الامامة من جعفر الصادق الى ابنه محمد بن الحسن الذى هو سبط على بن موسى الرضا ويقال لهم الاثنى عشرية بدعواهم بأن الامام المنتظر وهو الثانى عشر من

نسبه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه واختلفوا فى سن هذا (الثانى عشر) . فمنهم من قال أنه كان ابن أربع ثمانى سنين وهو الان الامام الواجب طاعته وان كان غائبا !

وقد اختلفوا فى حكمه فى ذلك الوقت ، فمنهم من زعم أنه فى ذلك الوقت كان اماما (عالما) بجميع ما يجب أن يعمله الأمام وكان مفروض الطاعة على الناس ، ومنهم من قال انه كان اماما بمعنى أن الامام لايكون غيره !

وأئمة الشيعة الاثنا عشر هم :

أولهم سيدنا على بن ابى طالب الملقب لديهم بالمرتضى

٢ ـــ سيدنا الحسن بن على (المجتبى)

٣ ـــ سيدنا الحسين بن على (الشهيد)

٤ ـــ سيدنا على زين العابدين (السجّاد) . (وهناك فرق كاملة تسمى : البسجّادين)

٥ ـــ الامام محمد (الباقر) .

٦ ـــ الامام جعفر (الصادق) .

٧ ـــ الامام موسى (الكاظم) .

٨ ـــ الامام على (الرضى) .

٩ ـــ الامام محمد (التقى) .

١٠ ـــ الامام على (التقى) .

١١ ـــ الامام الحسن العسكرى (الذكى) .

١٢ ـــ آخرهم المهدى الذى اختفى نحو عام ٨٧٣ م وتدوم غيبته الى أخر الزمان حيث يعود ليملأ الأرض عدلا .

وينشر الاثناعشر خاصة فى إيران وباكستان والعراق .

وهناك طائفة من الطوائف المتفرعة من الاثنى عشرية . وتسمى :

المتاولة : وهم يعتقدون ببقاء امام غير منظور من أبناء سيدنا على رضى الله عنه . عرفوا بهذا الاسم لانهم تولّوا عليا وأهل بيته أى اتخذوه وليا ، وقالوا :

(توالينا بعد الله عليا وأهل بيته) أكثرهم فى العراق ومن مدنهم (النجف) عددهم فى لبنان ٥٣٠ ألفا وتوجد أقلية منهم فى سوريا .

ومنهم :

الخطابية : وهم ينتسبون الى أبى الخطاب الاجدع القائل بحلول الألوهية فى نفسه كما حلت سابقا فى الامام جعفر الصادق . عذب وأحرقت جثته ، واندمجت بدعته فى

طائفة (الاسماعيلية) .

وقد ظهرت فى القرون الخمسة الاخيرة طوائف جديدة من الشيعة لم تذكرها كتب السلف التى أنتهى بعضها عند القرن الحادى عشر الميلادى تذكر منها بعضا مما وجدناه فى المراجع الحديثة :

دندش : قبيلة من الشيعة فى لبنان ، يقطنون منطقة الهرمل ، من مشاهيرهم هزيم آغا واسماعيل آغا (١٦٩٢) فى عهد الاتراك .

الحسينيون : هم أشراف المغرب المنتسبون الى الامام الحسن بن على رضى الله عنهما . وهم أبناء عم الحسنين . جاؤا المغرب ، وهم سلالتان : سلالة على الرضا (وربما هو الامام الثامن لدى الاثنى عشر) وسلالة ابراهيم المرتضى وهم العراقيون الذين غادروا الاندلس الى بلاد فارس (إيران) عام ١٤٩٢ .

الحروفية : فرقة شيعية نشأت فى القرن الرابع عشر . انضم اليها الدراويش (البكتاشية) . لقبوا بالحروفية لان لهم حسابا مستخرجا من حساب الجمل بالاحرف . وله شأن كبير فى معتقداتهم .

من أقوالهم : ان الكون أبدى يتحرك حركة أبدية . يشربون الخمر فى أجتماعاتهم الدينية ويعترفون بخطاياهم الى رئيسهم ويسمونه : بابا !!

الفاطميون : هم سلاطين مصر الخلفاء (٩٠٩ ــ ١١٧١) .

انتسبوا الى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . خرجوا من تونس وفتحوا مصر وكانت القاهرة عاصمتهم .. دخلوا سوريا فى القرن (١٠ و ١١) .

العلويون : هم المنتسبون الى سيدنا الامام على بن أبى طالب بالسلالة من بنيه وبناته . واليهم ينتسب (الاشراف) و (الاسياد) وعلامتهم العمامة الخضراء .

الشيخية : طائفة من الشيعة فى باريس . سميت بهذا الاسم لاتباعها الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائى . يمتازون بتكريم الائمة الاثنى عشر .

وبهذا يكتمل عدد فرق **الامامية** خمسة عشر فرقة :

المحمدية ــ الباقرية ــ الناموسية ــ الشميطية ــ العمارية ــ الاسماعيلية ــ المباركية ــ الموسوية ــ القطيعية ــ الاثنى عشرية ــ الهشامية ــ الزرارية ــ الشيطانية ــ الكاميلية .

وأقوى الفرق هى الاثنا عشرية التى تكاد تجمل الاعتقادات فى الائمة مع اختلاف على شخص (المهدى المنتظر) !

وحين كان شاه إيران فى مصر ، علم الخمينى أنه صلى فى مدينة أسوان وراء امام سنىّ ، وأنه لم يخرج من جيبه قطعة الفخار التى اخذت من تراب (النجف) و (كربلاء) ليضعها بين جبهته وبين الارض أرض المسجد ، فالشيعة لايسجدون الا على أرض كربلاء أو على قطعة منها ، وقال الخمينى آنذاك : (كفرت ياجلالة الأمبراطور .. فنحن لانصلى وراء امام ، فامامنا غائب) ..

وقد بلغ الامر بالخمينى أنه قال فى يوليو عام ١٩٨٠ :

(ان المهدى الذى بشرت له الاحاديث النبوية والقادم ــ حسب هذه الاحاديث ــ فى آخر الزمان ، هو الانسان الكامل ، بل والاكثر كمالا من النبى صلى الله عليه وسلم (كبرت كلمة تخرج من أفواههم . ان يقولون الا كذبا) صدق الله العظيم

ويقال أيضا أنه قال :

(ان الاحتفال بمولد المهدى ــ الذى يعتبره الشيعة حيا يرزق ، بل اختفى فقط ــ أهم من الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، لان المهدى هو القائد الذى ننتظره جميعا ليقودنا الى النصر على الضلال) .

الشيعة فى إيران :

يبدو التعصب الشيعى واضحا فى الشعوب الاسلامية غير العربية ، كإيران وباكستان والهند وافغانستان وروسيا ، فهم يعتقدون أن (الخلافة) المعقودة لهم من الله قد انتزعها منهم غيرهم ، رغم انهم يشكلون الاقلية نسبة الى أتباع السنّة !

وقد أصبح المذهب الشيعى مذهبا رسميا للدولة فى إيران فى القرن السادس عشر حين وقف أتباعه فى وجه الأمبراطورية العثمانية (السنّية) التى كانت تتوسع .

ولما كان المذهب الشيعى يعتمد على أمور ليس لها قاعدة شرعية معروفة فى القرآن ولا في السنة ، مثل وجود (المهدي المنتظر) في أى مكان يرزق منذ اختفائه بعينين ، احداهما من الماء والاخرى من العسل ، أو كحلول الالوهية في الائمة ، أو كعصمة الائمة على أقل تقدير ، فإن هذا يجعل من المذهب الشيعي مذهباً ، يحتمل تأويلات كثيرة تختلف بإختلاف رجال الدين أنفسهم الذين يتزعمون الشيعة .

وهذا صبغ هذا المذهب بكثير من الخرافات التى لاتصدق ، والتى ربما لايكون

لهؤلاء الأئمة أى دخل فى هذه الخرافات ، ولهذا أيضا كان للمذهب السنى أتباع يفوقون عددا ، وذلك لان منهجهم واضح ، والأغرب من ذلك أن سيدنا عليا رضى الله عنه ، كان من أتباع السنة المحمدية !!!

ورغم تعدد آيات الله فى إيران ، الا أنهم يتفقون ، فلا يحدث تنافس علنى بينهم ، بل كانوا غالبا مايتبادلون المشورة والحكم فى القضايا الهامة على أنهم كثيرا ما يتدخلون بنجاح فى القرارات التى يصدرها الحكام .

ففى عام ١٨٩٠ حين باع الشاه ناصر الدين حق بيع (التاباك) للانجليز دعا (آية الله ميرزا الشيرازى) الى اضراب عام فى حقول التاباك وفى المصانع ، واضطر الشاه الى فسخ الاتفاق .

وكان أقوى ماقام به (آيات الله) فى إيران هو ارغام الحاكم القاجارى (السلالة التى اسسها محمد آغا خان) مظفر الدين على الموافقة على دستور عام ١٩٠٦ والذى يقضى بتدخل رجال الدين فى الحكم ، وفى الموافقة على كل قانون قبل صدوره ، ومازال هذا الدستور سارى المفعول حتى الآن (ولو شكليا) وقد حاول الشاه رضا خان ثم محمد رضا بهلوى الغاؤه أو تجاهله ، الى أن وقف فى وجه الاول والد الخمينى وفى وجه الثانى الخمينى نفسه .

وقد اعتبر آنذاك هذا الدستور خطوة (حديثة) فلأول مرة يوافق رجال الدين على قيام دولة (دستورية) الامر الذى يشبه الغرب ، وهو ما يحاربه الشيعة عموما .

أما المعارضون فيرون فى هذا (استسلاما) للأفكار الغربية وخطرا يتهدد إيران ، وكانوا أقلية فى ذلك الوقت وتظاهروا فى الشوارع ينددون بهذا (التغريب) أما اليوم فالاكثرية الساحقة هى التي كانت تجوب شوارع إيران لرفض هذا (التغريب) .

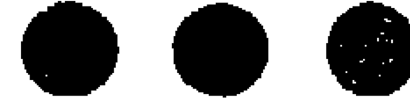
لكن المعارضة أيامها لم تستمر الا عامين ، واسستولى رضا خان على الحكم الذى أسقط به سلالة القجار الى الابد ، وكان قد قام ذلك بزيارة الى مدينة (قوم) المقدسة ، ملتقى آيات الله ، والتقى هناك بكبارهم ، ونقل اليهم رغبته فى أن يجعل من إيرا ن بلدا مماثلا لما قام به كمال أتاتورك فى تركيا ، وجعله جمهورية ، لكن رجال الدين رفضوا عرضه ومشروعه ، فنصب نفسه حاكما .

وحين أمر الشاه بأن تنزع الحجاب وتخلع التشادور وأمر أن يلبس الزى الأوروبى أسوة بنسائه ، كما أمر رجال الدين أن يلبسوا الزى الرجالى الأوربى بدلا من عباءاتهم

الدينية ، فوقف أحدهم فى وجهه فما كان من الشاه الا ضربه بالكرباج بنفسه لانه رفض الدعوة فى المسجد الى ذلك ، وكان ذلك فى قوم !! حيث نشأ الخمينى .

كان رجل الدين الذى ضربه الشاه رضا خان ، هو والد الخمينى !!

وياله من ثأر قديم !!



الخمينى والشاه
وأحداث الثورة ، يوما بيوم !

آية الله خميني :

يقول كونسيلمان في كتابه : (التحدي الاسلامي) .

(ان الاسلام لم يعد يشكل خطرا كبيرا منذ القرن السابع عشر ، حتى قام الخمينى يدعو له ثانية ويهز العالم)

فالخمينى يعتبر رمز المقاومة ضد حكم الشاه منذ أن اعتلى العرش حيث قال فى ذلك الحين : (ان محاربةُ الظلم واجبِ على كل مسلم) .

كان جداه من زعماء الشيعة وكان أبوه من كبار رجال الدين فى مدينة قوم المقدسة .

فى الخامسة عشرة من عمره أبتدأ (روح الله الخمينى) دراساته الدينية على يد شقيقه ، مدرس القرآن . ثم درس الفقه الاسلامى والفلسفة والتصوف وحصل فى سن الثلاثين على درجة (مجتهد) وكانت هذه سنا مبكرة لمثل هذه الدراسة . وأبتدأ هو بالتالى يدّرس فى قوم الفقه الاسلامى ويعلن آراءه فى الأحداث السياسية ، وقد كانت له آراء متطورة ومواقف نقد شديدة للدولة والسياسة ، مما لم يتوافق مع الهيئة الدينية الشيعية المحافظة فى البلاد .

كان الخمينى يطالب بحكم (الملالى) الذين يتولون السلطة السياسية والدينية معا ، على غرار ما كان عليه الحال فى عصور الاسلام الاولى ، بحيث لايكون الاسلام دينا فحسب ، بل سياسة أيضا تحدد الخط الاساسى الذى تسير عليه الدولة .

وبينما كان الشاه يقول :

(ان الزعماء الدينيين يتمرغون فى وحلهم وقذارتهم ، مثل الديدان التى تعيش داخل القذارة والطين ، لكن يد العدالة ستطولهم) !

فيرد الخمينى على ذلك :

(بأن الشاه شيطان) .

ويتخذ من هذا أسلوبا جديدا لمقاومة حكم الشاه الى أن يسقطه !!

وأصبح الخمينى أعنف ناقد للسلطة وأعنف مهاجم للحاكم الدنيوى ، وقال :

(كل الأوامر التى يصدرها الديكتاتور ليس لها أية قيمة ، وكل القوانين التى يصدّق عليها البرلمان يجب أن تحرق)

كما جاء فى كتابه (كشف الاسرار) وهو واحد من مجموعة أعماله التى تبلغ ٣٠ كتابا على الأقل .

وقد كتب الخمينى كل خواطره وتعاليمه ونظرياته فى ثلاثين كتابا ومعظمها كتب باللغة العربية ويعتبرها رجال الدين فى إيران موسوعة شاملة لكل تصورات (آية الله) عن العالم والجنة والنار ، بل ويعتبر الأساس الضرورى والهام لكل الدراسات الواجبة لتعليم الاسلام على المذهب الشيعي !!

الشاه والخمينى :

حين اعتلى محمد رضا بهلوى العرش بعد تنازل أبيه عام ١٩٤١ اشتد سخط الخمينى ، خصوصا بعد أن أعلن الشاه فتح بلاده على الغرب واستقبال الاجانب وتعيينهم مستشارين فى الشئون العامة والعسكرية .

فقد كان يقول :

(أمريكا أسوأ من إنجلترا ، وإنجلترا أسوأ من أمريكا ، وروسيا أسوأ من الاثنين ، لانها كافرة) ..

وفى رأيه :

(أنه يجب انقاذ هذا الجيل من الشباب) لان :

(أمريكا تعمل على تدمير الاخلاق والشخصية للشعب الايرانى)

وهى تعمل أيضا على (تدمير الاسلام وتصفية المسلمين) وهذا يتم فى (بؤرة خاصة) هى السفارة الامريكية ..

وابتدأ سخط الخمينى يتخذ شكلا ملموسا عام ١٩٦٣ حين حصل الخبراء العسكريون الامريكيون فى إيران على الحصانة الديبلوماسية ، فقد وجد الخمينى فى هذا تهديدا مباشرا وصريحا للاسلام ودعا الشعب الى الكفاح ، ومقاومة الحكام .

وجاء فى احدى المقالات التى كتبها عام ١٩٤١ فى كتابه : (كشف الأسرار) :

(أيها المجاهدون الشبان ، أيها المسلمون ، الذين تريدون النضال من أجل الكرامة المهدورة .

(يارجال الدين ، الذين تحاربون من أجل الاستقبال . أنه حق الله ، وواجب دينى على كل مسلم أن يطهر وطنه من المستعمرين الأجانب ومن حلفائهم داخل البلاد) .

وفى بداية الخمسينات أسس : (الاتحاد الاسلامى) وهو جماعة من الطلبة المسلمين المتعصبين ، التى تحاول عن طريق المنشورات بث الاتجاه الجديد للحياة العامة ، حسب ما يمليه القرآن دون تحريف .

زهى جماعة معادية عداء حاداً لاسرائيل ، لأنها كانت رأس الجسر الذى مدّته أمريكا الى الشرق الأوسط .

فى الستينات حاول الشاه أثناء قيامه بما سماه (بالثورة البيضاء) اخضاع رجال الدين وذلك بانتزاع جزء كبير من الأراضى الزراعية التى يمتلكونها ، كما حاول الحد من اختصاصاتهم وتحديد سياسة البلد بالقوانين الجديدة وليس بالشرع وأولها القضاء على ظاهرة تعدد الزيجات التى كان يتمتع بها رجال الدين .

وفى الوقت الذى أعطى الأمريكان والأجانب عموما حقوقا واسعة للتصرف فى البلاد ضغط على رجال الدين للحد من حرياتهم ووصفهم مرة بأنهم (خنازير) وهو أقسى ما يمكن أن يوصف به مسلم على الأطلاق !

وإذا لم يتح للشاه أن يجلد رجال الدين كما فعل أبوه ، فما ذلك الا لأنه ليست له قوة أبيه ولاشجاعته ولاصلابته !

وقد حارب الملالى سياسة اقتطاع الاراضى وتوزيعها على الفلاحين لان ذلك مناف للاسلام الذى يقر الملكية .. وهم يرون أن التنازل الحر عنها للفقراء أو اشراكهم فى ريعها هو القانون الشرعى الذى يحدده الاسلام ، ويقول الخمينى فى هذا الصدد :

(ان العدل فى هذه البلاد .لايمكن ارساؤه الا بأتباع القرآن)

كما يقول :

(ان القرآن هو وحده الذى يستطيع أن يبني دولة لاتعرف الاضطهاد ولا الظلم) !

وقام الخمينى معاديا للشاه ولثورته البيضا ء ، يناصره تقريبا جميع رجال الدين فى إيران .

(ان الصناعة الحديثة ألا تتحول إلى صنم يعبده الناس) .

ويقول الخمينى :

(انه لامانع لدينا أن يصعد الانسان الى القمر وأن يبنى المفاعلات النووية ولكن علينا رسالة يجب أن نتممها . فنحن مطالبون أن نخدم الاسلام وأن ننشر مبادئه فى العالم كله) ..

ومن ضمن هذه المبادىء هو الحفاظ على الملكية والحرية الشخصية والعامة . ولم يفهم الشاه ما يريده رجال الدين حقا . ولذلك فقد وصفهم بالديدان والخنازير فكان أن خطب الخمينى فى مسجد السيدة فاطمة رضى الله عنها فى قوم عام ١٩٦٣ ، لكن الشعب الذى لم يكن يفهم أيضا ما يجرى حوله ، وسياسة (التصنيع) الذى يتبعها الشاه ، و (التحديث) و (التغريب) لم يؤيد ولم يعارض .

ولهذا فقد أحس الشاه أنه أصبح (ندا) للزعيم الدينى لم يلق التشجيع الكافى ضد الثورة البيضاء ، فألقى القبض عليه أثناء إحدى خطبه ضد الشاه .. وظن الشاه أنه بهذا أسكته الى الأبد ..

لكن الشاه أخطأ خطأ جسيما دون أن يحسب النتائج .

فقد خرجت الجموع الغفيرة من الشعب فى مظاهرة عارمة تستنكر اعتقال الخميني ، ثم تحولت المظاهرات المؤيدة إلى ثورة عارمة ، وخرج مئات الالوف إلى الشارع ، وتحول السوق التجاري (البازار) الذي يعد أكبر مركز ثوري حساس في طهران إلى رماد بعد الحريق الذي اشتعل فيه ودفع الشاه بالجيش إلى الشوارع ، وسقط في ذلك اليوم أكثر من تسعة آلاف إيراني قتيلا برصاص جيش الشاه الذي أطلق عليه اسم : جنود الله !

وأضطر الشاه لاطلاق سراح الخميني ، لكنه عاد فألقى القبض عليه ثانية بعد أسابيع قليلة لانه أهان الشاه وسبّه علنا ، بسبب علاقاته المفتوحة مع الولايات المتحدة الامريكية فأقترح الأمريكان نفي الخميني نهائيا عن إيران ، وليكن الى تركيا .

وحتى يمحى أسم خميني نهائيا من الوجود ، قام الشاه بتغيير البلده التى ولد فيها خميني واسمها (خمين) أو خومين ، إلى اسم آخر ، وبذلك يتوارى كل شيء في طى النسيان بمرور الزمن ، وهكذا تغير الأسم الى (آيار سار) أو مدينة (الآريين) ، أبعد ما يمكن عن الاسلام !!

قضى الخمينى احد عشر شهرا فى المنفى فى تركيا ثم سمحت له العراق بالدخول وكان (البكر) رئيس العراق يتمنى مثل هذه الفرصة التى بدت له سانحة بوجود الخمينى عنده ، فقد كان يهدف الى أسقاط الشاه ! وبذلك تتحول إيران الى جمهورية ، تساعد العراق على أقامتها !

وأقام الخمينى فى (نجف) مدينة الشيعة المقدسة !! بل أقدس مدينة بالنسبة للشيعة بالذات ! فهناك ضريح الامام على كرم الله وجهه .. فكان ذلك بالنسبة للخمينى مركز اشعاع ، يرسل منه خطبه ، فيتلقاها الشعب الايرانى بكل الحماس ، فهى من رجل الدين المنفى ، ومن أقدس المدن الى قلب الايرانى !!

كانت العراق تسمح له باذاعة خطبه واستغل الخمينى هذه الفرصة على أحسن وجه ، فكان يتحدث الى شعبه عن الخطر الامريكى والاوروبى الذى شوه الشخصية المسلمة ، والشيطان الذى يتمثل فى هذه التكنولوجيا الرهيبة التى توهم الانسان بأنه يستطيع أن يعيش الجنة فى الدنيا ، الجنة التى يمكن الوصول اليها بالتقدم العلمى والتطور ، والغرب الذى يعده الخمينى معسكر الشيطان الذى اتخذه له مقرا .

ورغم أن الحدود كانت مغلقة بين العراق وإيران ، فإن مقالات الخمينى والخطب المسجلة على شرائط كانت تصل الى الشعب الايرانى بل ان الخمينى كان يتصل بأتباعه عن طريق أوروبا .. وأصبح أسم الخمينى يتردد على كل لسان .. وبدلا من أن يغرق فى النسيان ، طفا إلى السطح ، بل أصبح لامعا متلألئاً في قلوب الايرانيين ، ربما أكثر من ذى قبل .

لكنه حدث في ٦ مارس ١٩٧٥ أن تصالحت الدولتان ، فأعطت العراق إيران حق المرور واستعمال شط العرب مقابل أن توقف إيران مساعداتها للاكراد في العراق .. فأصبح الخميني مجرد عقبة كأداء أمام أحمد حسن البكر يعرقل مسيرة الصلح مع ايران ،

فأرسلت الحكومة العراقية اليه تبلغه أن اقامة الخمينى فى العراق مرهونة بصمته وعدم تعرضه للشاه !

فجأة توفى فى نوفمبر ١٩٧٧ فى نجف (مصطفى خمينى) ، الذى يبلغ من العمر ٤٩ عاما ، وهو ابن آية الله الخميني ، وقد مات الى جانبه فى ظروف لم تعرف ، لكن الشعب الايرانى اعتبر الحادث اغتيالاً قام به البوليس السرى الخاص بالشاه ، السافاك ، واندلعت المظاهرات فى طهران وفى قوم ، وأمر الشاه باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، ودفن مع مصطفى خمينى فى ذلك اليوم أكثر من ٧٠ قتيلا .

وهنا أجبرته العراق على الرحيل ورفضت الكويت استقباله ، فطار الى باريس ، حيث وافقت الحكومة الفرنسية على استقباله واستضافته شرط ألا يقوم بأى نشاط سياسى .

لكن الخمينى لن يهدأ قبل أن يطيح بالشاه . واستمر فى جمع المعارضة حوله واثارة الشعب بمختلف طبقاته بكل الوسائل التى يستطيعها .

وقد قال مرة (مهدى بازارجان) وهو قائد الجناح الحر فى (الجبهة الشعية) وذلك قبل الثورة بمدة قصيرة :

(أن اغلبية الشعب قد اختارت الخمينى ليكون قائدها)

وذلك بمساندة رجال الدين للخمينى بحيث كانوا يتابرون على ايقاظ الشعور الكامن فى نفس الشعب بان الجميع متساوون ، وان الانسان والحكومة والمجتمع وحدة واحدة وان العدالة الأقتصادية تعتمد بالاخاء الاجتماعى فكل المسلمين اخوة ..

الى أن حدث فى سبتمبر أن ظهر ذلك المقال الذى وصف الخمينى بأنه عجوز متهتك !!!

وكانت هناك مظاهرات متفرقة اعتبرها المراقبون بوادر الثورة او هى (شرارة) لاشعالها ، ونتابع الأحداث عن طريق ما أرسلته وكالات الانباء :



أحداث الثورة الايرانية :
تقارير المراسلين ووكالات الأنباء :

٢١ / ٨ / ١٩٧٨

النار تشتعل فجأة فى ٣ دور للسينما .

كانت الجماعات الدينية المتطرفة قد نظمت مظاهرات كبيرة طالبت فيها بأغلاق دور السينما والمطاعم والبنوك طوال شهر رمضان . وحذرت من أعمال العنف ضد من يخالفون هذه التعليمات .

وقد أعلنت نقابة عمال السينما والمسارح أمس أنها ستغلق جميع دور السينما مالم تتخذ اجراءات للامن لحماية العاملين بها .

علق الشاه على الاحداث فى يوم ٢٤ / ٨ / ١٩٧٨ :

فى حديث أذيع اليوم بأنه هو الشخص الوحيد الذى يستطيع اقامة النظام الديمقراطى فى أيران وأن أى شخص آخر عيره لن يستطيع شيئاً حيال الأحداث وهذا ما يمكن أن يؤدى الى الفوضى التامة فى البلاد .

وقال الشاه : أن هناك (عملًا منسقاً) يهدف الى فرض سيطرة أجنبية على البلاد ، ولم يفصح شاه إيران عن الدولة الأجنبية التى قد تسيطر على إيران ، ولكنه أوضح أن التهديد يثيره الماركسيون الذين يزعمون أنهم أيضا (مسلمون) !

بعد حادث يوم الجمعة ٨ سبتمبر الشهير :

١٩٧٨/٩/١١

أعلن جعفر شريف امامى رئيس وزراء إيران الاحكام العرفية وسترفع بمجرد أن تعود الحياة الطبيعية إلى البلاد ، وقال إن حكومته ستواصل المهمة التي كلفت بها لتحقيق المصالح الوطنية .

وقال: إن البرنامج الخاص بالحريات أسيء استغلاله، كما أن الحريات السياسية الممنوحة استخدمت ضد الشعب بينما تعرضت المرافق العامة والممتلكات الخاصة لتدمير بالغ خلال أحداث العنف التي هزت إيران يوم الجمعة .

وأوضح رئيس الحكومة أنه لايزال على اتصال بالقيادات الدينية في البلاد ولكنه ندد بشدة بالحملة التي يشنها آية الله الخميني ، زعيم المعارضة الشيعي ضد النظام من

منفاه في العراق الذى يقيم فيه منذ ١٥ عاما .

فى مدينة (قوم) الشيعية ، مقر آيات الله ، تصدت قوات الجيش لعشرات المتظاهرين الذين تحدوا قرار حظر التجول وأطلقت النيران عليهم وقال راديو طهران ان القوات وجهت نيرانها الى المتظاهرين بعد لجوئهم الى العنف .

كما نشرت الصحف أن الجيش أطلق النار أمس داخل مدينة مشهد المقدسة . وفى باريس ذكر دكتور بختيار أحد أعضاء المعارضة الايرانية أن عدد الذين لقوا مصرعهم خلال الأحداث الأخيرة فى إيران بلغ ٢٤٥٠ شخصا ، وأضاف أنه من المستحيل التصالح مع الحكومة الحالية .

١٧ / ٩ / ١٩٧٨ :

صرح شاه إيران بأنه لايعتزم التنازل عن العرش وأن نجله سوف يخلفه فى حكم البلاد فى الوقت المحدد ، وذلك فى حديث أدلى به للتليفزيون الفرنسى وأبدى ارتياحه لتأييد المسئولين الاجانب العديدين له .

أفردت الصحف الايرانية صفحات مصورة بأكملها للعيد السابع والثلاثين لتولى الشاه محمد رضا بهلوى العرش بينما ساد الهدوء طهران وظلت المساجد خالية تنفيذا لدعوة الزعماء الدينيين للاضراب واعلان الحداد الوطنى على ضحايا المظاهرات لمدة أسبوع أمتنع أئمة المساجد عن إلقاء خطبة الجمعة .

الشاه يصفع رئيس وزرائه :

تصف مينو ريفيز هذا الاحتفال فتقول :

(فى الجو المشحون بالغضب الذى اجتاح إيران كلها ووسط اندلاع النار التى بلغ لهيبها فضاء البلاد كلها ، فكر الشاه فى أن يقيم حفلًا كبيراً على شرف الأسرة المالكة ، متحديا مشاعر شعبه التى كانت تفيض بالسخط والنقمة والثورة على ماوصل اليه أمر عائلة بهلوى على عرش الطا ووس !

دعى إلى الحفل كل من له صفة أو اسم أو مركز ، وأقيم الحفل (الكريم) في قصر والدة الشاه . كنت ضمن المدعوين بحكم عملى كرئيسة لمكتب الاتصال الخارجى الخاص بالقيصرة فرح ديبا .

كان الدخول بالملابس الرسمية : فساتين السهرة والسموكنج ، وظهرت السيدات

فى فساتين من تصميم كريستيان ديور وايف سان لوران ، وتلألأت المجوهرات الثمينة على الديولتيهات المفتوحة .

وكانت فرح ديبا هى الوحيدة التي أرتدت فستانا عاديا قصيرا من الاورجانزا البيضاء بورود زاهية .

أما البوفيه البارد فكان ضخما إلى حد لا يصدق !

ثم سطعت الأضواء فى الحديقة الكبرى للقصر ، وسلطات الكشافات الكبيرة على المسرح ، وظهرت فرق الاكروبات بملابس مضيئة وكانت الشموع العملاقة تضيء المكان على شكل آلاف من النجوم الملونة .

كنت أجلس قريبا من العائلة المالكة ، ورأيت الشاه عن قرب .. كان وجهه يثير الشفقة ، فوجنتاه شاحبتان الى حد كبير وكان يتكىء على والدته التى كانت ترتدى فستانا من اللاميه الذهبى .

لم أكن قد رأيت الشاه منذ شهور طويلة ، وادركت الان حين رأيته أنه فى النهاية ! وصدقت الشائعات التى تناثرت تقول :

(أنه يعانى من سرطان فى الدم أو شيء من هذا القبيل)

وسمعت أيضا مع ما سمعت أن طبيبا خاصا يحضر اليه كل أسبوع ليقوم بعمل تغيير شامل للدم ، وأن هذا الطبيب اسرائيلى الجنسية !!

كان فريق الاكروبات يلعب ، والأضواء تبهر والشموع تتألق ، حين حدث شيء غريب :

تقدم رئيس الوزراء ، الذى كان يبدو اما أنه تأخر واما أنه لم يكن مدعوا . اقترب من الشاه وهمس فى أذنه بشيء ما ، وانتفض الرجل الذى كان يبدو عليه الموت منذ لحظات ، وكأن الحياة دبت فيه فجأة ، ورفع يده لتهوى بقوة على صدغ رئيس الوزراء !

صفع الشاه رئيس وزرائه !!!

ظل الرئيس للحظات مذهولا وكأنه أصيب بالصم .. ثم استدار محييا وغادر الحفل .

وفى اليوم التالى علمنا أنه قد غادر البلاد أيضا . كان أول المغادرين !!

ثم تبعه آخرون !!

وكلات الأنباء :

باريس : فى ٩ اكتوبر ١٩٧٨ :

أكد بيان الخمينى ، الزعيم الروحى للمعارضة الدينية فى إيران ، أن السلطات العراقية قد دعته الى ان يكف عن ممارسة نشاطه السياسى والامتناع عن اصدار أى بيان أو الادلاء بأى تصريح معاد للحكم الايرانى وخيّر بين التزام الصمت أو الهجرة ، وأختار الهجرة .

طهران ١٠ / اكتوبر ١٩٧٨ :

تفاقم الموقف فى إيران أمس بعد أن امتد نطاق المظاهرات والاضطرابات الواسعة النطاق الى ٤٠ مدينة كبرى شملت العاصمة طهران وتبريز واصفهان والاهواز ومشهد .

وذكرت الصحف الايرانية اليوم أن الأغلبية العظمى من طلاب المدارس والجامعات التى يقدر عددها بحوالى ٢٠٠ ألف طالب قد قاطعت بدء الدراسة كما قام العاملون فى الصحف بتقديم انذار مسبق للقيام بالاضراب لمدة أسبوع كامل فى نفس الوقت الذى هدد فيه موظفو الاذاعة والتليفزيون بالامتناع عن العمل لأجل غير محدد .

ومن المحتمل أن تلغى الحكومة الايرانية العقد مع الولايات المتحدة الامريكية لشراء سبع أنظمة رادار قيمتها ١,٢ مليار دولار ، وعقدا مع ألمانيا الغربية لشراء ستة غواصات قيمتها ٣,٣ مليار دولار بالاضافة الى عقد كان قد وقع مع بريطانيا لتزويد إيران بألف دبابة من طراز (تشيفتين) !!

وكالات الأنباء :

طهران فى ٧ نوفمبر ١٩٧٨ :

استقالت حكومة جعفر شريف امامى بعد ٦٨ يوما فقط من اقتراع الثقة عليها وتشكلت حكومة عسكرية فى إيران ، برئاسة الجنرال غلام رضا أزهرى رئيس أركان القوات المسلحة الايرانية .

ودعا الشاه رجال الدين للتعاون معه لاعادة الأمن والنظام الى البلاد ، وطالب الشعب بالتعاون مع القوات المسلحة وأنهاء المظاهرات .

ـــ حذر **الجنرال اوفيسى** الحاكم العسكرى لمدينة طهران من أن الاحكام العرفية ستطبق منذ الان فصاعدا بمنتهى الصرامة وأصدر قرارا بأغلاق المدارس والجامعات اعتبارا من اليوم حتى يوم الأحد القادم .

وأحتل الجيش مبانى دور الصحف الايرانية ومبنى الاذاعة والتليفزيون . وصادرت السلطات جميع أعداد الصحف الصادرة صباح أمس قبل توزيعها وذلك بموجب الأحكام العرفية كما ألقى القبض على ٢٠ صحفيا بينهم عدد من رؤساء التحرير .

وصفت وكالات الأنباء الموقف بأن كل شيء كان متفحما سواء فى الشوارع الكبيرة ، أو الأزقة وأضافت ان حطام سيارات الاتوبيس كان يتناثر فى السوق الشعبى ويسد الطريق .

باريس : اجتمع الخمينى مع عدد من زعماء المعارضة الايرانية لبحث تطورات الموقف الأخير .

تصف **مينوريفيز** هذه الاحداث التى نقلتها وكالات الأنباء فى مذكراتها بقولها :

كانت الشوارع فى طهران وكأنها مساكن الاشباح . فلم يعد أحد يعمل والمحلات مقفلة .

ثم ازدادت المظاهرات غليانا ، وكلها تهتف بسقوط عائلة بهلوى !! أصبح من الصعب الوصول الى المكتب الذى أعمل فيه ، فالمواصلات العامة لاتسمن .. والتكسيات لاتستطيع اختراق الحجب البشرية .. ولم يكن أمامى الا السير على الاقدام لمسافة ثمانية كيلو مترات صباحا ومساء وكنت كثيرا ما أتلقى لكمات وشتائم ، لكن الامر صدر الينا بمتابعة العمل فى المكتب ، وتلقينا تعليمات من جلالتها ، بأن يحضر العاملون كالمعتاد .

لكن بعضهم لم يحضر ، وكانوا هم الذين يقدمون فروض الطاعة والولاء فى كل لحظة ، وأول من تغيبوا عن الحضور !!

الجنرال اوفيسى يقترح تدمير قوم :

ترددت بعض الشائعات المتضاربة ، وكان المؤكد فيها أن الشاه استقبل جنرال (اوفيسى) الذى كان يلقب (بالجزار) وجرت بينهما المحادثة التالية :

قال الجنرال :

(إن العبد المطيع اوفيسي يطلب من الجلالة القيصرية « ملك الملوك » وشمس الآريين السماح له بابداء رأيه ة

وسمح له :

وعرض الجنرال أن يحفظ العرش الطاووسي على أن يترك له الشاه حرية

التصرف ..

سئل كيف !!

أجاب : سأدمر بالقنابل مركز المقاومة مدينة (قوم) وهل سيجدى هذا سأل الشاه :

نعم . أجاب الجنرال .

ثم سألت القيصرة فرح ديبا التى كانت قد حضرت الاجتماع كم سيسقط من الضحايا فى هذه المجزرة ..

أجاب الجنرال : حوالى مليون من الشعب الايرانى ، وربما أكثر !

لا !!! صاحب الأمبراطورة .

استدار الجنرال اوفيسى الى الشاه وقال :

أما أن يعطينى جلالة الشاه هذا التصريح واما أن أرحل !

قال الشاه : اذن ! ارحل !!

ورحل الجنرال الى باريس ، وفى فبراير من عام ١٩٨٤ لقى الجنرال مصرعه مذبوحا فوق شوارع باريس .

ننتقل الى ماكتبه أحد المراسلين الألمان أثناء مقابلته للخمينى فى باريس :

(كل شىء توقف : المصانع وحقول البتزول ومئات الآلاف من المتظاهرين يصرخون ضد الشاه ، وإيران كلها فى فوضى عارمة ومايزال الجيش يقف وراء الشاه ولكن أحدا لايعلم الى متى ، فى الوقت الذى غادر إيران أربعة وستون من أهل رجال البلاط الملكى .

هذا بينما كان العجوز (الخمينى) يقف بعيداً عن طهران بـ ٤٥٠٠ كيلومترا وبالذات ٤٠ كيلو مترا الى الغرب عن باريس ، فى بيت ريفى ، لكنه على رأس أكثر من ٣٢ مليونا من الشيعة المسلمين فى إيران ، ضد الحاكم المطلق .

كان فى طريقه للصلاة خارج البيت تحت احدى أشجار التفاح ، حين أستقبله المئات من النساء والرجال الايرانيين وبعض الفرنسيين وعدد كبير من المصورون والصحفيين . وقد جاء معظم الايرانيين من أوروبا ، وبالذات من ألمانيا الغربية حيث يدرس بعضهم ويعمل البعض الآخر ، وقد ركع بعضهم .. وشمل الجميع صمت عميق .

كل الصحفيون ينتظرون حتى يؤم الامام المصلين المسلمين ، ورغم أن المراقبين لم يفهموا مايقوله أثناء صلاته الا أنهم كانوا مأخوذين بطريقته .

لم يكن كل مّن تجمع حول الامام الخميني من المسلمين المتعصبين ، بل كان بعضهم من السياسيين المعارضين للحكم ، أمثال دكتور سنجابى ، الذى يتزعم الحركة الوطنية ، والذى كان يتمتع بتأثير كبير لسنين طويلة ، وقد شوهد فى باريس منذ أسابيع قليلة فقط مع الخمينى .

وكان من بين الحاضرين أيضا رجال أعمال ودبيلوماسيون .

وكان الخمينى قد تلقى منذ فترة قصيرة مكالمة شخصية من سفير إيران فى أمريكا يطلب منه العودة الى وطنه إيران لاخماد الثورة حتى لاتتعرض البلاد لحرب أهلية .

وكالات الأنباء :

طهران ١٢ نوفمبر ١٩٧٨

ألقى القبض على زعيم الجبهة الوطنية كريم سنجابى :

وأعلن حسين النجفى ، وزير العدل الايرانى ، أن وزارته أمرت بالبدء فى حملة على نطاق معظم الدول العربية ، لالقاء القبض أو للمطالبة بتسليم العشرات من الأثرياء والارستقراطيين وقدامى البيروقراطيين فى إيران ، الذين يقيمون فى الخارج هربا من بلادهم وهم متهمون فى قضايا كثيرة متعلقة بالفساد والتهريب واستغلال النفوذ والاستيلاء على أموال الدولة !!!!

وقالت مصادر مسئولة ان عددا كبيرا من هؤلاء (المفسدين) من (أعضاء الأسرة المالكة) !! وأن بعضهم موجود فى إيران . وقد بدأت احدى اللجان الحكومية التحقيق مع مجموعة من (أعضاء الأسرة المالكة) ؟؟!!

حول مصادر ثرواتهم وطريقة حصولهم عليها .

وأضافت المصادر أن عدد كبيرا من المطلوبين للتحقيق معهم وزراء سابقون وملاك أراضى وأصحاب مصانع وبنوك وأن أخطرهم هو (بارفيز سابينى) الرئيس السابق للبوليس السرى الايرانى (السافاك) وهو الذى يملك الكثير من المعلومات والاسرار حول حياة وثروات المئات من المطلوبين للتحقيق .

واشنطن ١٢ / ١١ / ١٩٧٨ .

ذكرت وكالة اليونايتدبريس نقلا عن صحيفة نيويورك تايمز أن الرئيس الامريكى

جيمى كارتر قد وجه مذكرة الى وكالة المخابرات المركزية الامريكية يلومها فيها على عجزها عن التنبؤ بأحداث إيران ، وتحولها من مظاهرات محدودة واعتصامات يقوم بها عدد من مشايخ الشيعة الى موجة قوية من أعمال العنف والتمرد شملت كل إيران وهددت نظامها القائم .

ملحوظة :

جاء هذا فيما بعد أيضا فى مذكرات كارتر التى نشرت مؤخرا .

نقلا عن مجلة شبيجل الألمانية الغربية :

تحليل سياسى من المراسلين الغربيين : (حديث مع رئيس قسم إيران فى CIA) :

لماذا فشلت المخابرات الامريكية فى معرفة حجم الثورة الايرانية ؟

كانت فلسفة المخابرات الامريكية هى : (أننا لسنا ضد الدكتاتوريين مادام هؤلاء الديكتاتوريون ينتمون الينا . وحين كنا نناقش موضوع إيران داخل جهاز المخابرات فإن الرؤساء كانوا يقولون دائما ، بإن أمريكا تحتاج للشاه ولذلك فهى تتغاضى عن شخصه ، ولهذا فقد كانت تقارير أعضاء المخابرات في إيران تقتصر على أخبار الشاه .

ففي حديث لرئيس (قسم إيران) في جهاز المخابرات الامريكية **CIA** وهو **جيسي جيمس ليف** (٣٨ سنة) والذي شغل المنصب منذ عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧٣ لكنه استقال بعد حدوث عدة صدامات داخل الجهاز حول تقاريره السرية عن إيران والتي كانت بعيدة عن مجالات الشاه :

جاء مايلى :

!! (كان يعمل فى إيران أكثر من ٢٠٠ عضوا فى المخابرات الامريكية مع فنيين أمريكيين ، ولكن أحدا منهم لم يتحدث عما كان يدور فى شوارع إيران الحقيقية (كما يقول ليف) ! وذلك لان هناك تعليمات من المركز الرئيسى فى واشنطن بألا يحتك أحد منهم بمعارضى النظام وكانت النتيجة أن تقارير رجال المخابرات كانت تقتصر على ماديور فى حفلات الكوكتيل الايرانية أو داخل البلاط الملكى ، أو مايمدهم به السافاك حسب رغبته الشخصية .

مايدور في داث الحقيقية المشتعلة المتراكمة فى إيران فلم يدرسها أحد . وكما يقول (ليف) انها القضية القديمة ، وهى أنه يمكننا أن نعرف رقم السيارة التى تقل رئيس الاتحاد السوفيتى من الكرملين برصدها من الجو لكن أدق الأقمار الصناعية لاتستطيع أن

تكتشف عن أفكار الناس ، وكانت غلطة رجال الـ CIA أنهم لم يتحدثوا مع رجال الشارع الايرانى .

وعلى عكس ذلك فإن المتخصصين فى الـ CIA كانوا يقومون بعمل آخر :

فقد كانوا يعلمون السافاك أحدث الطرق للتصنت في كل مكان حتى في أدق الامكنة ، وكانوا يعلمونهم أحسن طرق التعذيب ويمدونهم بأحدث الأجهزة .. والادوات ويقومون باعدادهم فى دورات تعليمية تدريبية عن أنجح وسائل فن التعذيب أيام النازيين .

ورغم أن أحدا لم يحضر مشاهد تعذيب حقيقية ، الا أن كثيرين من رجال CIA كانوا يروون بفخر واعتزاز ، أن السافاك أطلعهم على كابينة التعذيب وشرح لهم تفاصيل دقيقة عن عمليات معينة .

ولم يكن جهاز CIA وحده هو الذى فشل فى تغطية أحوال وأحداث إيران قبل الثورة ، بل أن فشل المخابرات فى الخارجية الامريكية ورجال البنتاجون للمعلومات فشلوا فى هذه المهمة أيضا .

ويقول (ليف) : اننا لم نأخذ أبدا التقارير السرية التى كان يقدمها البنتجون عن إيران مأخذا جديا . فلم يكن يهم الا شراء الشاه للسلاح الامريكى .

وهذا ماتحقق أيضا ، فما بين عامى ١٩٧٢ ـــ ١٩٧٨ استطاعت أمريكا أن تبيع للشاه أسلحة بحوالى ١٠ مليار دولار ، وهو مايعادل تقريبا ميزانية تسليح ألمانيا الاتحادية فى عام كامل ، وما باعته له كان يشمل أدق وأحدث ما أنتجته مصانع السلاح الامريكى .

وقد فكر البنتاجون طويلا فى كيفية استعادة هذا السلاح من إيران قبل أن يقع فى أيدى الروس .

كان كبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية يدرسون الاسباب التى دعت جهاز CIA الى ارسال تقارير مطمئنة دائمة عن حالة البلاد ، بينما كان رجال الشاه يسقطون واحدا بعد آخر وكانت الشركات الامريكية تشتعل نيرانا على أيدى الثوار .

فى ذلك الوقت التقى الرئيس الامريكى السابق (كارتر) بمدير جهاز المخابرات الامريكى (ستانسفيلد تيرنر) وتحدث اليه بلهجة توبيخ غير عادية ووصف ماتقوم به CIA من أعمال أنها غاية فى الرداءة وسوء التصرف .

ويرجع (ليف) القصور داخل الجهاو الامريكي الى العاملين فيه ، فرغم أن الجهاز يتبع أرق وأحدث النظم الفنية الممكنة ، إلا ان أعضاءه يرتكون الخطأ البديهى ، وهو ترديد ماتقوله السياسة الامريكية الرسمية .

فما ينقص الجهاز حقا هو وجود أعضاء يستطيعون التقاط الايديولوجيات المتجددة والتطورات الاجتماعية المحدثة فى الدول الصغيرة أمثال دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ويكونون قادرين على مراقبتها واستيعابها ودراستها .

وحين قدم (ليف) تقريره عن إيران عام ١٩٧٣ فى ١٢٠ صفحة وقال فيه ان الارض التى يقف عليها الشاه أصبحت غير ثابتة تحته ، كان رد المسئولين فى CIA شطب ١١٨ صفحة من التقرير ، ووصف (ليف) بأنه مبالغ ومغالط !!

تهريب الأموال الايرانية :

تتابع (مينوريفيز) واحدة من الذين عملوا مع (أصحاب الجلالة) سنين طويلة . تقول فى مذكراتها :

نشر البنك القومى الايرانى قائمة طويلة بأسماء الشخصيات المعروفة التى هربت الى الخارج ، كما نشر قائمة بأرقام المبالغ التى هربوها معهم أو قبلهم ، ولم يكن أصغر مبلغ يقل عن ١٠ ملايين !!

وجاء في ما أرسلته **وكالات الانباء** :

طهران : فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٨ :

ـــ ٢٤٠٠ مليون دولار هربت الى خارج إيران فى الاسابيع الاخيرة ، موظفوا البنك يذيعون قائمة بأسماء ١٤٤ شخصا هربوا أموالهم .

ـــ قرر شاه إيران تعيين ثلاثة من كبار قضاة المحكمة العليا فى لجنة التحقيقات الايرانية الخاصة بتقصى مصادرة ثروة أعضاء العائلة الحاكمة وكبار المسئولين الايرانيين فى الوقت الذى أذاع فيه العاملون المضربون ببنك إيران المركزى قائمة بأسماء ٢٤٤ شخصا هربوا حوالى ٢,٤ بليون دولار خارج البلاد خلال الاسابيع الاخيرة الى بنوك اوروبا وامريكا ، واسرائيل !!

وصرحت المصادر السياسية فى طهران أن الكشف عن هذه القائمة التى شملت بعض اقارب الشاه والامبراطورة فرح ديبا قد يعرض جهود الحكومة الحالية لمكافحة الفساد لأضرار بالغة .

وقد تضمنت القائمة أسماء اثنين من أبناء الأميرة أشرف بهلوى ، شقيقة الشاه ، واتهمتها بتهريب ١١٣ مليون دولار وذكرت أن الأميرة شهرذاد ، أبنة أخت الشاه (٢٦ سنة) وضعت فى حسابها الخاص بالخارج (٤١,٤) مليون دولار بينما اتهمت القائمة والدها بتهريب ٢٢ مليون دولار أخرى .

وتضمنت القائمة أيضا : جامشيد اموزيجار ، رئيس الوزراء السابق ٦ ملايين دولار . والجنرال محمد على خاتمى رئيس شركة الخطوط الايرانية الذى انتحر منذ أسابيع قليلة ٩,١٤ مليون دولار .

وهوسانج اشارى رئيس شركة البترول الوطنية الايرانية المقيم حاليا خارج إيران ٦٨,٥ مليون دولار .

كما اشارت القائمة الى عدد آخر من مساعدى الشاه وأطبائه الخصوصيين والجنرالات العسكريين والوزراء السابقين وبعض الوزراء الذين يحتلون مناصب فى الحكومة العسكرية الحالية .

تروى (مينوريفيز) ان الشاه وقف على سطح قصره ونظر الى الجماهير الغاضبة المتأججة الى تهتف ضده ، والى مدينته الدامية الثائرة بحزن شديد !

صحيح أنه لم يحرق بلاده كما فعل نيرون حين أحرق روما ووقف يغنى وهو يبكى عليها .. ولكن الشاه أطلق النار على شعبه وقتل الآلاف منهم ، ورغم ذلك كان الحزن فى عينيه ، وكان يقول :

هل هذا هو شعبى حقا ؟ كنت أظن أنه يحبنى ؟!!!

وكالات الأنباء :

طهران ــ العواصم الغربية ــ ٢٨ نوفمبر ١٩٧٨ .

نقلت وكالات الانباء من طهران وعدد من العواصم الغربية توقعات الدبيلوماسيين والاجهزة السياسية والأمنية ، أن يشهد شهر ديسمبر القادم تفاقما للموقف فى إيران حين تبدأ احتفالات الشيعة يوم **٢ ديسمبر بذكرى استشهاد الامام الحسين رضى الله عنه** .

وكالات الأنباء :

طهران ١٠ ديسمبر ١٩٧٨ .

أعلنت الحكومة أمس وقف حظر المواكب الدينية خلال فترة الحداد الدينى وقد

طالب زعماء المعارضة بسحب القوات المسلحة من الشوارع منعا لاثارة المواطنين أثناء الاحتفالات ، لكن السلطات العسكرية أكتفت بتخفيض عدد القوات في منطقة وسط العاصمة وفي الطرق المؤدية إلى الجامعة كما سحبت المدرعات الثقيلة .

وذكرت وكالة رويتر ، أن الموقف السياسى المتدهور فى إيران قد دفع الحكومة الامريكية الى التفكير فى احتمال سقوط الشاه ، وقالت الحكومة أنه للمرة الاولى بدأ المسئولون الامريكيون فى مواجهة احتمالات عدم احتفاظ الشاه بسلطاته فى مواجهة التحدى اليومى العنيفة .

وكالات الانباء :

طهران ١١ / ديسمبر ١٩٧٨ .

تدفق أكثر من مليونى شخص على طهران اليوم وهم يرددون بصوت واحد (الله اكبر) فى أضخم مظاهرة معادية للشاه خلال عام كامل من الاضطرابات المتزايدة .

وقد ارتدى معظم المشتركين في المظاهرة الملابس السوداء وأخذوا يرددون : (الحرية) بينما رفعوا الأعلام السوداء واللافتات ، وذلك فى نفس الوقت الذى وجه فيه الشاه رسالة الى شعبه أذاعها الراديو وأكد فيها أنه يصلى لنجاح مساعى لجنة (اقرار حقوق الانسان) لكل الايرانيين .

وقد بدأ هذا الزحف البشرى الهائل على هيئة ٨ مواكب من أطراف العاصمة فى ذروة الاحتفالات بذكرى استشهاد الامام الحسين رضى الله عنه وقد حمل المتظاهرون صورا ضخمة للخمينى .

وعلى رأس أحد المواكب كان (آية الله تلجانى) وهو أكبر مساعدى الخمينى ، وهو الذى دعا الى تنظيم مسيرات اليوم وصرح بأن هذه المسيرات ستحدد مصير الامة الايرانية .

فى الوقت نفسه انتشرت الدبابات وسيارات النقل المليئة بالجنود ، وعلق المراقبون بقولهم : ان طهران أصبحت فى حالة حصار !!

بينما أصدر كريم سانجانى زعيم المعارضة بيانا يقول فيه :

(إن المسيرة كانت رسالة من الايرانيين إلى الشاه)

وحلقت طائرة هليوكبتر تابعة للجيش فوق المسيرة لمراقبة الموقف ، بينما سارت مظاهرات مماثلة في عدة مدن منها : اصفهان وتبريز ومشهد وقوم .

وكان الجيش قد أعلن أن القوات المسلحة ستبقى بعَيدة ، إلا أن الجنرال غلام أغلق المناطق الرئيسية في شمال العاصمة حيث يقيم الشاه ومعظم الاجانب ، وقال إن الجيش سيضرب بحزم وبمنتهى القوة .

ومن ناحية أخرى وصلت طائرات حربية أمريكية إلى طهران لنقل الرعايا الامريكيين من المدنيين والعسكريين قبل أن يغلق مطار طهران لمدة ٤٨ ساعة بناء على قرار من الحكومة الايرانية .

وأغلقت دور السينما والبنوك والمحلات التجارية ومحطات الاذاعة والتليفزيون لاضراب عدد من موظفيها منذ أوائل الشهر الحالي .

وقال شهود عيان إن الطائرات الأمريكية نقلت أيضا إلى طهران معدات للسيطرة على الاضطرابات .

في ذكرى استشهاد الامام الحسين :

أما ماجاء في تقارير المراسلين الالمان عن ..١ اليوم ١١ ديسمبر ١٩٧٨ الذي يعد نقطة تحول رئيسية في حياة ايران ، فقد كان وصفا تحليليا تفصيليا قدمه مراسل مجلة « **STERN** شترن الألمانية الغربية » كشاهد عيان على ماحدث :

ابتدأت أصوات من على مآذن ١٨ ألف مسجد في ايران ، مقرونة بالدعاء على الشاه وانزال اللعنات عليه ، وقاد رجال الدين من الشيعة حركة المقاومة والثورة على الحكم البهلوي ، ملهبين روح الحماس الديني والجهاد في سبيل الله ضد طغيان الحكام .

صادف شهر ديسمبر الميلادي ، شهر محرم الهجري ، وهو الشهر الذي وقعت فيه موقعة كربلاء الشهيرة والتي قتل فيها الامام الحسين رضى الله عنه ، سيد شباب أهل الجنة ، وسيد الشهداء ، وقد وافق يوم ١١ ديسمبر يوم عاشوراء !!

وهو اليوم الذي يحيى فيه كل المسلمين ، سنيين وشيعة ، في شتى أنحاء الأرض ذكرى الشهيد الغالي الذي قتله الغدر والخيانة والتآمر ، في محاولة لاعلاء كلمة الباطل ! لكنه انتصر بموته وأعلى كلمة الحق ، كما لم تفعل وفاة أى انسان على الأرض ، وهو بالذات الذي يبكي عليه الشيعة ويبلغ عددهم ٨٦,٣ مليونا تقريبا من مجموع المسلمين الذين يبلغ عددهم حسب آخر احصائية حوالى المليار !

هؤلاء الشيعة يبكون اليوم ماأرتكبت أيديهم من مشاركة في قتل الامام .

في هذا اليوم من هذا العام ۱۹۷۹ أحيى الشيعة في ايران ذكرى الشهيد ورفعوا السيوف ولطموا الخدود وشقوا الجيوب وأدموا رؤوسهم وصدورهم ومرغوا وجوههم بالتراب ، ولكن بطريقة خاصة جدا .

فقد كان يوم حزن عام في ايران كلها ، يفوق حزنه ، حزن كل الأيام الأخرى فكأنهم ألقوا بكل أحزانهم على شهدائهم (ليتجسد حيا في حزنهم المزعوم على الامام الحسين رضى الله عنه !) .

ولوحت الرايات السوداء فوق المآذن وداخل المساجد حتى شرفات البيوت وواجهات المحلات ، ورفعت الاعلام الحزينة السوداء فوق الأشجار على طول « شارع الشاه » في العاصمة طهران .

كان كل شيء يذكر بالموت ، وكان الناس يلفون أنفسهم بأكفان بيضاء تسمى « كاسان » ويجوبون الشوارع في خطوة واحدة ومسيرة واحدة وهم يقيدون أنفسهم بالسلاسل ويهتفون : « الله اكبر » !!

فقد اتخذ موت الامام الحسين رضى الله عنه معنى سياسيا جديدا وكان ليوم عاشوراء هذا العام طعم ومعنى خاص أدركه حتى المراسلون الاجانب ، فضلا عن الذين يعايشون الاحداث في خضم الثورة نفسها .

وكان معناه هذا العام : أن هؤلاء الذين يحيون ذكراه ، أحسوا أنهم أيضا يجسدون معنى الوقوف الشريف العادل أمام القوة الغاشمة الظالمة ، وهذا كان حال شعب ايران ، كما صوره المراسلون .

ومع هلال محرم من هذا العام ، كان هناك سؤال يدور بين الضباط الكبار كما يدور بين الرؤساء ، هل سيبقى الشاه ؟

وابتدأت الحكومة الايرانية تنكر الشائعات التي يتناقلها الناس عن تنازلها وصرحت الامبراطورة فرح ديبا ، بأنها تفضل الموت في ايران على الخروج منها .

وتصاعد التوتر خلال الاسبوع الذي تلا يوم عاشوراء ، وابتدأ رجال السفارات والقناصل الاجنبية يجهزون أنفسهم بالاحتياطي من الطعام والضروريات اليومية .

وابتدأت المقاومة تتخذ شكلا أكثر عنفا ، فكان المتظاهرون يرمون بالاحجار على الجنود الذين كانوا يفرقون المظاهرات والتجمعات .

وكان المرء يسمع خلال هذه الاشتباكات بعض الطلقات النارية التي قالت عنها الحكومة (إنها أعيرة نارية من أسلحة سوفيتية) !!

ووصل الأمر بالمتظاهرين أنهم كانوا يوقفون سيارات البوليس ويدمرونها أو يحرقونها ، ولم يجد التهديد الذي أعلنه قائد الجيش «أزهري» بأن الجيش سيخمد الثورة بأية وسيلة دون مراعاة لأحد ، بل على العكس ، زاد التهديد من اشعال الحماس .

وفي الايام الأخيرة قبل شهر محرم بدأت الاضطرابات في تمام الساعة التاسعة مساء حين نادت الجماهير ، متخطية الحواجز ، «الموت للشاه» !! وذلك بصوت واحد عال !

إلا أن تطور هذه الاضطرابات وصل إلى حد مفزع مع بداية حلول شهر محرم . فقد وصل عدد القتلى من الشعب منذ اندلاع أول مظاهرة ضد الشاه في مدينة قوم منذ احد عشر شهرا إلى ٣٠٠٠ قتيل ، وتقول بعض الأنباء إن العدد وصل إلى ضعف ذلك ، ولايعرف أحد تماما كم وقع من القتلى والجرحى فلم يحص ذلك أحد .

وعلى الصعيد المادي فإن الخسائر وصلت حتى آخر نوفمبر حسب التقديرات المبدئية لخبراء البترول ١,٥ مليار دولار بسبب أضراب العمال .

فايران تنتج وسطيا في العادة حوالي (٦) مليون برميل بترول في اليوم وقد انخفض هذا العدد إلى (٣) مليون برميل في الاسبوع الأخير بسبب أضراب العمال ، وإذا حسبنا أن نقصان برميل واحد في اليوم يؤدي إلى خسارة ١٢,٥ مليون دولار ، لعرفنا فداحة ماحدث .

حتى الموردين من البلاد الاخرى أرغموا على الحد من صادراتهم إلى ايران بسبب اضراب عمال الجمارك الذين كانوا يتركون البضائع على الارصفة وبدا ذلك واضحا على الحدود التركية ـــ الايرانية حيث تكدست عربات النقل القادمة من أوربا عبر تركيا إلى ايران .

وحتى أنابيب الغاز التي تمتد من جنوب ايران حتى مدينة «استارا» على الحدود الايرانية ـــ السوفيتية ، لم تكن تنقل إلا الهواء ، وحتى في المصارف والبنوك توقفت الحركة ، وعانى كثير منها من نقص في النقد السائل ، وأضرب الموظفون الذين يعملون في البنك المركزي فتوقفت حركة البنك .

وهدد قائد الجيش «ازهرى» من جديد بحرمان المضربين من الموظفين من

مرتباتهم لأنه كما قال : لايستطيع أحد أن يرغم البلد على شيء ، وبالاحرى فلن يرغم الشاه أيضا .

فقد كان معظم الايرانيين قد اتخذوا موقفهم الصريح من الشاه ولذلك فهم يحملونه أيضا — شخصيا — كل أخطاء نظام حكمه «بداية من فساد وانحراف موظفى الدولة إلى محاكمات السافاك والتعذيب البدني والنفسي الذي يقوم به أفراده ، وكذلك حال البطالة العامة التي سادت البلاد» .

وكذلك اهمال الزراعة في ايران ، إلى الحد الذي تضطر فيه الحكومة الان إلى استيراد أكثر من ٢٠٪ من احتياجات الشعب الغذائية وكذلك يحمله المسئولية عن موت أفراد الشعب الذين قتلهم رصاص الجنود .

وربما كانت هذه الثورة هى واحدة من أهم الثورات في العالم ومن أكثر الثورات تميزا ، بل أنها متفردة عن الثورات الاخرى ، وذلك لانها تستمد قوتهامن دافعها وهو الايمان ، الذي يشكل أغرب رأس حربة على مدى التاريخ ، كما وصفه المراسلون الاجانب وهم في أشد الحيرة .

وكان من نتيجة ذلك أن أعداء الشاه تكتلوا جبهة واحدة ، كائنا ماكان عملهم أو وظائفهم ، يتساوى في ذلك الفلاحون في المزارع والعمال في المصانع ، والمثقفون الاحرار والتجار في الاسواق .

وخطب رجال الدين — الشيوخ — الذين يبلغ عددهم أكثر من ١٨٠ ألفا في الجوامع وفي كل مكان ونددوا بالشاه في حماس ديني ملتهب ، بعد أن وصل نداء العجوز الذي يبلغ من العمر ٧٨ عاماً من بعد ٤٥٠٠ كيلو مترا من طهران من قرية صغيرة بالقرب من باريس في فرنسا .

ودعا إلى «الجهاد» عن طريق شرائط تسجيل كانت تذاع مع مواعيد وصولها المتكرر المتجدد : وبذلك خدمت (المدنية) بوسائل اعلامها الحديث ، وساهمت في هز عرش حاكم تساندة أقوى الدول في العالم ، ومنها أمريكا كما يتحكم في جيش قوى يعد من أقوى الجيوش في الشرقين الادنى والأوسط ، واستطاعت جذب العالم إلى أعنف أزمة سياسية عالمية من الدرجة الأولى .

ولم يحدث من قبل في العصور الحديثة أن يهتز حاكم ديكتاتور بهذه القوة ، والذى هز عرشه لم يكن إلا صوت قائد دينى ، يعتبره الشعب اماما ، ولا يملك الجيوش ولا القصور ولا الاسلحة ، لكنه بمركزه الحيوى كرجل دين استطاع أن يقود شعبا

بأكمله .

ويؤكد الخبراء أنه لم يحدث أن نجحت ثورة قامت على الكلمة وبددت امبراطورية مسلحة كما حدث مع الثورة الايرانية .

كان الذي لفت نظر المراسلين ، مما اعتبروه «مفزعا» إلى حد كبير هو اندفاع الشباب ، حديثو السن ، في مظاهرات جماعية حاشدة في طهران ومشهد واصفهان وغيرها . فقد كانوا يمزقون قمصانهم على صدورهم ويندفعون مكبرين باصوات عالية : «الله اكبر» ، ورغم أنهم عزل ، إلا أنهم يتصدون للمدافع الرشاشة ، ويموت بعضهم : وكأنه انتحار ، أو هو تضحية في سبيل الدين وفي سبيل كلمة الحق ، تقال أمام سلطان جائر .

ملحوظة :

لكن المراسلين هنا يقرنون هذه المقاومة الجماعية والموت «ايمانا» بما فعله الامريكى جيم جونس حين أمر أتباعه بالموت في سبيل «الدين» الذي كان ينادي به فماتوا جميعا في نفس المكان واللحظة ، وكان عددهم ٩٠٠ فردا بين رجل وامرأة وطفل ، فإن هذه المقارنة ليست على حق ، بل أن المراسلين أنفسهم يتبعون هذه المقارنة بالقول ، بأن الفرق أنه من يسقط الان ميتا على شوارع طهران ، فإنه يسقط «شهيدا» ، بالاضافة إلى أنه يهرب من عالم لايحتمل إلى عالم آخر يكون على الاقل أكثر احتمالا .

ويتابع المراسلون التقارير :

ليس اليأس هو مايدفع هذه الجماهير إلى الغضب ، بل هى ثورة من القاع ضد الثورة الفاشلة التي قادتها القمة والتي كان الشاه قد قام بها وسماها «الثورة البيضاء» .

ويتساءلون :

ولكن ماذا سيحدث لو أن النظام الامبراطوري سقط الان فعلا ، وتحقق الهدف الذي تسعى اليه كل هذه الجماهير ؟

ماذا سيحدث لهؤلاء الشباب ، الحديثى السن ، والذين يرتدون الجينز الآن والذين كانوا منذ عام فقط يقفون في طوابير الانتظار للدخول إلى السينما أو المسرح أو الملاهى ؟

هل يرتضون وضعهم كدعاة للاسلام ، ويقفون حياتهم من أجله ، كما يدعون اليه الان بحماس شديد ؟

وهل سترضى الفتيات اللاتى تعودن على الحرية والعمل في أقسام البوليس ووحدات الجيش وفي قطاعات الحكومة والشركات الاجنبية والفنادق ، ويرتدين الميني جوب ، ولهن حرية الانتخاب والسفر ، هل سيرضين أن يلبسن «الشادور» الملاءة السوداء على المدى الطويل ؟ ويتخلين عن وظائفهن وعن الخروج والسفر ؟

أم أنه حماس وقتى ؟ ..

ونتابع وكالات الأنباء :

طهران ٢٦ / ١٢ / ١٩٧٨

أطلق مشاة البحرية الامريكية القنابل المسيلة للدموع لتفريق عدد مئات من المتظاهرين الايرانيين التفوا حول السفارة الامريكية في طهران ، وحاولوا اقتحامها وهم يقذفون المبنى بالاحجار ويطالبون بانسحاب الامريكيين من ايران .

٣٠/ ١٢/ ١٩٧٨

تم إقالة (٣٤٠) من قيادات البوليس السياسي (السافاك) وذلك ارضاء للمعارضة التي تطالب بحل السافاك في حين أشارت الصحف إلى تهديد زعماء الشيعة بالالتجاء إلى النضال المسلح من أجل فرض حكومة تطبق الشريعة الاسلامية .

طهران ٧ /١/ ١٩٧٩

خيم على طهران اليوم جو كئيب بعد أن أصبحت مدينة مهجورة لاتعرف سوى المظاهرات ولاتسمع فيها إلا دوى الرصاص ، بينما توقفت الحياة تماما في كل المرافق .

وصرح آية الله أمام حسين منتظري وهو من كبار زعماء الشيعة بأن الشعب سوف يرفض تماما أية حكومة جديدة طالما بقى الشاه في الحكم ، وقال بعد عودته من زيارة الخميني في باريس : إننا لن نقبل سوى **سقوط الشاه** بديلا ، لاقامة جمهورية اسلامية في نهاية الأمر .

بلغت المظاهرات حدا اجتاح البلاد كلها وكان معظم المتظاهرين من الشباب .

المتظاهرون يحتلون المؤسسات الحكومية :

تروى مينو ريفيز ، كيف هاجم هؤلاء الشباب المكاتب الخاصة بالقصر الملكى فتقول : في أحد الأيام من شهر ديسمبر ، اقتحم المكتب عدد من المتظاهرين ، كانوا جميعا من الشباب وكانوا يحملون في أيديهم العصى والسكاكين .

فتحوا الابواب علينا عنوة ، واكتشفت بعد ذلك أن أكثر من ثلاثين سيدة قد هربن من مجموع اللاتي يعملن في مكتب الاتصال الخارجي الذي أقوم برئاسته وكان يعمل عندي خمسون موظفة !!

بقى منا حوالي عشرين فقط ، وكنا جميعا ترتعد من الخوف . وفجأة صاح المهاجمون : انظروا إلى هؤلاء «الكلبات» القذرات اللاتي يخدمن عائلة بهلوي . كم دفعوا لكن حتى تلعقن «تراب أقدامهم» ؟؟

وقفنا جميعا لاننطق ، ونحن نترقب أن ينهالوا علينا ضربا ، لكنهم لم يفعلوا بل ظلوا واقفين مشرعين عصيهم ، يشتموننا بأقذر مايمكن أن تكون عليه الشتيمة والسباب ..

وبعد ثلاث ساعات صمتوا ، ربما تعبا ، ولكن حماستهم لم تهدأ . قادونا بعد ذلك إلى الشارع ، وهم يقولون ، أيتها العاهرات ! أيتها العاهرات !! هناك التف حولنا المتظاهرون وقال أحدهم : اهتفن جميعا ، لتسقط عائلة بهلوي !!
وهتفنا !!

كان الاعياء قد بلغ منا مبلغا شديدا ، وكذلك الخوف إلى حد الرعب ، هتفنا كما أرادوا ، ولا أدرى يومها كيف وصلت إلى البيت ؟ فقد كان الطريق مليئا بالسيارات المهشمة والبيوت المحترقة أو التى كانت النيران ماتزال تندلع فيها .

في تلك الليلة رن جرس التليفون وكانت المتحدثة تنقل الىّ تعليمات «صاحبة الجلالة» أن أتابع العمل في المكتب ، كما هو معتاد ، ولكن في وزارة الثقافة وليس في مكانه الحالي . وأمرتنى أن أنتظر هناك لتلقى أية تعليمات جديدة .

تقول فرح ديبا معلقة في كتابها :

«منذ فترة أصبح الموضوع الوحيد الذي يستهوى الصحافة الغربية هو حقوق الانسان ، واختارتنا منظمات مثل منظمة العفو الدولى ، هدفا سائغا لهجومها .

ولكن لماذا ايران ؟ ولماذا بعد اكتوبر ١٩٧٣ بالذات ؟

من الغريب أن الهجوم يبدأ دائما عندما نتحدث عن تصحيح اثمان البترول ، وبالصدفة الغريبة أيضا يبدأ الحديث عن مظاهرات الطلبة في طهران ، ولا أتكلم عن الشيوعيين بصفة خاصة ، فبالرغم من أننا على علاقات وثيقة بالدول الشرقية والاتحاد السوفياتي سياسيا واقتصاديا فإننا ندرك جيدا أنهم في أعماقهم يرمون إلى نشر الشيوعية في العالم كله ، وسوف يستخدمون كل الوسائل من أجل نشرها في ايران .

بالاضافة إلى أن سياستنا البترولية لاترضى الكثير من الحكومات فإن بعض الشركات الدولية الكبرى ذات التأثير الضخم على الصحافة والاوساط السياسية تحاول اخضاعنا بأية وسيلة ، وبعد أن كانت ايران لايعرف عنها إلا أنها في آسيا ويحكمها شاه وفيها سجاجيد ايرانية وكافيار ، هبت كالاعصار بقوانين للاصلاح والثورة والتقدمية ، وصار حديث ملكها عالي النبرات قوى الكلمات ، يتدخل في أسعار البترول ويؤثر في سياسات دول أخرى كثيرة .

وايران التي ظلت تعاني قرونا طويلة من السيطرة الاجنبية أدركت أخيرا أهمية ثرواتها الطبيعية وأهميتها الجغرافية ، ولذلك تأبى أن تكون خادما مطيعا لأية دولة أكبر منها لهذا يحاولون كعادتهم زرع الارهاب والفوضى فقط ليبلغونا الرسالة الواضحة ، انهم أقوى منا !!

نعم نحن نعرف أنهم يستطيعون أيذاءنا حقا ، لأننا لانملك وسائلهم لاصحافتنا ولا تليفزيوننا يضاهيهم ، ثم هناك الارهاب الدولي الذي بدأ يظهر في كل مكان !

والله وحده ، **هو الذي يعلم لماذا يشترك كل هؤلاء الشباب في مثل هذه الانشطة الهدامة ؟**

إنه لايعتنقون أفكارا محددة ، يبرزون رؤوسهم ويخالون أنفسهم ثوريين ، يزرعون الموت بحجة التغيير عن آرائهم ولكن مالا يعرفه الكثيرون أن في ايران حرية ، وأن النقد مباح !!! فمن حقك أن تكون مع أو ضد أى مبدأ سياسي ، بشرط أن يكون لديك مايستحق أنْ يقال وألا تلجأ للعنف أو القتل أو الخطف .

ولو كان في آرائهم مايستحق أن يسمع لاقتنع بها الناس وربما أمكن لافكارهم أن تتحقق يوما ، وإذا رأى أحد أن بعض تطبيقات الملك السياسية خاطئة مثل الاصلاح الزراعي أو منح عمال المصانع ٢٠٪ من الارباح أو نظام التأمينات فليتقدم !! لأن ذلك يستحق المناقشة ، وإذا وافقت أغلبية الشعب على آرائه فسوف نغيرها . فالتعبير والنقد

مباحان ، ولكن ليس إلى حد الهتاف بسقوط الملك !

وهذه الجماعات (الارهابية) التي تكونت في ايران لاتقدم أى بديل ولا تنشد سوى زرع الفوضى والغوغاء ، وهم يتلقون تدريبهم على العنف في بعض الدول الاجنبية ، وأعتقد أنهم يصطادون في الماء العكر ، فحتى المبدأ السياسي المنطقي الموحد منعدم ، ولدينا الدليل : فهم ينضمون إلى هذه الجماعة الرافضة أو تلك دون الاستناد إلى مبدأ انساني ، إلا الرغبة في التدمير واشاعة الفوضى ، وفلسفتهم هى الرفض . ولايهم إذا دفع الأبرياء الثمن !

في آخر لقاء للملك مع الصحافة الغربية اعترف بأن في ايران (٣٠٠٠) معتقل سياسي ، فماذا نفعل لاناس انضموا لمنظمات ارهابية دولية للخطف وسفك الدماء ؟ وماذا يبقى أمامنا سوى القبض عليهم لمنعهم من الايذاء ؟؟

لو كان البوليس الفرنسي قبض على الارهابي «كارلوس» لما استمر طليقا يعيث فسادا ، ومنظمة « بادر » الالمانية ، لماذا لاتقدم إلا القتل والجريمة ؟ لينظف نفسه أولا كل منيحاول تلطيخنا بالاوحال ، لاننا سوف نستميت دائما بكل قوانا من أجل محاربة الارهاب .

وقد يسألنى البعض لماذا ٣٠٠٠ معتقل سياسي ؟ ولماذا يرتمى البعض في أحضان العنف والجريمة ؟

اجابتى بسيطة جدا فقد انصب اهتمامنا الاساسي على التقدم المادي حتى أهملنا العلاقات الانسانية ، ولم نحسن ابراز الجهود الضخمة التي أنجزها ولا التقدم الكبير الذي حققناه في كل المجالات ، لهذا يجهل البعض في الداخل ، وكما في الخارج ماحققناه ، وتتحين الدعايات المغرضة الفرص للعبث ببعض العقول الضعيفة لادانة النظام والثورة عليه ، وقد يسافر البعض للخارج فيرى عالما آخر في امريكا وأوروبا فينسى مساوئه ويلقى بالمسئولية على نظامنا كله ، ولا يتخيل كم من الصبر والجهد والمعونة تحتاج اليها دولة نامية من كل فرد لبناء نفسها ؟

ويطلقون أرقاما خيالية فيشيعون أن في السجون الايرانية ١٠٠ ألف أسير ، مع أننا أدخلنا الصحفيين داخل السجون ليستجوبوا أناسا ظنوا أننا عذبناهم أو قتلناهم ، فأين هى مقالاتهم المنصفة ؟

الانباء التي تصدر ضد ايران هى فقط الجديرة بالصفحات الاولى !!ولاأدعى أننا لم نرتكب **بعض** الاخطاء ..

وأعترف أننا لانجيد الدعاية لانفسنا ولا نجيد عرض مثل هذه الموضوعات فيدلي البوليس للصحف بتصريحات مقتضبة مثل :
«تم تبادل اطلاق الرصاص بين البوليس والارهابيين وقتل اثنان من الارهابيين» مما يوحى بتعمد قتلهم ، وقد حدثت المسئولين بهذا الشأن وقلت لهم : «لماذا لاتستدعون التليفزيون والمصورين والصحفيين لحظة وقوع الحادث ليكونوا شهودا على حسن نوايانا في حالة حدوث تلاحم .

حينما زرت عمان في نوفمبر الماضي . صور البوليس فيلما كاملا لهجوم الارهابيين على أحد الفنادق . فشاهد الجميع الرصاص والنار والجرحى يهرعون للخارج . لهذا تعاطف الشعب ورجال المظلات والقوى الخاصة التي هاجمت الارهابيين أو قتلتهم أو قبضت عليهم . ولم يستطع أحد أن يشك في حسن نوايا الحكومة .

مثال آخر على بعض أخطائنا ، منذ أيام أطلق سراح بعض المعتلقين السياسيين ، كان من بينهم من حاول اختطافي مع ولى العهد . يومها ظهر في التليفزيون يقرأ خطابا مكتوبا يشكر فيه للملك تسامحه ، وكان يجب أن يغفلوا هذا ، فقد ظن الجميع أننا أملينا عليه هذه الورقة ، بالرغم من أنه كتبها بنفسه !!

وتتحدث فرح ديبا عن الحرية :
إن مفهوم الحرية في رأيي يختلف في دولة صناعية ومفهومه في دولة نامية . فإذا كانت حرية التعبير حقا أساسيا اليوم في فرنسا ، ففي مقاطعة مثل بلوخستان تعنى شيئا آخر : فأهل بالوخستان يريدون الطعام ليأكلوه والاراضى ليزرعوها ، ويريدون الرعاية الطبية والمدارس والاطفال وربما تصبح الصحيفة بعد سنوات من أهم مقومات حياتهم ، ولكنها ليست شاغلهم الاساسي اليوم . ونحن لانستطيع تقليد الغرب لمجرد أنهم أختاروا نهجا معينا ، فضلا عن أن المشاكل الاجتماعية وصور الفساد المنتشرة في المجتمع الرأسمالي ليست مثالا نحتذى به ، وسوف يأتي اليوم الذي يتحكم فيه الايراني في مستقبله من أجل مستقبل ايران وفي انتظار هذا اليوم لاأدعى أننا دولة دمقراطية ولكننا دولة على طريق الديمقراطية ! ..

وقالت فرح ديبا في مكان آخر من مذكراتها :
أقصى مايؤلمنى في تلك اللحظة هو (سمعة ايران السيئة) في الخارج ، تلك الدعاية الظالمة التي تحاك ضدنا حول المعتقلين السياسيين والتعذيب .

ومن المنفر أن يتحمسوا هكذا ضد دولة ونظامها ويكيلوا تلك الاتهامات البشعة

التي تنطلق ضدنا لتصنع من حادث تافه كارثة مدمرة .

تقارير المراسلين :

في النصف الأول من ديسمبر ١٩٧٨ طلب آية الله الخميني أن «يسعد» ألمانيا الغربية بزيارته ، وطلبت فرنسا من ألمانيا أن تقبل «تغيير» مكان لجوء» آية الله الخميني السياسي اليها لكن بون رفضت بشدة وبمنتهى الانزعاج .

لكن الخميني كان يريد الاقامة في هامبورج وليس في بون . ففي هذه المدينة الرائعة يوجد مستشفى يمكن يعالج فيه ، وبالقرب من المستشفى يقوم أكبر مسجد في ألمانيا ، وقد بنى بأموال ايرانية ويدار أيضا عن طريق الامام الشيعى «سيد حمد خاتمي» .

لكن ألمانيا أصرت على الرفض .

آخر أيام الشاه في ايران :

وكالات الانباء

طهران ١٠ /١/ ١٩٧٩

أكد شهبور بختيار رئيس وزراء ايران أن شاه ايران سيغادر طهران قبل يوم الخميس القادم في اجازة ، وأنه سيزور احدى دول الشرق الأوسط ، ويرجح المراقبون أن تكون الأردن ، أو دولة أوربية قبل التوجه إلى الولايات المتحدة ، في الوقت الذي أكد متحدث بأسم القصر أن **الشاه لن يرحل** قبل حصول حكومة بختيار على ثقة مجلس البرلمان .

في الوقت نفسه : أذاعت وكالة الاسوشيتيدبرس أن الشاه أكد أمام كبار القادة العسكريين الايرايين **أنه يفضل مغادرة البلاد** على أن يقوموا بأنقلاب عسكري لاستعادة السلطة للعرش .

وقد قال الشاه هذا بعد أن أعرب هؤلاء القادة عن رغبتهم في قيام الجيش بانقلاب لصالح الشاه .

وأعلن الخميني في حديث أذاعته محطة التليفزيون الامريكية سي . بي . اس أن مجلس الوصاية ، الذي تشكل مؤخرا ليقوم بمهام الشاه أثناء اجازته ، غير شرعى وأنه يتوقع قيام دولة اسلامية في ايران خلال الايام القليلة القادمة .

تقول **مينو ريفيز** في مذكراتها :

في يوم ١١ يناير ١٩٧٩ غادرت العائلة المالكة البلاد على متن طائرة خاصة وفي المساء من ذلك اليوم زارتنا في المكتب السكرتيرة الخاصة بالعائلة والمقيمة معها وسلمتنى رسالة من الامبراطورة فرح ديبا تشكرني فيها جلالتها على اخلاصي في عملي وتطلب مني أن أنتظرها حتى تعود .. فهي ستعود حتما ، كما أبلغت ..

وكانت الرسالة ميدالية ذهبية عليها رسم الشهبانو ، وانتظرت لأنى صدقتها وكنت أقوم بواجبي تماما ، ولكنه كان جهدا بلا معنى فلا أحد يرسل رساء للامبراطورة ، ولاهى ترد على أحد ..

أما أحد المراسلين الالمان لمجلة (بونته) فقد كتب يقول : أطلقت المدافع ؤ مطار ظهران أحدى وعشرين طلقة . لكن الطلقات هذه المرة لم تكن موجهة من الجيش إلى المتظاهرين الذين يطالبون بموت الشاه ، ولكنها كانت طلقات على « شرف » ودا الامبراطور الذي يطالبون بموته .

رنت الطلقات في أذن الامبراطور وكأنها لسعات سياط على وجهه ، أو هذا ع الأقل مايعتقده المراقبون ، لانها أنهت ببساطة حكما دام ٣٧ سنة .

لم يزل الجيش يساند الامبراطور .. ولهذا فقد زرع الجنود المودعون أزهـ القرنفل فى بنادقهم رمزا للسلام ، ولكن أى سلام وهناك أكثر من ثلاثة ملايين عاط عن العمل في البلاد ؟

واضطر الشاه إلى مغادرة البلاد مع زوجته فرح ديبا على طائرة بوينج ٠٧ ليقودها بنفسه إلى الخارج .

وكالات الأنباء

طهران ١٩ /١/ ١٩٧٩

في حديث لمجموعة من الصحفيين البريطانيين نشرته «الجارديان والد تلجراف» صرح بختيار :

«لولا الامبراطور لما كانت للخومينى هذه المكانه . إنه صنيعة الامبراطور ، إنه ظله»

وأكد أنه يتمتع بتأييد تسعة من آيات الله العشرة ولكنه قال :

«ومع هذاالتأييد فليست لهؤلاء الشجاعة لان يعلنوا ذلك» .

ويؤكد المراقبون خروج مظاهرات يفوق عددها عما كانت عليه في ديسمبر الماضي اختفى الجيش تماما .

وفي باريس صرح آية الله الخميني أن هذه المسيرات هى بمثابة استفتاء عام على ضرورة تنحية الشاه عن السلطة وإقامة (جمهورية اسلامية) .

وكالات الأنباء

طهران : ٢١ يناير ١٩٧٩

أعلن آية الله الخميني أنه لن يتولى الرئاسة في ايران ولن يقبل هذا المنصب ولكنه سيكون (حامي قضية الاسلام) إلى جانب من سينتخبه الشعب الايراني .

ومن ناحية أخرى أوضح الخميني أن ايران سوف تقطع كافة علاقاتها مع اسرائيل بسبب عدم وجود قاعدة شرعية لكيانها ، وقال إن أى انقلاب عسكرى في ايران محكوم عليه بالفشل مهما كان لونه .

استقبل الخميني «رامزي كلارك» المدعى العام الامريكي السابق في (نوفيل لوشاتو) ، وأعلن بعد ذلك :

«أن الخميني هو الرجل الذي يملك زمام الموقف في ايران»

طهران : ٢٤ يناير ١٩٧٩

أصدر بختيار أوامره باغلاق المطار لانه أصر على ضرورة أن ينهى المهندسون والفنيون بالمطار اضرابهم المستمر منذ أسبوع إذا أرادوا ارسال طائرة ايرانية خاصة لاحضار الخميني .

شهدت طهران وقوع أول مواجهة عنيفة بين أنصار الخميني وبين أنصار الشاه في المنطقة القريبة من مبنى السفارة الامريكية ..

طهران : ٢٤ يناير ١٩٧٩

قال دكتور يازدي ، أحد معاوني الخميني ، إن الخميني لم يغير برامجه بالنسبة للعودة إلى ايران والوصول إلى العاصمة الايرانية قبل يوم الجمعة . وعلق : إن الخميني سيتوجه إلى طهران في الموعد الذي حدده ودعونا نرى ماإذا كان «بختيار» قادرا على منع الطائرة من الهبوط أم لا ؟

وعن سؤال وجه إلى معاون الخميني عن طبيعة المخاطر التي يتوقع مواجهتها : «أن الرحلة من باريس إلى طهران تعد مغامرة في حد ذاتها ، وربما تتعرض الطائرة لاطلاق الرصاص» .

وكان الجيش الايراني يحاصر المطارات لمنع عودة الخميني ..

تواصل «مينو ريفيز» مذكراتها :

«كانت طهران ماتزال تغلي وأنباء فضائح العائلة المالكة تتكشف يوم بعد يوم ، إلى أن كان يوم اقتحم فيه المتظاهرون قصر الاميرة أشرف الشقيقة التوأم للشاه . ونزل المتظاهرون إلى البدروم الذي كان يتكون من صالتين واسعتين جدا . وهناك رأوا ماأذهلهم :

كان في الصالة الأولى بار كبير وأرفف ضخمة رصت عليها آلاف من زجاجات البراندي والشمبانيا وسائر الخمور مما أثار حنق المتظاهرين إلى حد الغليان .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد وجدوا في الصالة الثانية مشهدا عجبا . كان هناك سرير واسع جدا ، وعشرات الوسائد تغطى السجاجيد الفاخرة التي تفرش الأرض كلها ، وكاميرات تصوير كبيرة هنا وهناك ، وفي كل الأركان .

كما كان هناك كشافات وفلاشات تصوير ، وعلى الحائط كانت هناك شاشة كبيرة وعشرات من علب الأفلام موضوعة على مناضد ضخمة وحين وضع الرجال شرائط الافلام في الضوء شاهدوا ماجعلهم يقلبون الاستوديو كله غضبا ، فقد انكشف عن أقذر مايمكن أن يقوم به انسان ..

وفي أول فبراير من عام ١٩٧٩ وصل آية الله الخميني إلى ايران وتلقفته الجماهير بطبول الفرح .

ذكر مراسل مجلة (شتيرن) الالمانية أن الصحفيين تجمعوا حول آية الله الخميني قبل مجيئه إلى طهران ، وبالذات بعد رحيل الشاه بنصف ساعة ، كان يرتدي «البانتوفل» حين خرج اليهم من بيته الريفي في منفاه الاختياري بالقرب من باريس .

لم يكن على وجهه أى أثر لأى انفعال ولا حتى لأى شيء . لم يبتسم لكنه خطا وسط أبناء شعبه الذين تجمعوا حوله ، بخطى جامدة .. بينما هلل الجميع : الله اكبر .

وقبل أن يتجه للصلاة ، وكان الوقت ظهرا ، قال بضع جمل قصيرة يهدىء من لهيب حماس المتظاهرين :

«إن رحيل الشاه ليس نهاية المطاف ، فالاهم من ذلك هو انهاء التسلط الأجنبى على ايران» .

وكان يعنى بذلك : الخطوة الأولى التي ينبغي اتباعها وهى : الاطاحة برئيس الحكومة الذي عينه الشاه وهو «بختيار» .

أصاب الاضطراب الاوساط العالمية كلها ، وابتدأ الخبراء يضربون أخماسا بأسداس ، عما سيكون عليه شكل الحكم في ايران ؟

وماذا سيفعل الخميني برجال الشاه ؟ وهل سيقترب من موسكو ليبتعد عن أمريكا ؟ وهل سيتفق مع الشيوعيين الذين كانوا خصوم الشاه ؟ أم سيطيح بكل ماهو غير اسلامي ؟

قبل نصف عام فقط لم يكن أحد ــ خارج ايران ــ يخطر حتى على باله أن يتسلم الخميني السلطة ولا حتى الشاه نفسه .

لكنه **أقسم لمراسل «شتيرن»** إنه لن يتسلم أى منصب في الدولة القادمة وإنما سيراقب تطبيق الشريعة الاسلامية حسب ماجاء به القرآن الكريم .

والخميني نفسه هو الذي قال عام ١٩٦٤ :

«إن أمريكا أسوأ من انجلترا ، وانجلترا أسوأ من أمريكا ، لكن الاتحاد السوفيتي أسوأ من الاثنين ، لأن الاستعمار الشرقي كافر» .

وقد علق كونسيلمان بقوله : إن العالم يعترف . أنه لولا الاسلام لما كان لاوروبا اليوم أى حظ من العلم أو العقل ولكانت حضارتها حضارة عقيمة بلا ثمار .

وقال : إن الاسلام وقف أمام سبع حروب صليبية في الشرق الأوسط ، وقد استطاع اليوم أن يستعيد قوته السياسية» .

ويقول الكاتب انيس منصور :

«لا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك في الحياة الدينية .. ولكن من المؤكد أن هناك شيئا واحدا صحيحا ، أن الاسلام أكثر حيوية من المسلمين ، وأقدر على التحديات وعلى اصلاح الفساد ، وأن التطبيق المحكم للاسلام قادر على حل مشاكل الناس» .

وقال : «لقد ظن الناس أن شاه ايران يريد أن يجر شعبه إلى القرن العشرين وأن الامام الخميني يريد أن يجر ايران إلى القرن الأول للهجرة ، كأن الاسلام دين تخلف ، أو أنه يدعو إلى التخلف ، لكن ثورة ايران نبهت المسلمين وغيرهم إلى أن الدين الاسلامي مايزال حيا شابا» .

مع الخميني :
على الطائرة بين باريس وطهران :

الوقت في الفجر والامام الخميني في الدور العلوي من البوينج ۷۰۷ بينما يستعد معاونوه للصلاة وتحديد الاتجاه السليم للقبلة .

أدى آية الله روح الله خميني الصلاة ، وكان يرتدي العمامة السوداء تمييزا له عن الملالى (ج ملّا) الذين يرتدون العمامة البيضاء ، ويعتقد الشيعة أن هذه العمامة السوداء هى دلالة ارجاع النسب إلى رسول الله ﷺ .

وكان يرتدي عباءة بنية اللون وقد لفها بعناية حوله ، ورغم أنه لم ينم إلا ساعتين فقط إلا أن مظهره لم يكن يدل على الارهاق بأية حال من الأحوال .

كان الكاتب الصحفي «د . بيتر شول ــ لاتور» هو الوحيد الذي سمح له الخميني بالتصوير كما سمح له بلقائه على متن الطائرة واجراء حديث معه ..

ابتسم الخميني حين رأى عمال التصوير والفنيين ، ويقول د . شول ــ لاتور : كانت هذه هى المرة الأولى التي أرى فيها خميني يبتسم . كان يبدو مرتاحا ، بل مرحا أيضا . فقد اعتدنا أن نراه متجهما ، جافا ، مرتابا ، أثناء أحاديثنا الصحفية ومقابلاتنا والمؤتمرات الصحفية التي كانت تعقد في (نوفل ــ لوشاتو) بالقرب من باريس ، حيث كان يقيم .

وحين كان يتحدث إلى أتباعه ومريديه في الخيمة التي نصبت أمام منزله المتواضع قرب باريس ، كان يتكلم بصوت واضح ونبرات قوية متسلطة طاغية ، في حين كان يدمدم ويهمهم حين كان يرد على أسئلة الصحفيين .

أما وجهه فيظل صارما حاد الملامح ، يكاد يكون غاضبا دائما ، وكان بذلك يلقى الرعب في قلوب سامعيه الايرانيين الذين قدموا للقائه والاستماع اليه من كل أنحاء أوروبا .

ثم رأيت صورة معلقة في شوارع طهران وعلى وجهه هذه الابتسامة التي يبدو معها جزلا مرحا بعض الشيء ، لكن هذه الابتسامة المصطنعة والصورة المتكلفة لم تكن تلائمه بأية حال ، بل إن الخميني على الجدران والبوستر كان يبدو مخيفا بأبتسامته أكثر من الخميني الغاضب العابس .

لكن السؤال الذي حيرني ، هو لماذا يضحك الخميني ، ولماذا يبدو مرحا متفائلا ، أهي العودة إلى بلاده بعد منفى ١٥ عاما ؟ أم لانه انتصر على « الشيطان » المتمثل عنده في الشاه ؟

إنه يؤكد أنه أبدا لا يحس أن النصر في « جيبه » !

وهذا حقيقي . !

فالطائرة التي سماها الصحفيون ، « البساط الطائر » أو « بساط الريح » كانت مهددة في أية لحظة ، خصوصا بعد أن حلقت فوق ايران .

وكان يجب أن نضع في حسابنا أنها يمكن أن تصاب في أية لحظة من المدافع المضادة للطائرات والتي تقف في مرحلة الاستعداد في مطار قزوين ، وكان يمكن أن تدمرنا تماما .

ولهذا فقد دعا الخميني مئات الصحفيين من أنحاء العالم ليكونوا معه فوق ايران ، فقد أعدهم رجال الثورة الاسلامية ليكونوا « رهائن » ، فيما لو فكر الايرانيون أو غيرهم بتهديد سلامة الطائرة .

لكنني مع مرور الوقت ، وجدت تفسيرا آخر لابتسامة الخميني الفرحة ووجهه المتهلل . إذ أنه ربما وضع في حسابه أن تضرب الطائرة وتصاب ويقع هو .. إنه بالطبع سيسقط شهيدا على أيدى أعدائه ، وبهذا فإنه سيدرج في قائمة الشهداء من الشيعة !!

أما في الطائرة ، فقد كان الصحفيون يمطرون المرافقين الايرانيين بالاسئلة ، وكان أحد المتكلمين الذين تكاثر عليهم الصحفيون هو محمد يازدي الذي عين بعد ذلك وزيرا موقتا للخارجية .

أنهى « يازدي » دراسته في الولايات المتحدة الامريكية وعمل طبيبا وتزوج فتاه أمريكية بل وحصل على الجنسية الامريكية مما جعله (موضع شك) في عوين الكثيرين ، وكان يبدو أنه يستمتع جدا بوضعه الحال « كمتحدث رسمي » للخميني .

كما تكاثر الصحفيون على ايراني آخر ، يتكلم الفرنسية ، وسيم الشكل بالمقاييس الايرانية ، وقد عين أيضا وزيرا موقتا للخارجية وهو صادق قطب زادة .

أما الرجل الذى كان يثير الفضول والاهتمام فهو « بنى صدر » الذي جلس صامتا قابعا كأنه في « كبسولة » ، وهو الذي عين بعد ذلك رئيسا (لجمهورية ايران الاسلامية) . كان يبدو خجولا وراء نظارته السميكة التي تلمع تحتها عيناه اللتان كانتا

تتحركان كعينى البوم في محاجرهما ، لاتتركان شيئا لاتريانه : كان قصيرا ، يخط وجهه شاربان نحيلان فوق أسنانه التي كان يبدو معها كأنه من القوارض ..

وقد كان الفرنسيون يعتبرونه الجناح الاشتراكي في الثورة الايرانية بل أن بعضهم اعتبر «بنى صدر» ، وقد كان ابن واحد من آيات الله المغروفين ، اعتبره ماركسيا متخفيا تحت عمامة مسلمة ..

هبطت الطائرة ببطء شديد فوق مطار طهران للتأكد من خلو المطار من مدافع موجهة وللتأكد أيضا من سلامة «المهبط» من أية عوائق أو حواجز ، وقد روعى تموين الطائرات بأحتياطي وقود في حالة اضطرارها للعودة من طهران ، وكان يوجد مايكفي للعودة إلى انقرة بتركيا على الاقل .

ثم تقدم منى «طابا طاباى» ، وأخذ بيدي حيث أصبحنا وحدنا وسلمنى ملفا مليئا بالوثائق ، هو نفس الملف الاصفر الذي رأيته بيد الخميني قبل بدء الصلاة حين سلمه «لطابا طاباى» وقال لى هامسا بألمانية سليمة : خذ هذا الملف واخفه الان ، فإذا ماألقى القبض علينا لحظة الهبوط . أرجوك أن تحتفظ به ، وإذا قضى الأمر بسلام فأرجوك أن تعيده لنا .

توتر الجو كله أثناء هبوط الطائرة ، حتى أصبح غير محتمل . وكان متوقعا أن تفتح علينا النيران في كل لحظة ، لكن شيئا ما لم يحدث .

استقبلنا العاملون في المطار وكان أكثرهم من المتعاطفين مع الثورة الايرانية .

أبتدأ التوتر الفظيع ينزاح ويحل محله أحساس بالنصر . ورأينا كتلا من الايرانيين قد تجمعوا بعيدا حول نصب (شاه ياد) الضخم وكان عددهم يقدر بأكثر من أربعة ملايين يحتشدون في جمهرة صاخبة خيالية وأصوات الميكروفونات تعلو مرددة : الله اكبر ، خميني زعيمنا .

بينما اجتمع الملالى في قاعة الانتظار بالمطار لاستقبال الزعيم الديني العائد وكان معهم قساوسة ورجال دين أرمن ورجال دين كاثوليك .

ونقل التليفزيون وقائع العودة وسط تهليل الجماهير وبالرغم من كل الصراخ والصيحات والنداءات ، إلا أنه كان واضحا أن هذا الزحف العملاق كان بعيدا عن الهستريا الصاخبة والانفعال المتعصب المتطرف المجنون ، وهو ماكان يتوقعة الصحفيون بعد الانتظار الطويل والتوتر الشديد .

لكننا ــ ونعترف ــ أننا أحسسنا وسط هذا كله أن هناك مهرجانا شعبيا يعيشه المتظاهرون والصحفيون حقا .

إلا أن شيئا ماحدث فجأة ، فقد انقطع الارسال التليفزيوني الذي كان ينقل وقائع عودة الخميني مباشرة وكنا نراقب ذلك عبر شاشات التليفزيون المنتشرة بصورة دائرية في صالة المطار الواسعة .

وترقبنا جميعا مشدوهين ، فإذا بالسلام الملكي يعزف ، وتظهر صورة للشاه ببذلته الملونة البراقة . ورغم أن هذا الارسال المتداخل قطع بسرعة إلا أنه أعطى اشارة صارخة سريعة بالمعارضة التي يعبر عنها رئيس الوزارة بختيار والذي يقف معاديا للثورة ، وكان بختيار قد عين قبيل رحيل الشاه مباشرة رئيسا للحكومة .

وكان بختيار قد حاول في نفس الوقت وبسرعة وبجهد مكثف الاتفاق مع بعض جنرالات في الجيش وبعض الموالين للشاه الحيلولة ولو بالسلاح دون إقامة (جمهورية اسلامية) .

غادرنا الخميني بعد ذلك بطائرة هليوكبتر نقلته إلى « بهشته زهراء » حيث تقوم مدافن الذين سقطوا أثناء الدفاع عن الثورة الايرانية .

وألقى الخميني هناك أول خطاب له على أرض ايران بعد عودته ، حيث أعلن الحرب على حكومة بختيار وعلى كل أعداء نظام الدولة الجديد .

بعد أن حجزت مكانا لى بصعوبة عائدا إلى فرانكفورت ، ودعنى « صادق طابا طاباى » بحرارة واسترد الملف الاصفر الذي كان قد سلمه لى في الطائرة . ولم أعلم مافي وثائق الملف إلا بعد ثمانية أشهر من ذلك التاريخ ، حيت كشف لي عن سر الاوراق : فقد كانت صيغة لأول دستور (للجمهورية الاسلامية الايرانية) وقد صاغه الخميني بنفسه ..

حين وصل الخميني إلى ايران أقام في قم (قوم) المقدسة ، في بيت صغير من الطوب غير المطلي في حارة متفرعة من شارع القسطنطينية ويستخدم حجرتين فقط من حجرات البيت الخمس ويعيش على الزبادي والعسل .

وقال عن وزرائه « إنهم ضعفاء ، ولا يزالون يقيمون في بيوت بديكورات فخمة وأثاث وثير ، وعلى الحكومة أن تعلم أن القوة لاتأتي من موائد مذهبة ومفضضة وأن العظمة لاتنبع من فخامة الاثاث والستائر ، وأن هذه الاثاثات يجب أن تعاد إلى البنك » .

وكان الشاه قد قال مرة في حديث مع أنور السادات ، الرئيس المصري الراحل : « إنه يخشى أن يرفع الخميني الغطاء من فوق القمقم الذي احتبست فيه كل الخلافات المذهبية والدينية والعنصرية في ايران ، فهناك عدا ذلك مازال من يعبد النار وهناك البهائيون وهناك البالوش والأكراد والعرب ..»

فهل كان الشاه غافلا عما حدث ، أو أنه لم يكن به علم ؟

إن التقرير الذي تركه الشاه للسادات في ذلك الوقت عن مقدمات في الثورة في ايران يؤكد أن الشاه قد قرأ وفهم ولكنه لم يستطع أن يوقف طوفان السخط والغضب عليه .

إن ثورة ايران بعد وصول الخميني لم تتحسن عما قبل . فحملة الرشاشات من الشبان الصغار انتشروا اكثر من السابق ، رغم أن الحكومة الثورية الحالية دعت إلى محاكمة كل من ينحرف من الثوار أيا كان . وحتى شهر ابريل عام ١٩٧٩ كانت محكمة الثورة قد حكمت بالاعدام على (٩٦) ايرانيا من الثوار بتهمة الانحراف الخلقي ومخالفة الشريعة الاسلامية .

الاهم ، أن النساء والفتيات رفضن لبس « الشادور » في معظمهن واكتفين بالزى المحتشم .

أما ماحدث لمن كانوا يعملون في خدمة الامبراطورية السابقة ، فترويه مينو ريفيز :

« ابتدأت السلطة الجديدة تحتل كل المراكز ، إلى أن أتى دورنا وقادونا جميعا إلى صالة الانتظار في الدور الأول . أمرونا أن نجلس جميعا . لم يكن هناك كراسي فجلسنا على الأرض .

كان الجو باردا جدا والمكان مظلما ، وفي المساء أتوا لنا ببعض الخبز والبيض المسلوق وبعض الماء كما قدموا لنا بعض البطاطين الصوفية كأغطية .

ولم يسمح لنا بمغادرة المكان . كنا نسمع في مكاننا أصوات الطلقات والانفجارات ، ولم نستطع أن نحرك ساكنا .

وفي الليلة الثالثة قامت فجأة احدى السكرتيرات وفتحت الباب بعنف وخرجت إلى حيث يقف الثوار المسلحون ، وسألتهم ، ماذا تريدون منا ؟
ماذا تنتظرون ؟ هل نقف على الحائط وتطلقون علينا الرصاص ؟
اذن .. هيا .. افعلوا !

قام واحد من الثوار ودفعها إلى الغرفة الثانية ، ومرت ساعه كانت فيها السكرتيرة ترتجف كأنها مصابة بالحمى ، ثم جلست وهى في حالة ذهول كامل ، تحرك رأسها يمينا وشمالا دون توقف .

ومضى على ذلك أسبوع ، وفي اليوم الثامن قادوني إلى غرفة في الدور الثالث وفي الغرفة الصغيرة كان يجلس اثنان من القضاة المسلمين .

استمرت محاكمتي عشرة أيام كانوا يستمعون فيها إلى أقوالي وتحدثت عن عملي لدى الامبراطورة بتفصيل كامل .

كان من الملفت أنهم أثناء محاكمتي لم ينظر أحد منهم إليّ .. ولم يكن هذا امتهانا لى ، بل إنه خلق المسلم الصحيح الذي لايجوز له أن ينظر إلى امرأة كاشفة الوجه ، بالاضافة إلى أننى لم أكن أرتدى حجابا . ورغم أنهم كانوا قساة ومن الخشونة بمكان ، لكن أعترف أنهم لم يوجهوا الىّ اساءة واحدة ، ولم أسمع منهم كلمة سباب أو امتهان بل لم يسىء أحد منهمْ معاملتي على أى وجه .

وهكذا خرجت بلا تهمة معينة ولست أدري السبب حتى الآن ، ربما شفع لي أنه جاء في اعترافاتي أنني قدمت استقالتي مرتين لانى لم أكن راضية عن تصرفات العائلة المالكة التي كنت أعمل عندها .

لكنني علمت بعد ذلك أن كل الذين كانوا يعملون في خدمة الامبراطورة فقط ، عوملوا معاملة خاصة ، كان فيها الكثير من التسامح والرأفة .

حتى أعدى أعداء الاسرة المالكة لم يكن يحس نحو فرح ديبا بهذا الكره البغيض الذي كانوا يحسونه نحو الشاه وباقي عائلته . بل الاحتقار الذي كانت تلاحق به عائلة بهلوي لم يكن يمس فرح ديبا بأية حال ..

وظل الجميع حتى الثوار يحملون لها الحب والتقدير ، حتى بعد أن غادرت البلاد ، أما الذين أخلصوا للشاه أو حتى نافقوه ، فقد لقوا مصيرا مخالفا .

كانت صورهم تملأ الجرائد ، وكانت وجوههم ممزقة مشوهة وقد أعدم بعضهم بالرصاص وبعضهم بالشنق وضرب البعض الآخر حتى الموت .

ورغم أن المراسلين يتحدثون باسهاب عن أحكام الاعدام المتكررة في ايران في تلك الفترة إلا أن بعض المحللين السياسيين ومنهم الكاتب الصحفي الالماني بيتر شول — لاتور يقول :

« منذ أن استلم الخمين السلطة في فبراير أعدم أكثر من ٢٠٠٠ من معارضيه » ومعارضي النظام الجديد ، والسؤال : هل هذه التصرفات الدموية من تعاليم الاسلام ، **قطعا لا .. ويجب أن ننفي هذا عن الاسلام** .

أما الذين يريدون أن يتصيدوا للاسلام ثغرات فهم يحمّلونه مافعله الخمينى وأنصاره ، خصوصا « آية الله خلقلى » رئيس المحاكم الثورية من الحكم بالاعدام على أنصار الشاه بالجملة ، **والاسلام من كل هذا براء ، براء ..**

● اذن استتب الأمر للنظام الجديد ، فماذا فعل ؟

نعود إلى وكالات الانباء :

طهران : ٢ /٥ /١٩٧٩

وقع ثانى حادث اغتيال سياسي في ايران ، فقد اغتيل آية الله مطهري ، رئيس « مجلس الثورة الاسلامي » السري وهو أقرب معاوني الخميني اكبر شخصية دينية بعد الزعيم الشيعي .

وكانت المنظمة التي أطلقت على نفسها اسم « الفرقان » قد اغتالت من قبل الجنرال جراني رئيس الاركان في أول أيام الثورة .

وقالت وكالة يونايتيد برس أنه تم تشديد الحراسة على الزعماء الدينيين السياسيين بعد الحادث . وكان رد الفعل شديدا في ايران فقد أغلقت الاسواق (البازار) والمدارس وقامت عدة مظاهرات . وهذه المنظمة تناهض حكم الملالي (ج ملا) .

وهي تتكون أساسا من مسلمين سنيين وتعارض بشدة نظام « الامامة » الخاص بطائفة الشيعة . والتي **تمنح سلطة مطلقة للحاكم الذي يمثل على الأرض الامام الغائب الثاني عشر ..**

طهران : ٢٩ /٥ /١٩٧٩

صرح آية الله خلقلي أن هناك (١٥) ألف شخص في ايران ينتظرون المحاكمة وأنه تم الافراج عن حوالي (٣) آلاف بعد أن أثبتت براءتهم من التهم الموجهة اليهم .

كما نشرت اليوم صحيفة (طهران تايمز) تفاصيل الاعترافات التي أدلى بها الجنرال رحمان نادري بور ، أحد كبار رجال البوليس في عهد الشاه والتي وصف فيها عمليات التعذيب ووسائل القتل التي كانت أجهزة السافاك تمارسها ضد المعارضين

السياسيين للنظام الملكي السابق ، وقال الجنرال نادري ، إن ضباط السافاك كانوا يدسون كبسولات سم السيانيد للمعتقلين السياسيين ضد الشاه ثم يعلنون أنهم انتحروا ..

وقال في اعترافاته ، إن تسعة من المعتقلين السياسيين قد اقتيدوا من أحد سجون طهران وهم مقيدون ومعصوبوا الاعين إلى بعض المناطق الجبلية القريبة من العاصمة حيث أطلق رصاص الرشاشات عليهم وذلك في أعقاب حادث اغتيال اثنين من المستشارين العسكريين .

وفي أغسطس من نفس العام .

أصدر الخميني انذاراً إلى قادة الجيش : إنه بعد انتصار الثورة والاطاحة بالشاه لم تتصرف الحكومة بشكل ثوري ولكنها سمحت للمتآمرين أن يفعلوا مايشاؤون .

ووصف الحكومة والجيش والبوليس وحراس الثورة بأنهم ليسوا ثوريين ، قال إنهم لم يتخذوا أية اجراءات ثورية ضد المتآمرين وحذر الحكومة من تقاعسها وبتقديم قادة وحدات الجيش العاصية للتأديب وكذلك اغلاق دور النشر غير الملتزمة .

وكان الخميني قد وجه انذاره بعد أن اشتدت حدة المعارضة بين الجماعات اليسارية والمناهضة لنظام الخميني .

وقد استغل الكثيرون الطريقة التي تشكلت بها المحكمة الثورية والطريقة التي حوكم بها أنصار الشاه وأعوانه والمناهضين لثورة الخميني أو لوجوده بعد الثورة .

فقد انضم للثورة التي بدأت من القاعدة كثير من المعارضين للشاه ، أمثال الماركسيين . ثم بدأ الانفصال بين هذه الجهات بعد استلام أعوان الخميني السلطة .

وكان لابد للثورة أن تأخذ شكل كل الثورات الكبرى التي لايمكن أن تتم مسيرتها بدون ضحايا .. حتى الانقسام بين صفوف آيات الله ابتدأ يأخذ شكلا معينا بسبب الاختلاف على طريقة الحكم .

وقد زاد من حدة الانقسام ماأشيع عن الخميني من أنه **نصب نفسه** «**إماما**» ، وبذلك فهو يكون «**خليفة الله في أرضه**» كما يقتضي مذهب الشيعة الاثنى عشر ، ثم أعطى لنفسه حق ولاية «**الفقيه**» التي يمكن توسيع نطاقها لتصل إلى «**العصمة**» !

وترتيب الفقه الشيعي يقتضي من الامام أن يمر أولا بمراحل أخرى هي : الاجتهاد ، وقد حصل على لقب «مجتهد» وهو في الثلاثين من عمره ، ثم التقليد

والمرجعية ثم كان «آية الله» وهو في الخمسين من عمره .. وهو أعلى لقب ديني في المذهب الشيعي بايران .. وكان آية الله الشهير في ذلك الوقت هو «آية الله كاشاني» .

وربما كانت الخلافات الكبيرة التي حدثت في الصفوف بين الثورة سببها أن كثيرا من المجموعات السياسية التي انضمت للثورة ليست بقادرة على الحكم ورجال الدين الذين قادوا الثورة في الاصل ، ليسوا رجال حكم ، ولذلك فإن الخميني بعد الاجتماع برئيس الحكومة الايرانية مهدي بازرجان في مدينة قوم المقدسة وافق على ايقاف تنفيذ كافة العقوبات التي تصدرها (المحكمة الاسلامية) حتى يتم وضع القوانين الجديدة بمعرفة الحكومة ومجلس الثورة والسلطات القضائية الأخرى في ايران .

وقد طالب المدعى العام الايراني بعد ذلك جميع العناصر الهاربة من قوات الحرس الامبراطوري السابق وقوات البوليس السري (سافاك) بتسليم نفسها ومعها الاسلحة والوثائق التي في حوزتها إلى سلطات الحكومة الشرعية في موعد لايتجاوز يوم ٢١ مارس ، وإلا تعرضت لعقوبة الاتهام بالتجسس ..

لكن بعض المحللين لما جرى خلال الشهور الأولى للثورة يعتقد أن مافعله الخميني قد أعاد الأمور إلى نصابها ، شرعا .. وربما يكون في هذا مغالطة ، حتى من وجهة نظر المذهب الشيعي .

يقول «كونسيلمان» :
إن الخميني في القانون الذي أصدره عام ١٩٧٩ أعاد الأمور إلى نصابها حين أعلن «أنه الامام الغائب» وقد اتخذ مكانه ثانية ..
وهذا في حد ذاته قول جرىء وخطير في نفس الوقت .

ويقول من «وجهة نظر شخصية» :
«بذلك حددت الثورة الاسلامية الشيعية في ايران مشكلة «**الخلافة**» **عن الامام بهذا المعنى** ، ويردد قول الخميني :

«بما أن الله (القادر) لم يدع أحد بالاسم ليكون نائبا عن «الامام الغائب» ويشكل بأسمه الحكومة الاسلامية ، فإن علينا أن نتأكد مما نفعله . فالله يريد أن يعيد الحكم الاسلامي إلى العصور الأولى كما كان في أوج قوته وازدهاره وتأثيره .

«فإذا ظهر رجل يحمل فيه كل مايؤهله لهذا ويكون فيه كل هذه الفضائل ويظهر على العالم ويبشر ببناء دولة اسلامية حقيقية فإنه بهدا يكون مرسلا من الله بفس الرسالة التي كان قد بعث بها النبى ﷺ ، وعليه أن يقود الشعب ، ومن الواجب المطلق على

هذا الشعب أن يطيعه الطاعة الكاملة» ..

«وكل القوة العسكرية والمدنية التي حملها الله لنبيه ، هى بناء الدولة الاسلامية اليوم» .

ورغم أن هذا الكلام فيه كثير من المغالطة ولكنه ربما يمثل إلى حد ما تفكير آية الله الخميني والاسباب التي دفعته لينادي بنفسه «إماما» له ماللامام من قوة وحكمة و«عصمة» كما يعتقد الشيعة .

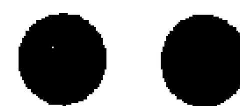
وكان أهم مايرمي اليه الخميني هو «تجريم التغريب» الذي حدث في ايران وفي كل البلاد الاسلامية ، وكان يعتبر أمريكا هى المسئولة الاولى عن هذا «التغريب» وبالتالي افساد الشعب عن طريق حكامه .

وتأتي المظاهرات العنيفة التي كانت تهاجم المؤسسات الأمريكية والبريطانية والفرنسية مظهرا من مظاهر الرفض لهذا «التغريب الفاسد» الذي أطاح بشاه ايران وبتاجه !

وكان أهم حدث قلب موازين العالم وغير تاريخ الانتخابات في أكبر دولة في العالم وهى أمريكا ، هو حادثة هجوم المتظاهرين على السفارة الامريكية ، واعتقال خمسين من الرهائن لمدة قاربت على سنة ونصف ضاعت فيها على الرئيس جيمي كارتر فرصة اعادة انتخابه وجعلت شعبه يقوده إلى الظل ، بل إلى النسيان ..

وقد ابتدأت حوادث الهجوم على القنصلية والسفارة الامريكية بحوادث عارضة ، منها ماحدث يوم ١٨ /٨/١٩٧٩ حيث صرح متحدث بأسم السفارة الامريكية في طهران بأن القنصلية الامريكية التي تقع في قلب طهران قد تعرضت لحادثى هجوم بالقنابل فجر اليوم في فترة لاتتجاوز ١٥ دقيقة ، أسفر عن تحطيم جميع نوافذ القنصلية وأن لم يسبب وقوع ضحايا ، ولكن الدور الثاني من المبنى تحطم تماما .

وأضاف المتحدث الرسمي أن السفارة الامريكية في ايران أبلغت الحكومة بحوادث الاعتداءات عليها وأن الحكومة أرسلت على الفور قوة ضخمة من حراس الثورة لحماية السفارة .



الخميني يحاول «اذلال» أمريكا

احتلال السفارة الامريكية :

أما التوقيت الذي هاجم فيه الطلبة السفارة الامريكية وأحتلوها واحتجزوا مجموعة كبيرة من العاملين في السفارة كرهائن ، فقد كان توقيتا محكوما وليس ارتجالا .

فقد طرد الخميني من ايران لأنه وقف يوم ٤ نوفمبر ١٩٦٤ أمام أكبر تجمع ايراني في مدينة قم وقال :

«لو أن كلب السفير الامريكي ركب سيارة وداس الشاه فإن الكلب لن يقف أمام أية محكمة من أى نوع ، ولو أن الشاه نفسه داس بسيارته كلب السفير الامريكي لانفتحت على الشاه كل محاكم ايران» .

ولم يكد الامام يفرغ من كلمته حتى تألبت عليه قوى الحكم الطاووسى وطرده الشاه .

وكانت هذه الخطبة قد ألقيت يوم عيد ميلاد الخميني ، وكان يوافق يوم مولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

وقد حدث أيضا في عيد ميلاد الخميني التاسع والسبعين أيضا أن هاجم الطلبة سفارة أمريكا (٣٦ فدانا) .

ولم يكن احتلال السفارة من وحى اللحظة ، بل كان مدبرا ومخططا كما يروى أحد المحتجزين بعد خروجه وقد دون هذا في مذكراته ، التي سننشر طرفا منها في الاوراق القادمة .

وقد علق على هذا الاحتلال الغريب ، المفكر السياسي «وليام كوانت» الذي زار القاهرة في ذلك الوقت ، وكان يشغل منصب المساعد لمستشار الامين الامريكي ..

وقد كان «كوانت» أصدق من وصف عجز السياسة الامريكية في الشرق الأوسط وحلل قراراتها في عشر سنوات ، ووصف هذه القرارات بأنها خلاصة سوء الفهم والخوف .

وأكبر دليل على ذلك أن سفارة أمريكا في طهران ليس من بين الموظفين فيها واحد فقط يعرف اللغة الفارسية أو يفهم الاسلام ولذلك كانت ثورة الخميني مفاجأة تامة .

مذكرات أحد المحتجزين في السفارة الامريكية :

هو الديبلوماسي «جون جريفز» الذي احتجزه الطلبة الايرانيون في السفارة لمدة ٤٤٤ يوما ..

أرسل إلى طهران في اغسطس من عام ١٩٧٩ في البعثة الديبلوماسية المسئولة عن شئون الرأى العام ، في الوقت الذي كانت أحداث الهجوم على السفارة أمرا يوميا معتادا . وقد زار بلاده لحضور حفل زفاف ابنه ثم عاد بعد أيام إلى طهران ، وذلك في نفس اليوم الذي سمحت فيه الحكومة الامريكية لشاه ايران السابق بدخول أحدى المستشفيات للعلاج في نيويورك .

وقد احتجز مع ٦٦ من زملائه في السفارة رهائن . وكان يكتب مذكراته يوما بيوم بعد أن سمحوا له بالاقلام والورق . ولكن بعد قرار الافراج عن الرهائن أخذوا منه كل الاوراق قبل مغادرته طهران ، ولم يبق معه إلا ماستطاع تهريبه من صور وأوراق هامة أخفاها في ملابسه الداخلية وفي ثنية بنطلونه .

جاء في المذكرات :

صرخ أحدنا وهو ميهان : «إنهم يدخلون من البوابة الكبيرة» وكان ميهان من زملائنا الايرانيين العاملين في السفارة . كان هادئا في العادة ولكن لاحظت هذه المرة أن صوته كان مضطربا .

قلت : لاشك أنهم يريدون فقط اثارة حماس الشعب الذي يقف في الخارج .

وتابعت : أنهم لم يجدوا مكانا فارغا على الجدران ليكتبوا اكثر مما كتبوا فدخلوا هنا .

لكن مزاحي السخيف لم يجد صدى لدى زملائي ، ولا حتى لدى أنا . كنت أحاول طيلة الوقت ومنذ أيام التسلح بالهزار والمزاح .

لكن المهاجمين هذه المرة دخلوا إلى فناء السفارة . كان معظمهم من الفتيات

اللاتي يلبسن «الشادور» لكن الشادور الاسود لم يكن مناسبا للبنطلونات الجينز التي كانوا يرتدونها .

كان بعضهم يحمل لافتات كتب عليها : «إننا لانريد أن نؤذيكم إنه مجرد احتلال[1]» .

وفجأة قال أحدنا بصوت عال ، وهو « باري روزن » الملحق الصحفي وهو ينظر من خلال نافذته : «إنهم يتعانقون» .

ذهبت إلى النافذة أنظر ، فرأيت لدهشتي أحد الطلبة «الملتحين» يعانق رئيس وحدة الحراسة التي أتت لحمايتنا في الاصل . «اذن لابد أنهم يعملون معا» .

لقد كافحنا طويلا منذ أيام الاعتداءات الأولى على السفارة في فبراير الماضي لترسل لنا الحكومة وحدة حراسة قوية .. والآن نرى هذا المنظر .. !

ابتدأت جموع جديدة من الطلبة الشباب تتوافد بعد أن دخلت مجموعة الفتيات كتغطية ..

كان البعض يحمل عصى ، وآخرون سلاسل وكرات معدنية وفؤوسا وأقلاما طويلة ضخمة . وابتدأوا يكتبون على الجدران دون أن يتركوا أى فراغ ، تارة بالفارسية وتارة بالانجليزية :

«فليسقط كارتر» أو« الموت للشاه» أو«فلتسقط CIA» .

ولكن حتى الآن لم أستطيع أن أحمل الأمر محملا جديا وظننت أن كل هذا لا يعدو أن يكون مشهدا للتصوير التليفزيوني ، حتى سمعت كلمة من «باري روزن» تقول : إن شكلهم يبدو خطيرا فعلا .

وقد كان على حق . فمنذ الأمس ٣ نوفمبر ١٩٧٩ ساد اضطراب عام وكثرت المظاهرات منذ أن سمحت الحكومة الامريكية للشاه بدخول الولايات المتحدة الامريكية ، لكن هذه كانت أعنف مارأيت منذ عدت .

فقد أنزلوا أعلامنا ومزقوها ، وكنا قد ناقشنا صباح اليوم أمر فتح القنصلية قسم التأشيرات ، وصلنا إلى قرار أخير ، هو أنه لابد أن يكون الأمر عارضا ولابد أن الايرانيين سينظفون الجدران ويعتذرون وينتهى الأمر . وسنهدد السلطات الايرانية ، بأنه إذا لم يتم تأمين الحماية الكاملة لنا ، فلن نعطى أى تأشيرات وسنغلق قسم التأشيرات كله .. وظننا أن هذه هى الورقة الرابحة التى سنلعب بها .. !

وكنا قد ناقشنا هذا الصباح أيضا في الاجتماع الصباحي اليومي ، أن علينا أن نشرح للايرانيين الاسباب التي دعت الحكومة الامريكية أن تسمح للشاه بدخول بلادها ، وهي أسباب صحية فقط ، بحيث يتمكن من تلقى رعاية صحية يحتاج اليها في مرضه الخطير ، وذلك بالرغم من أن المتحدث باسم الحكومة الايرانية كان قد صرح لباري روزن :

«أنه طالما يوجد الشاه في أمريكا ، فلا كلام لنا مع الامريكان» ! ..

كان الطلبة يتوزعون في المبنى ، حين قال لي «بروس لينجن» المسئول عن شئون السفارة ، وهو يتساءل ، إذا كان يتحتم عليه أن يرسل لحكومته بالحادث فورا أو ينتظر بضع ساعات ؟

على أن مايغيظني بحق ، هو موقف واشنطن من ديبلوماسييها ! . فكيف ترسلنا حكومتنا إلى هنا ، والموقف على ماهو عليه ؟ إنهم يتخذون القرارات الصعبة دون مراعاة للحقائق . إن رئيس الولايات يعرف كل شيء عن السياسة الداخلية وعن أعضاء البرلمان ، أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية فليس إلا مجرد أفكار وتخمينات غريبة .

وحين حاول مرة موظفو مكتب الاتصال الخارجي ان يؤكدوا لحكومتهم وهم في الصين امكانية وصول ماوتسي تونج للحكم ، أرسلت لهم الحكومة الامريكية اعتذارا وانذارا بالاستغناء عنهم .

سمعت صوت جلبة في الخارج ، ثم رأيت الطلبة يدخلون إلى غرفة مكتبي وقالت إحدى الفتيات : فليدخل كل الامريكان إلى المكتبة ، من فضلكم ..

ولم يكن الأمر يدل على أى نوع من العنف أو استعمال القوة . ودخلنا المكتبة جميعا .

ثم عصبت أعيننا ! .

هناك .. بعد فترة .. سمعت صوتا يناديني ويسألني : هل تأكل الرز ؟ قلت ، بل أريد الذهاب الى دورة المياه .

سأل الصوت ثانيا : هل تحب الرز ؟

قلت : أريد أن أذهب إلى دورة المياه ، وأنا أشرح بالحركة إذ أننى خشيت ألا يفهمنى أحد ..

كانت عيناى معصوبتين !! ويداى مقيدتين !

سمح لى بالذهاب لدورة المياه . حاولت الوقوف على قدمى فلم أستطع .

كانت ساقاى عديمتا الحركة ، حاول اثنان مساعدتى للوقوف والسير عبر غرفة الجلوس .

حين خرجت من دورة المياه ، نظرت حولى وأنا آمل أن أجد الصحفيين والمصورين والمراسلين وكاميرات التليفزيون .. ولكن لم أجد شيئا .

جلست على أحد الكراسى .. هذه المرة غير معصوب العينين ولا مقيد القدمين واليدين .. وشممت فى هذه اللحظة رائحة طعام .

بعد ذلك قدموا لى طبقا من الارز ومرق اللحم ، وضع على حجرى . أكلت بسرعة وطلبت الشاى لاتمكن من التفكير ..

كنت متأكدا ، أنه حالما ستأتى كاميرات التليفزيون وتنتهى المشاهد سيطلقون سراحنا . فالطلبة سيفرحون وسيتفاخرون بعد ذلك بين زملائهم ..

فجأة سمعت وسط تخيلاتي صوتا يأمرني بالنوم .. نظرت ورائي فرأيت أحد الطلبة الذى أعاد لهجته الامرة : عليك أن تنام الآن ..

حاولت ألا أسمعه وإلا أنفذ مايقول .. وإلا فإن كل ماأدعيت أنه خيال ووهم طيلة النهار سينقلب إلى حقيقة .. ولم يعد هناك مزاح ولاهزل .. سأتحقق أنى فعلا : سجين !

قادوني إلى غرفة في نهاية الممر . كانت الغرفة مليئة بموظفين من شتى الاقسام الاخرى في السفارة . ولم يحاول أحد حتى أن يشرح لنا سبب وجودنا هنا .

أصبحت الدقائق ساعات .. وكان بارى روزن يحاول أن يهدىء من الغليان ويضحكنا ، لكن صوته كان يخونه . حاولت أن أقرأ كتابا يضم قصصا قصيرة ، لكنى لم أستطع التركيز .

سألت بارى روزن : لماذا يحجزوننا هنا ؟ سألته لانه قضى أعواما في ايران ويتكلم الفارسية بطلاقة ..

ملحوظة :

هذا يفند كلام المحللين والصحفيين العرب والاجانب الذين يقولون إنه لايوجد في السفارة من يتكلم الفارسية ..

أجابنى : أعتقد أنهم ينتظرون كاميرات التليفزيون ليسجلوا بطولاتهم على أفلام .

في تلك اللحظة ، ابتدأت الفتاة التي قادتنا إلى المكتبة تتكلم بالفارسية . سألت

روزن عما تقول ، أجاب : إنه الكلام الفارغ المعهود . الامريكان أشرار وقد أتى الان أتباع الخميني لوضع الأمور في مكانها الصحيح ..

حاولت بعد الخطبة أن أقرأ وكان النهار قد انتصف وأحسست بألم في أسناني .

سمعت ضوضاء فهرعت إلى النافذة .. ياالهى ، إن الأمر لم يعد هزلا أبدا ، رأيت كولونيل سكوت والملحق الاقتصادي كيندي ، معصوبي الاعين ومقيدي الايدي .. إذن فقد استطاع الطلبة الوصول إلى هناك رغم الأبواب الثقيلة والشبابيك المحكمة ..

كنت أتأمل سكوت وكيندي حين أحسست بمجموعة من الشباب تقيدنى ويعصبون عيني بقطعة من ملاءة سرير ، ويقيدون يدي برباط من النايلون .. ورغم أنى لم أر الطريق لكني عرفت أنهم اقتادوني إلى « شاليه » كان يسكنه بعض الزملاء الذين قدموا مؤخرا إلى طهران .

استقبلني بعض الطلبة الذين بدا عليهم أنهم أكثر تشددا وأكثر عنفا وقسوة . وربطوا يدى المقيدتين إلى ظهري ثم قيدوا قدمي .

ومن الغريب أنى حتى الآن لا أحمل الأمر محملا جديا .. فقد ذكرني منظر ملابسهم بقمصانهم المطبوعة وبنطلوناتهم الجينز ، بزملائي في المدرسة ، وبتلاميذي الذين كنت أستاذا لهم في الخمسينات ، قبل أن أعمل في وزارة الخارجية .

حين أتى علينا الليل كانت مفاصلي تؤلمني بشدة وأحسست بالجوع ، كما أنى كنت أريد الذهاب إلى دورة المياه . تذكرت أيضا أنه لابد وأن أسرتى قد علمت بما حدث .. وأحسست بقلق أولادي .. وزوجتي .

هذا هو أسبوعنا الثاني ولم يحدث أمر ذو بال .. ومازلت أجلس مع خمسة من زملائي في الشاليه .

ولكن أمرا ما ابتدأ يحدث الآن ، فالطلبة يختفون نهارا ، ربما لأنهم يذهبون لمدارسهم فهم يعودون في المساء ثانية .. ليجلسوا أمام التليفزيون ويسمعوا موسيقى وأغاني من الراديو ، ثم يأكلوا ، وكثيرا مايتناقشون باللغة الفارسية بحرارة وحماس .

وكانوا ينزعون العصابة عن عينى لفترات ، مما كان يريحني .

فجأة حدث شيء مريب . فقد كان الاثاث مرتبا ، وصناديق الزبالة أعيدت إلى مكانها خارجا .. لابد أنهم ينتظرون ضيفا مهما ؟ ربما كان عضوا من الكونجرس الامريكى ؟ أو ربما من البيت الأبيض ؟ أو ربما حتى من الصليب الأحمر ؟ أو مندوبا من

البابا ؟ أو مجموعة من السفراء ؟ أو ربما رئيس الوزراء بازرجان ؟ أو ربما الخميني نفسه ؟

حدثت جلبة عند الباب . ودخل بعض الغرباء . تعرفت فقط على أحدهم وكان يحمل سلاحا .. دخل ودخل وراءه رجل قصير ، بدين ، يرتدي عباءة الملا ، ويضع على رأسه عمامة سوداء ويتميز وجهه بلحية سوداء أيضا .

ومد يده ليسلم على الطلبة الذين كانوا يتزاحمون لتحيته ، بينما احتمت الفتيات بالاركان وهن يخفين وجوههن بالشادور .

تقدم الرجل الينا ولم أفهم مما يقول شيئا ، فقد كان يتكلم الفارسية ، بينما يصافح أيدينا المقيدة ، واحدا واحدا .

وقف الضيف في منتصف الغرفة وابتدأ يخطب . كان صوته منخفضا ولطيفا وكان يبتسم لنا بين الحين والآخر . وكان الطلبة ينصتون اليه بمنتهى التركيز والانتباه ويومئون برؤوسهم بين الحين والآخر .

ابتدأت في سري ألعن السرعة التي دعتني للمجيء إلى طهران دون أن أتعلم الفارسية .

وفي نهاية الخطبة استدار أحد الطلبة الينا وقال لنا بالانجليزية : «إنه أحمد خميني ، ابن الامام . وقد أتى ليتأكد أنكم بخير» . وهو يؤكد لكم أنه لن يصيبكم أى أذى والامام يأمل أن يحدث حوار وتفاهم بين الطلبة وبين «السجناء» .
ثم ابتسم الضيف لنا بلطف وذهب .

كان لدخوله معان تركت في أنفسنا مشاعر متباينة . بالطبع كان علينا أن نطمئن لأن الخميني أكد لنا أنه لن يصيبنا اذى وهو يضمن ذلك .. فهل يعنى هذا اقتراب نهاية هذا السجن ؟

ثم دار حوار بيني وبين الطلبة وقلت :
إننى أتفق معكم في كثير من وجهات النظر التي عرضتموها . لقد كان لامريكا دور كبير في إقالة مصدق وإعادة الشاه . وأتفق معكم بأن الأمم المتحدة والصحفيين ولجنة حقوق الانسان عندها مايؤكد أن الشاه كان يقود دولة يحكمها البوليس السري سافاك ، وأن هؤلاء كانوا يقومون بتعذيب المعتقلين أحيانا إلى حد الموت .

ونعترف أيضا بأن أمريكا كانت تبيع لايران أسلحة ومعدات وبضائع لاتلزمها

وكنا نشجعكم أيضا على إقامة مشاريع اقتصادية ومشاريع بناء لا تعود بالنفع على البلد .

كان الطلبة ينصتون دون أن يقاطعوني .. بل وينتظرون مني المزيد ، فتابعت :

إني أستطيع أن أدرك تماما أن وجود ٤٠ ألف امريكي في ايران يهدد تقاليدكم وحضارتكم ، وأعتقد أن موسيقانا وطريقتنا في الرقص واللباس وعاداتنا في شرب الخمور ، وجرائدنا ومجلاتنا وأفلامنا واستعراضاتنا ، لاشك أنها قلبت موازينكم .

وأستطيع أن أفهم أيضا لماذا تنظرون إلى الشاه على أنه مجرد «أراجوز» لاننا أعدناه الى الحكم عام ١٩٥٣ .. لكن هذا كله يعود إلى سنوات بعيدة . وكثير منا الذين اعتقلتموهم ، لم يمض على خدمتهم في ايران أكثر من شهور فقط وربما بضعة أيام فقط .

لماذا تأسروننا ؟ ماذا فعلنا ؟ ماهي الاتهامات الموجهة الينا ؟

أجال أحد الطلبة وكان يملك بنية قوية ولحية كثيفة :

«أنتم أمريكان وتعملون من أجل الحكومة الامريكية . أنتم تتجسسون علينا وتتآمرون ضد حكومتنا الثورية الاسلامية» .

«أنتم أمريكان ، أنتم مذنبون» .

قلت له : لكن هذا رأى عام !

أجاب : إن مقبض السلاح هو جزء من السلاح . وكل أجزائه متهمة . كل الامريكيين في السفارة هم جزء من الجاسوسية والتآمر .

قلت : ربما كانت الحكومة الامريكية تتعاون مع الشاه ومع السافاك . ولكن بعد عودة الخميني أصبحت سياستنا الواضحة أن نتعاون مع الحكومة الثورية الاسلامية . لماذا تظنون أننا نتجسس أو نتآمر عليكم ؟

قال : إنها ليست سفارة عادية ، إنها مركز للجاسوسية في منطقة الشرق الأوسط كله . لقد وجدنا وثائق ومستندات لديكم ونحن نعرف عنكم كل شيء .

قلت : إن سياستنا الآن هي التعاون معكم . لقد توصلنا إلى أن ثورتكم وحكومتكم الثورية هي أحسن من يقف في وجه الاستعمار السوفيتي بل خير من حكومة الشاه التي لم تكن تجد لها أية شعبية .

قال أحدهم : لقد استطعتم أن تثيروا الاكراد علينا وتؤلبوا العرب في خوزستان ضدنا . لقد زورتم نقودنا لتدمروا اقتصادنا ، بالاضافة إلى أنكم تقومون بالدعاية ضد الشيعة . إننا نعرف كل هذا . لدينا مستندات .

قلت له : إني لأصدق حتى أرى هذه المستندات . أين هي ؟

قال : إنها بحوزتنا وسننشرها في كتاب . إننا نعلم أن كارتر دعا الشاه اليه في سبتمبر ١٩٧٨ وأكد له أنه سيحميه تماما . وبعدها قتل جنود الشاه المتظاهرين في الشوارع وبلغ عددهم الآلاف . لقد خرج اخواننا في الشوارع وهم يثقون في حكومة كارتر ثم أطلق عليهم النار كالكلاب . إن حقوق الانسان التي تدعيها حكومة كارتر هى مناورة ! ولن نثق بأية حكومة أمريكية بعد الآن .

قلت لأحدهم : ولكن ماذا لو ساعد الروس الايرانيين الشيوعيين ، كما يفعلون في أفغانستان . هل ستستطيعون الوقوف وحدكم أمام الروس ؟

قال : سنقاتلهم في الشوارع كما قاتلنا الشاه وأعوانه . سنضربهم كما ضربنا الشاه . إن ديننا يجعل منا أقوياء ، ونحن لانخاف أحدا .

في نهاية الليلة الثالثة للمناقشات التي لم تنقطع أحسست بأننى في مسيس الحاجة إلى النوم وكادت عيناى تدمعان دماً لشدة الارهاق . ورغم ذلك فلم تغير هذه المناقشات من اقتناعهم بأننا جواسيس ومتآمرون .

وكان لابد لهم أن يؤمنوا بهذا الاحساس حتى يبرروا لانفسهم احتلال السفارة واحتجازنا ..

وأدركت أن كل شيء لن يجدي بعد الآن .. وصمت ، إلى أن حاولوا أهانتي شخصيا . هنا اندفعت أتكلم بلا توقف :

أنتم تقولون ، إننا جميعا مذنبون لاننا نعمل في خدمة الحكومة الامريكية في ايران . ولكني أقول لهم إنه لم يكن لى أية علاقة بالسياسة الامريكية في ايران حتى منذ أسابيع فقط . فكيف تجعلونني مسئولا عما كان يحدث قبل مجيىء ؟

قال أحدهم : أنت تعمل في سفارة ، ليست ككل السفارات ، بل هى مركز تجسس .
قلت : إذا كنتم تظنون أن كل الديبلوماسيين الامريكيين يتجسسون ، فلماذا لاتطردونهم منذ البداية ؟ ولماذا لم ترفضوا قدومي ، ولماذا سمحت لى حكومتكم بالدخول واعطائي التأشيرة ؟

قال : إن أمريكا قوية جدا . وبازرجان يخاف . لكننا الآن نصنع ثورة داخل الثورة .
قلت : ماذا تقول : ثورة داخل الثورة ؟ هل مايزال بازرجان رئيسا للوزارة أم ماذا ؟
قال : بازرجان رجل طيب ، وأردف أحدهم ويسمى (على) ، وهو يتكلم الانجليزية بطلاقة لأنه درس في أمريكا وكان لطيفا وصريحا .

قال : إنه رجل طيب .
وسألته : هل استقالت حكومة بازرجان ؟
قال : إنه رجل طيب . وكان يمكن أن يكون رئيس وزراء ممتاز بعد خمسة أعوام حين تكون ثورتنا قد أرست قواعدها ولكنه اليوم ، مايزال (غير ثوري) بالقدر الذي نحتاج اليه ، وليس بالثورية التي تمكنه من ترك الاساليب القديمة .

تأكدت أن بازرجان لم يعد في الوزارة . وأكد لى (على) أنهم لايحتاجون لرئيس وزارة .

قلت : ولكن كيف تتخذون قراراتكم ؟ من يتكلم ويتعامل بأسم ايران ؟
(كنت في هذا الوقت أفكر في وضعنا الحرج) .
وسألت : ومن يجري المباحثات مع الحكومة الامريكية لاطلاق سراحنا و
قال : لدينا لجنة ، ونحن جميعا نناقش الأمور ونقرر ..

أصابني الفزع .. اذن فلا أمل في نجاتنا الآن ، إذ أنه لايوجد أى مسئول تتفاهم معه الحكومة الامريكية لاطلاق سراحنا .. والامر سيطول ، سيطول .

وبعد أخذ ورد مع (على) قال :
لقد كان لنا أربعة أهداف حين احتللنا السفارة :
(١) أن نصنع الثورة .
(٢) أن نجعل من ثورتنا نموذجا لكل البلاد الاسلامية .
(٣) أن نبين لكل الفقراء في العالم ، في أوروبا وأمريكا ، أهدافنا المباشرة من الثورة ونكسبهم إلى جانبنا ونعلمهم كيف يغيرون العالم .
(٤) أن نكشف للعالم كله ماتفعله أمريكا في دول العالم والعالم الثالث بالذات .

ورغم ذلك فنحن لسنا ضد أبناء الشعب الامريكي . فنحن نحبهم وأنا أعرفهم ، وليس لديهم أية فكرة عما تفعله حكومتهم . إنهم يخدعونهم كما يخدعوننا وذلك لأن الصحافة الأمريكية مراقبه من قبل الصهيونية وجهاز **CIA** .

قلت سائلا (على) : هل تظنون أنه يمكنكم فعلا أن تغيروا السياسة الخارجية لأمريكا ، والعالم كله ؟
قال : لقد استطعنا عن طريق الثورة أن نسمع العالم كله مانريد .
سألته : وهل يعرف الامام شيئا عن مخططاتكم ؟ وعن هجومكم على السفارة ؟
قال : أبدا .. لم نحدث أحدا عن هذا .

قلت له : وماذا كنتم ستفعلون ، لو أننا قاومناكم ؟
قال : كنا ننتظر ذلك : لاشك . ونعترف بأننا فوجئنا بالطريقة السريعة السهلة التي تم فيها الاحتلال . لقد كنا ننتظر المقاومة المسلحة لكننا لم نكن لنخاف أحدا ، فديننا قوى ونحن مؤمنون به .
قلت : وماذا كنتم ستفعلون . لو أن بازرجان منعكم ؟
قال : لم يكن ليستطيع أن يفعل شيئا ، فهو لا يملك الأمر ولا اعطاء الأوامر . وقد حاول منعنا ، لكنه لم يفلح ، فنحن كنا نعلم أن اللجنة الثورية ورجال الدين يقفون إلى جانبنا .
قلت : وماذا لو أن الحماهير لم تساندكم ؟ ولو أن الخميني لم يوافق على خطتكم ؟
قال : كنا نخطط بأن نبقى في السفارة ثلاثة أيام وبعدها ننسحب إذا لم يبارك الامام خطواتنا رسميا . ولهذا كنا سعداء حين أتى ابن الامام الخميني ، وهتفت لنا الجماهير في الشوارع .
وأخيرا سألته وأنا أكاد أقع لشدة الارهاق : هل ستطلقون سراحنا ؟
قال : إن هذا سيتطلب وقتا . ولاتقلقوا على أنفسكم ، فنحن سنهتم بكم صحيا .. إننا متدينون .

كنت أرقب الفتيات اللاتى يعملن نهارا في اعداد الطعام حتى يأتي الطلبة مساء ليجلسوا إلينا. كانت معظم الفتيات في كلية الطب ؟ فكيف يتركن الكلية للخدمة هنا ؟ إنهم يتساوين مع الرجال في الدراسة والخروج ، فكيف يخضعن لاوامر الرجال ويخدمن هنا ولا يبادرن أحدا بأى سؤال أو كلام مهما كان الأمر ؟ بل ويرتدين الشادور ؟!

لم تكن الفتيات يتبادلن معنا الحديث إلا نادرا . ومرة سألتني احداهن : هل تعرف القرآن ؟
قلت لها : لقد قرأته منذ أعوام حين كنت أدرس الفلسفة .
قالت : إن لدينا كتبا يمكن أن تقرأها .
القيت نظرة على عناوين الكتب : الاسلام والاقتصاد الحديث ــ الطريق إلى الاسلام ــ الاسلام والمسيحية ــ الاسلام والعمل لبازرجان .

سألتني ثانية إن كنت أعرف القرآن ، أجبت بالايجاب فسألتني أن كنت مسلما ، نفيت ذلك . أبدت دهشتها مع مرافقتها وتحادثتا بالفارسية ثم فتحتا قاموسا .

قلت : إنى غير مسلم ولكنى أعجب بكثير من الآراء الاسلامية .
سألت : كيف تعرف كتاب الله ولست مسلما ؟

دخل أحدهم الغرفة والقى أمامى بنسخ من بضعة تلغرافات قال إنه سيرسلها للصحافة لنشرها ، وكنت قد أعددتها بنفسى لارسالها إلى واشنطن وكانت عن تبادل طلبة ايرانيين من أتباع الخميني للدراسة في بوسطن مع طلبة أمريكيين للدراسة في قوم .
قال الطالب : إنكم تحاولون تدمير ديننا .
قلت ثائرا : إنكم مجانين . إننى أحاول تقريب وجهات النظر ... بل إن هذا يؤكد أننا مستعدون للتعامل مع الثورة الاسلامية ..

استمر الحوار طويلا طويلا ، إلى أن قال (على) صديقنا ، إنه من الخطأ أن تدور مناقشات «الأخوة» حول الشاه ، فهذا ليس هدف الثورة ، بل إننا ابتدأنا الثورة بابعاده لنؤكد للشعب مانريد ، إلا أن هذا يجب ألا يستمر طويلا . إن لدينا أهدافا أخرى !!

اختفى (على) بعد تلك الليلة ، وكذلك كل طلبة الطب .. وسلمونا إلى أيدى آخرين متعصبين ، لايرحمون ، قساة ، غير متعلمين .. وذقنا الامرين ..

فماذا قال الخميني في مسألة الرهائن :

يقول بيتر شول ــ لاتور بعد سؤاله الخميني عن حالة الرهائن الامريكيين : هذه المرة بدت الحيوية واضحة فجأة على وجهه ، وقال ردا على سؤالي : «لقد أجرم الامريكيون الاستعماريون خمسين عاما كاملة في حق ايران وباعوا الارض ودمروا عادتنا وتقاليدنا . لقد قتلوا شبابنا ، ونفوا رجال الدين عندنا أو سجنوهم أو قتلوهم .

إننا لانعادي الشعب الامريكي ولكن الحكومة الامريكية التي تستمر في قتالنا وتذكى نار الحرب الأهلية في كردستان وخوزاستان .

ولهذا فإني أرى أن عملية الاحتلال السفارة الامريكية في طهران ردا طبيعيا ومقاومة تلقائية وعادلة قام بها شعبنا .

ثم صمت الخميني برهة ، بدا فيها وكأنه غائب . وكان من الصعب سماع ما يقول حين أضاف «إنى أعرف كم هو صعب أن نحقق دولة العدل في بلادنا فقد تهدمت كل أساسيات الاسلام الحقيقي على مدى خمسين عاما» . أعرف أننا سنعاني متاعب كثيرة وأن نجاح محاولتنا للتجديد ليس مضمونا .

منذ القرن الماضي وشعوب العالم الثالث ، بما فيها الشعوب الاسلامية ابتدأت تتعلق بالمدنية الاوروبية بكل أشكالها إن أمكن ، وأصبح مقياس التحضر لدى أى شعب ، هو مدى ملاءمته وتكيفه مع المستحدثات الاوروبية ، وأخلاقيات الاوروبيين .

حتى بلغ الأمر بأحد المستشرقين الالمان وهو «اوغست ديلمان» إلى القول في القرن التاسع عشر : إن الشعوب الاسلامية التي مازالت قائمة محاصرة بالحضارة الاوروبية ، لابد لها وأن تبتلع هذا « السم » الذي يمكن أن يفترس داخلها تماما ..

أما المؤرخ الانجليزي « توماس ماكولي » فلا يستطيع أن يتصور أن أحد الهنود مثلا ، وقد عاش في كنف المدنية الانجليزية ، أن يظل معتنقا الديانة الهندوسية .

لكن الواقع يقول إن هناك بعض حكام الهنود من تعنى اليوجا بالنسبة لهم أكثر بكثير مما يعنى التعليم الاوروبي .

والعالم كله ينظر بعين الدهشة إلى شعوب العالم الاسلامي وبالذات إلى شباب هذه الشعوب ، الذي يمكن أن يلبس الجينز ، لكنه يكره الحضارة الاوروبية ، ويعتبر «الاسلام» مصدر وجوده ، حضارة ومدنية وثقافة وحياة .

والمستشرقون يردون على هذه الدهشة فيقول المستشرق السويسري «ارنولد هوتنجر» : «إن الكيان الاسلامي بكل خصائصه يلعب دوره الكامل في حياة المسلمين وذلك في الأزمات المختلفة . فهو يعتبر : (وضعا دفاعيا)» .
أما في غير الدول الاسلامية فنجد أن ردود الفعل الوقائية مختلفة ، ففي الدول الافريقية غير المسلمة يحتمون بتقاليد قبائلهم ، وفي الدول الاسيوية وامريكا اللاتينية تبدأ الشعوب في اكتشاف تاريخها وحضاراتها القديمة من جديد .

وذلك على عكس مايحدث في الدول الأوروبية ، فإن في بلاد العالم الثالث يكون رد الفعل حيال الازمات ، سواء في الدول الغنية مثل ايران أو الفقيرة مثل مالي وبنجالاديش ، موجها تماما في عداء للتغريب والتمدن الغربي .

وبالتالي فإن هذه الشعوب «المستعمرة» ثقافيا أو حضاريا ، تبحث عن معتقداتها ومقوماتها العقائدية الخاصة ، وتطلق عليها أسماء مركبة مثل : «الاشتراكية الاسيوية» ، أو «الشخصية الافريقية» ، أو «الوجود الاسود» وتأتي حركة التجدبد الاسلامي في هذا الاطار .

ويقول : إنه في كل الاحوال والمسميات ، فإن هذه الشعوب ترفض الرأسمالية كما ترفض الشيوعية ، أو على الاقل ترفضها ظاهريا بوعى أو بدون وعى .

وقد حذر أحد مناهضي العنصرية والمنادين بحق الشعوب في الحياة ، وهو « ستيف بيكو » من جنوب افريقيا ، من قهر التكنولوجيا للانسان ، وكان يسخر بشدة من المجتمع « الابيض » ، ويقول ، إن هذا المجتمع قد بنى أسس حضارته على الكوكاكولا والهامبورجر .. وقد قتل هذا المناضل برصاص البوليس !.

لكن المراقبين الغربين يرون أن مثل هذه الحركات لاتؤتي ثمارها المرجوة ، لانها لاتتفق مع العصر الحالي ، فهى تشكل نوعا من الانعزال في زمن أصبح العالم كله متصلا ببعض اتصالا وثيقا .

ورغم أن هذا التشكيك في قيام الشعوب بالحفاظ على ايديولوجياتها السابقة لايقوم على دليل واضح ، فإنه بدا قويا ولعب دورا في تحديد الرأى العام العالمي تجاه ثورة ايران .

وقد جاء في تقارير المراسلين الالمان :

« إنه من الصعب التصديق بأن الذين اعتادوا سكنى المدن ، وهؤلاء يشكلون حوالي نصف الايرانيين ، يمكن أن يعيشوا حياة تشبه حياة القرون الوسطى أو أنهم على الاقل يريدون حياة في مجتمع تسيطر عليه تعاليم القرآن المتشددة . لأن هذا يعنى ببساطة — كما يتصور المراسلون — أن تغلق المدارس والجامعات التي تدرس موادا عادية ، فهناك الكثير من الجامعات التي تعتبر « غربية أو متغربة » . وتوظيف النساء سيصبح أمرا غير وارد الاحتمال ، وستغلق المطاعم والبارات ، وسيتغير النظام الضرائبي الذي تتبعه الحكومة بحيث يعود ٢٠٪ على الأقل من الدخل إلى الهيئات الاسلامية .

وستمنع بالتالي كل الافلام والبرامج الاجنبية التليفزيونية والسينمائية وكذلك ستصبح الكتابة محظورة على عدد كبير من الكتاب الايرانيين .

لكن مايفزع المراسلين الاجانب ، ليس مما يفزع المسلمين أنفسهم .. فهو فزع بلا معنى ، لأن تطبيق الشريعة هو هدف كل مسلم حقيقي وهو أساس بناء دولة سليمة .

وإذا كان هذا ما اعتبره بعض المراسلين والمحللين السياسيين في الغرب ، « سقوط في هاوية عصور القرون الوسطى » ، فإنها في الواقع لم ترتبط عند الشباب أبدا بهذا الشكل ، بل أن بعض المستشرقين كانوا يعارضون هذا ويجدون في ثورة ايران : « حركة احياء (للقيم الاسلامية) والتعاليم الدينية » .

بل «إن بساطة التعاليم الاسلامية تبدو لهم (عودة) إلى مجتمع أكثر اعتدالا وأقل تعقيدا وأشد نقاء من الناحية السياسية والاقتصادية» .

أما د . ويليام جريفييت ، الاستاذ بمون ماسا شوستس للتكنولوجيا فيقول : «إن حركةالاحياء الاسلامي تعتبر من أهم التطورات الاساسية الدينية والسياسية في العصر الحديث» .

ويقول : «إنها على المدى الطويل ستكون أشد خطورة على الاتحاد السوفيتي نفسه .. بحيث سيصبح عدد المسلمين السوفيت في نهاية هذا القرن أكثر عددا من باقي المواطنين في الاتحاد السوفيتي» ! .

على أن ثورة ايران لم تحدد لها فيما بعد هدفا اسلاميا معروفا رغم أنها قامت في الاصل على أساس اسلامي ، وهذا ماجعل الاقوال فيها تتضارب .

إلا أنه من المؤكد أن الغرب ابتدأ يخشى قوة الاسلام التي تمثلت في هذه الثورة التي ترفض الغرب وتكفّره ، وتجعل من كل حكام العالم ـــ خصوصا غير المسلمين ـــ ديكتاتوريين ظالمين ، يحل قتالهم أو الوقوف في وجوههم على الاقل .

يقول د . برنارد لويس ، المستشرق بجامعة بريستون الامريكية : «إن هجوم المسلمين على السفارات الامريكية في مختلف الدول الاسلامية يعتبر مؤشرا لوجود تيارات دينية مناهضة لحركات التجديد الغربية والحضارة المادية الحديثة السائدة في دول الغرب .

ويقول : «إن هذه التيارات الاسلامية المناهضة للغرب ليست بالظاهرة الجديدة التي تحدث الآن في ايران وغيرها من الدول الاسلامية» .

ومثل هذه الحركات التي يعتبرها الغرب خروجا عن «الحضارة» والتمدن ومواكبة القرن العشرين بكل ثوراته تشكل عاملا هاما في بناء الانسان في العالم الاسلامي بالذات وفي العالم الثالث بصفة عامة . فالمادية أثبتت إفلاسها في الغرب ، ومناداة رئيس أمريكا بالعودة إلى الدين في أواخر القرن العشرين ليس من قبيل الصدفة ولا الاتجار ، والتجاء أعداد هائلة من الشباب إلى «الجورو» الذين ينتشرون في كل انحاء أوروبا وأمريكا ، قادمين من هذه الدول معظمهم من الهند وباكستان والصين ، يدل دلالة واضحة على أن الغرب أفلس بكل ماديته وبكل التكنولوجيا وبكل التقدم العلمي الهائل .. فقد نسى الانسان نفسه !

وهذا مايؤكده بروفسور «ريتشارد فولك» ، من جامعة برينكتون ، للعلاقات الدولية والسياسية حين يقول : «حين يظهر (لنا) الخميني في أشد حالات جنونه ،

يكون في الحقيقة مخاطبا تفكير الانسان الايراني ، ووجدانه ، مما لانفهمه نحن» !!

وفي **تعريف للثورة** يقول علماء الاجتماع والسياسة :

«إن أية ثورة تمثل تحديا للنظام القائم ، سواء على المستوى الاقليمي أو على مستوى العالم» .

وأية ثورة حقيقية تعني هز دعائم المجتمع القديم ، فهي لاتنطوي على اقتلاع النخبة الحاكمة واستبدالها بأخرى وإنما تنطوي أيضا على خلخلة البناء الاجتماعي كله بطبقاته ومؤسساته وأنظمته ، وهي بذلك تخلق سيولة مجتمعية وغليانا جماهيريا لايتوقف تأثيرهما على المجتمع المباشر الذي تقع فيه الثورة وإنما يمتد هذا التأثير إلى المجتمعات المحيطة .

وهذا مافعلته الثورة الفرنسية منذ قرنين ومافعلته الثورة الروسية في أوائل هذا القرن .

ومع كل ثورة حقيقية يكون رد الفعل هو **محاولة اخفائها** ، فإذا لم تفلح ، فمحاولة احتوائها ، فإذا لم تفلح فمحاولة هزيمتها عسكريا في حروب مكشوفة تحت أية ذريعة ، فإذا لم تنتصر .. فقبولها ولو على مضض ..

وهذا **بالضبط** ماواجه الثورة الايرانية .

ويقول د . سعد الدين ابراهيم عن ثورة ايران :

تعتبر ثورة ايران **ظاهرة** تاريخية ومجتمعية واقليمية الخطورة لاعتبارات كثيرة منها :

ــ أنها أول ثورة شعبية ضخمة في الشرق الأوسط في العصر الحديث .

ــ أول ثورة يقودها رجال الدين .

ــ أنها تقع في مجتمع ذى قاعدة سكانية كبيرة تصل إلى ٤٠ مليونا .

ــ أن هذا المجتمع يحتل رقعة جيبوليتكية هامة وهائلة الحساسية لأنه يتاخم الاتحاد السوفيتي ويطل على أهم خليج في العالم في الوقت الراهن ويجاور الوطن العربي .

والاهم من هذا :

ــ أنه يتمركز على بحيرة نفط يتوقف عليها مصير الحضارة الغربية الصناعية المادية .

معايير الثورة الايرانية في تطبيق الاسلام :

يقول بعض الخبراء :

هناك منظوران في تطبيق الاسلام : أحداهما : يرى في الاسلام دنيا للعدالة : السن بالسن والعين بالعين وتحريم قتل النفس التي خلقها الله إلا بالعدل .

ومن هذا المنظور تعد الثورة الايرانية على عقاب كل من ارتكبوا جرائم في حق الشعب أيام الشاه ، وعلى رأسهم الشاه نفسه .
وثانيهما : من يرى في الاسلام دين المغفرة والتسامح والرحمة . وهؤلاء يقفون من الثورة منذ البداية موقف البرود والتخوف وربما العداء سواء مستترا أو ظاهرا ..

والثورة تتطلب من الخميني ، زعيمها ، أن يتعامل مع حركات شتى داخل بلاده التي يريد لها نظاما اسلاميا صارما .

فروسيا تركت بصماتها التوسعية الواضحة منذ القرن التاسع عشر على مناطق ايرانية ، وهى مستعدة دائما للقفز في أى اتجاه متاح . ولذلك فقد كان إلى جانب حزب (**Tudeh**) اليساري ، حركات ثورية مقاومة .
منها : « فدائيين اسلام » وهؤلاء كان يرهبهم النظام الامبراطوري في الخمسينات ثم نشأت حركة : « فدائيين خلق » أى (فدائيو الشعب) وهؤلاء عرفوا بانتمائهم الواضح للماركسية اللينية ، كما عرفوا بمعاداتهم (لفدائيين اسلام) وكذلك للموالين للشيوعية الروسية .

وهناك « مجاهدين خلق » أو (مجاهدوا الشعب) وهم يعتبرون أنفسهم المناضلين الدينيين الحقيقيين المدافعين عن الاسلام ، ولكن هذا كان شكلا فقط فهم في الحقيقة أيضا ثورة اشتراكية متطرفة ، و« مجاهدين خلق » **هم أكثر الحركات تحركاً الآن** ، بعد أن مضى على الثورة الايرانية سنوات ، وأعضاء هذه المنظمة منتشرون في كل مكان ، ويدلون بتصريحات متشددة ، وهم ضد الخميني على طول الخط ..

ولهذا أيضا تواجه الثورة الايرانية الحقيقية التي لاتنتمي لليسار متاعب جمة ، ولذلك يعيب الغرب والشرق عليها أنها ، عنيفة ودموية .

والمعروف أنه في نفس الوقت الذي تم فيه احتلال السفارة الامريكية — ولو ضد رغبة الخميني في أول الأمر — فقد تم ايضا هجوم من قبل الثوار المتطرفين على السفارة البريطانية ، وكانوا على وشك احتلالها وأخذ العاملين فيها ، رهائن .

كما كان هناك أيضا هجوم على السفارة الروسية وتم أحراق الراية الحمراء .

ولما كان لابد للثورة التجاوز عن الخلافات الداخلية التي نشأت بين آيات الله وأولها خلاف آية الله شرعية مداري مع الخميني نفسه ، وتخطى كل العقبات التي تواجهها أمام معارضة بعض المنظمات في مواجهة المواقف العسيرة ، فقد تشددت في موقفها بشأن الرهائن الامريكيين ، وذلك لترغم العالم وعلى رأسه أمريكا ، بالاعتراف

بشرعيتها وبمبادئها في تقصي الحق وانزال العقاب بالمجرم واحلال العدل والسلام كما أمر به الاسلام .

وذلك يفسر موقف الدولة المتشدد من مسألة الرهائن الامريكيين ، الأمر الذي حمل كورت فالدهايم ، السكرتير العام للامم المتحدة للسفر إلى طهران للتوسط من أجل الافراج عن الرهائن ، في الوقت الذي أصرت فيه واشنطن على رفض صيغة المقترحات التي أشار اليها الرئيس الايراني الجديد أبو الحسن بنى صدر كشرط لاطلاق سراح الرهائن وذلك بأنها مذنبة ومشتركة في ارتكاب جرائم في ايران طوال ربع قرن هى مدة حكم الشاه .

لكن صادق قطب زادة وزير الخارجية الايراني ــ آنذاك ــ صرح أن موافقة مايسمى « بالمجلس الثوري الاسلامي » على اقتراح فالدهايم بتشكيل لجنة دولية للتحقيق في فترة حكم الشاه السابق يشكل خطوة أولى نحو انهاء أزمة الرهائن التي كانت قد دخلت عامها الثالث .

« سيناريو » مشكلة الرهائن .. وفشل محاولة انقاذهم :

في يوم ٢٢ /٢/ ١٩٨٠

أكد جودي باول السكرتير الصحفي للرئيس الأمريكي أن أساسا جديدا للمفاوضات بين واشنطن وطهران قد تم ارساؤه رغم العودة إلى التصريحات المتشددة من جانب المسئولين الايرانيين .

وذلك بعد أن أعلن أبو الحسن بنى صدر أن حكومة بلاده مصممة على طلبها الخاص بضرورة اعادة الشاه لمحاكمته في ايران ، وقال في حديث للاذاعة الكندية أن ايران تطالب باستعادة الشاه والثروات التي هربها قبل أن يصبح من الممكن النظر في قضية الرهائن .

وفي جنيف ، أعلن المسئولون بمكتب الأمم المتحدة أن اللجنة الدولية للتحقيق في جرائم الشاه السابق قد تلقت التعليمات لبدء مهمتها وأنها ستغادر جنيف في طريقها إلى طهران ، كما طار إلى جنيف (مارتن ايفالز) السكرتير العام لمنظمة العفو الدولية للادلاء بشهادته أمام لجنة التحقيق في جرائم الشاه فيما يتعلق بانتهاكات حقوق الانسان التي وقعت في عهده .

وبعد خمسة أيام من ذلك التاريخ ، أعلنت الأمم المتحدة أن لجنة التحقيق الدولية الخماسية الخاصة ببحث شكاوي ايران ضد نظام حكم الشاه السابق تواصل عملها في طهران بصورة مرضية .

وفي نفس الوقت ذكرت وكالة يونايتيد برس أن المراسلين الصحفيين الامريكيين يتقدمون الآن بطلبات للعودة إلى ايران ، ووافقت السلطات الايرانية بشرط أن يثبت كل مراسل أنه كان يلتزم من قبل بالموقف الحيادي في رسائله الصحفية .

وذلك في الوقت الذي أذاع فيه راديو طهران ، أن باناما أبدت استعدادها لتسليم الشاه لايران ، إذا تعهدت ايران بألا تعدمه ..

وقال الراديو إن قطب زادة رد على ذلك بقوله : «إن عقوبات أشد من الاعدام سوف تنزل بالشاه السابق» .

وتبدو صورة أخرى من صور «اذلال» أمريكا ، حين صرح الخميني من المستشفى الذي يعالج فيه ، ترك مصير الرهائن للبرلمان المنتخب ، بعد شهر على الأقل .

وفي ذات الوقت رفعت الحكومة الايرانية دعوى أمام المحكمة العليا بولاية مانهاتن الامريكية ضد الأميرة أشرف بهلوي ، تتهمها فيها بنهب ثلاثة مليارات دولار من أموال الدولة ، وجاء في الدعوى أن الأميرة أشرف وشقيقها الشاه السابق اشتركا في تأسيس عدة جمعيات خيرية لم يكن لأى منها أى هدف مشروع !

وفي ابريل من نفس العام ، كتبت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية ، أن حكومة الرئيس كارتر حاولت تدبير انقلاب عسكري في ايران في بداية العام الماضي لمنع سيطرة القوى الموالية للخميني على السلطة . لكن الانقلاب لم ينفذ بسبب الانهيار والتفكك السريعين اللذين لحقا بالقوات المسلحة الايرانية ، ثم عودة الخميني وسيطرته على البلاد ..

وحاولت الدول الغربية حصار الثورة قدر الامكان ، وبنفس السلاح ، فقد فرضت السوق الاوربية المشتركة العقوبات الاقتصادية والسياسية لكن هذا لن يحل المشكلة ، كما أكد آية الله محمد بهشتى ، بل إنه سيؤدي إلى عكس ذلك ، وبالذات إلى عرقلة التوصل إلى أى حل ممكن مع الولايات المتحدة الامريكية .

في نفس الشهر ، في ابريل من عام ١٩٨٠ قامت الولايات المتحدة الامريكية بعملية فاشلة لانقاذ الرهائن ، قال عنها الصحفي الكاتب الالماني «كونسيلمان» : إن

هذه العملية مرغت وجه أمريكا في التراب ، في الوقت الذي أنصفت الخميني في عيون شعبه ، فازدادوا به ايمانا .

وعلقت مجلة نيوزويك الامريكية في يونية نقلا عن مصادر واسعة الاطلاع لوزارة الدفاع الامريكية أن المسئولين كانوا يعلمون مسبقا أن محاولة انقاذ الرهائن الامريكيين في ايران والتي فشلت في ابريل الماضي كانت ستسفر عن عدد من الضحايا حتى في حالة نجاحها الكامل .

وقالت الصحيفة إن تقديرات وزارة الدفاع كانت تشير إلى احتمال وقوع (١٥) من القتلى بين الرهائن على الأقل و٣٠ من أعضاء المجموعة الفدائية المكلفة بتنفيذ المهمة أثناء الانسحاب .

وأوضحت المجلة أنه رغم وجود هذا الاحتمال للخسائر وفشل المهمة فإنه لم يتم تدريب المجموعة الفدائية على عملية الانسحاب بشكل يقلل من الخسائر ، وشككت المجلة في مدى السرية التي أحيطت بها العملية وقالت إنه كان هناك حوالي ألف شخص على مستويات قيادية مختلفة يعلمون مسبقا بالعملية ، مما يكون بعضهم قد سرب أنباء المهمة .

وقالت الصحيفة ، إن الزعم بأنه كان من الضروري زيادة عدد طائرات الهليوكبتر المصاحبة للمجموعة لضمان نجاحها ليس مقنعا ، لأن الأمر كان سيستلزم ارسال طائرة نقل اضافية من طراز سي ـــ ١٣٠ حتى يمكن امدادها بالوقود من الجو .

وفي يوليو أعلن حجة الاسلام حساني ، زعيم «الحزب الاسلامي» الذي يسيطر على البرلمان الايراني أن ٩٩٪ من النواب يفكرون في ضرورة محاكمة الرهائن الامريكيين بأعتبارهم جواسيس .

ونشرت صحيفة «بايام اجلاب» أنه يتعين على البرلمان ألا يناقش قضية الرهائن قبل شهرين نظرا لأن الرئيس كارتر يحاول أن يعاد انتخابه من خلال اطلاق سراح الرهائن .

وأضافت وكالة الاسوشيتيد برس أن الصحف الايرانية تستمر في حملتها من أجل حشد التأييد لمحاكمة الرهائن .

في ١٧ اغسطس من نفس العام (١٩٨٠) ، أكد «جورج هافيز» المتحدث الصحفي باسم الحكومة الامريكية أن الولايات المتحدة قد أرسلت في الاسبوع الماضي

مذكرة رسمية إلى حكومة الرئيس أبو الحسن بني صدر عن طريق السفارة السويسرية تضمنت انذارا غير معلن بأن الولايات المتحدة قد تلجأ إلى استخدام الحل العسكري للمشكلة مرة ثانية إذا مااستمرت الحكومة الايرانية في تجميد الموقف ..

ومن ناحية أخرى ، أصر «جاك اندرسون» ، الصحفي الامريكي في جريدة «واشنطن بوست» على ماتردد على لسانه أول أمس من أن حكومة الرئيس كارتر تقوم بالاستعداد لعملية غزو مسلح لايران في منتصف أكتوبر القادم وذلك بالرغم من التكذيب الرسمي الذي أعلنته أمس المتحدثة باسم البيت الأبيض .

وفي ٢٦ من اغسطس أيضا ، نقلت إحدى الصحف الكويتية أن مسئولا أمريكيا في حكومة كارتر أعلن أن الولايات المتحدة قد توصلت بعد الاتصالات مع حكومة طهران مؤخرا إلى اتخاذ قرار يقضي برفع الحجز عن الودائع الايرانية التي تزيد قيمتها على ٨ آلاف مليون دولار ، مقابل اطلاق سراح الرهائن قبل بدء الانتخابات في نوفمبر القادم ..

وفي ديسمبر ، أعلن «أحمد عزيزي» مساعد رئيس الوزراء الأيراني أن عملية دراسة الايضاحات الامريكية على الشروط الايرانية لاطلاق سراح الرهائن لن يستغرق وقتا طويلا ..

وفي اليوم الثاني ، أعلن هاشمي رافسنجاني ، رئيس البرلمان الايراني أن الايضاحات الامريكية على الشروط الايرانية تعد أكثر وضوحا هذه المرة وقال إن الولايات المتحدة بدأت تسير على طريق الموافقة على الشروط ، وأوضح أنه مازالت هناك بعض النقاط القليلة الغامضة التي تتطلب مناقشة .

كما ذكر «بهزاد نابوى» رئيس اللجنة الوزارية ، المكلفة بمعالجة مسألة الرهائن أن عملية نقل الرهائن إلى مسئولية الحكومة مازالت جارية وأن الأمر يستغرق وقتا طويلا ، لتوزيع الرهائن على مواقع مختلفة داخل ايران .

وفي يناير من عام ١٩٨١

صرح «حسن آيات» عضو اللجنة القيادية لحزب «الجمهورية الاسلامية» الحاكم في ايران وعضو البرلمان الايراني بأن الرد الامريكي المعدل الأخير مع الشروط والمطالب الايرانية لاطلاق سراح الرهائن غير مقبول ، وأن المبلغ الذي تقترح واشنطن ايداعه مقدماً لدى الجزائر كضمان لتنفيذها بقية الشروط أقل بكثير من المبلغ الذي تطلبه .

والمعروف أن واشنطن قد اقترحت ايداع مايتراوح بين ٥ ـــ ٦ مليار دولار لهذا

الغرض بينما تطلب طهران ايداع ٢٤ مليارا .

وقد صرح «عبد الكريم غريب» سفير الجزائر في ايران ، أنه يتوقع أن يأتي الرد الايراني على المقترحات الامريكية الجديدة خلال أيام قليلة . وفي نفس الوقت ذكرت مصادر مسئولة في طهران ، أن الرهائن الثلاثه الذين تم نقلهم من مقر احتجازهم في وزارة الخارجية الايرانية إلى (جهة غير معلومة) قد نقلوا إلى المكان الذي يحتجز فيه بقية الرهائن الاثنين والخمسين .

وبينما أعلنت واشنطن قلقها من نقل هؤلاء الرهائن الثلاثة من العاملين في السفارة الامريكية المحتلة في طهران ـــ إذ كان وجودهم في مبنى وزارة الخارجية يسهل الاتصال بهم بشكل رسمي ـــ ذكر اريك لانجين ، سفير سويسرا في طهران الذي يرعى المصالح الامريكية فيها ، أنه لايعرف شيئا يمكن أن يهدىء به الخارجية الامريكية عن احتمال وجود علاقة بين نقل الرهائن الثلاثة وبين قرب محاكمتهم كجواسيس .

والثلاثة هم : بروس لينجين ، القائم بالأعمال ، وفيكتور تومسيت ، الملحق السياسي بالسفارة ومايكل هولاند ، مسئول الأمن والمنشآت فيها .

وفي ٧ فبراير من عام ١٩٨١ :

ذكرت وكالة الانباء الايرانية أن مقر السفارة الأمريكية في طهران سيسلم إلى صندوق الشهداء الذي يتولى تقديم المساعدات لاسر شهداء الحرب العراقية ـــ الايرانية ..

وفي ١١ فبراير من ذات العام :

من واشنطن صرح المتحدث الرسمي باسم الخارجية الأمريكية بأن حكومة ريجان .. لم تحدد بعد ما إذا كانت جميع التعهدات التي قطعها الرئيس كارتر لاطلاق سراح الرهائن الذين كانوا محتجزين في ايران سوف تكون متمشية مع القوانين الدولية بصورة مقبولة ..

وهكذا ..

مات شاه ايران بعد أن طارده الخميني من بلد إلى بلد .. مهددا جميع الدول التي حاولت السماح له الاقامة فيها ، حتى أمريكا ..

وأزيح الرئيس الأمريكي كارتر جانبا لينتخب الشعب الأمريكي من يستطيع أن يحل مشكلة الرهائن التي وضعها الخميني شوكة في حلق أمريكا ..

وبتدأت الدول تتنافس في تقديم السلاح لايران ، بما فيها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وحتى اسرائيل لتقف في حرب طويلة لايعلم مداها إلا

الله ، مع العراق ..
واحترق الشرق الأوسط كله ..

ويتساءل الخبراء اليوم .. هل نجحت الثورة الايرانية في تحقيق أهدافها ؟؟

المعارضة :

مازالت الثورة الايرانية تلقى معارضة ، سواء داخل ايران ، أو خارجها والمعارضة داخلها ليست بذات بال ، أما خارجها ، فهى موزعة بين أطراف عدة :

(١) كان الجنرال غلام على اوفيسي ، حتى اغتياله في شوارع باريس عام ١٩٨٤ ، يشكل قوة معارضة قوية . وكان دائم الحركة بين باريس ونيويورك وبغداد (كما يشير د . على السمان) . وهو يحرك رجاله الذين يعملون معه على الحدود العراقية — الايرانية .

وكان أوفيسي هو الذي أمر باطلاق الرصاص على المتظاهرين في طهران في سبتمبر ١٩٧٨ ، واقترح على الشاه تدمير مدينة «قم» . وتجمع المصادر على أن الجنرال أوفيسي هو الذي كان وراء محاولة الانقلاب الفاشلة في ١٠ يوليو ١٩٨٠ والتي أدت إلى المحاكمات لكثير من العسكريين واعدام معظمهم .

(٢) الاميرة ازهادة بنت أخت الأميرة أشرف وزوجها الذي قتل في باريس في ٧ ديسمبر ١٩٧٩ لها نشاط ملحوظ في أوروبا وتشجع مجموعة من الضباط متوسطى العمر — والرتب ، تطلق على نفسها اسم : الضباط الأحرار ، وهى مجموعة نشطة وتطبع نشرة أسبوعية تدعى : «ايران الحرة» ، ويوزع منها في ايران سراً حوالي ١٠ آلاف نسخة .

وتختلف الاميرة ازهادة مع أوفيسي في أن الانقلاب لا يأتي من الحدود الايرانية — العراقية مثلا ، بل يجب أن يأتى بتشجيع حركة الضباط في الداخل وأن (الموضوع) يحتاج لكثير من الصبر لتفادي الفشل ، وتعلن أن الملكية وحدها هى التي تستطيع أن تنهي مخاطر الحرب الأهلية .

(٣) البازاريون : وهم التجار الذين تحولوا إلى تيار مناوىء للخميني بعد تأميم التجارة الخارجية .

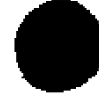
(٤) منظمة «مجاهدين خلق» ولها نشاط ملحوظ في كل العالم وبالذات في أوروبا ، ولها أيضا نشاط دعائي ، وهى منظمة تميل إلى اليسار ! رغم أنها تعتبر نفسها المدافع

الحقيقي عن الاسلام !

(٥) فرح ديبا : وهي تمثل تيارا معتدلاً ينادي بعودة الملكية ، ولكن في شكل ملكية ودستورية تقوم على أسس ديمقراطية .

لكن الملكية سقطت ، والتاج هوى ، والملك القوى الذي طالبت الثورة بحياته ، مات ، مريضا !!

ويبقى أن نتساءل كيف ولماذا غادر الشاه ايران ؟!



لماذا غادر الشاه إيران ؟

يتبادر إلى الذهن أحياناً أن مثل هؤلاء الأباطرة والملوك لا يهزمهم إلا زلزال ، مثلاً ، ولا يسقط عروشهم إلا قنابل «نووية ، ويخطر على بالنا — نحن من أفراد الشعب — أن أحداثاً جسيمة ومحادثات غامضة وعلى مستوى من الضخامة هى التى تحدد المصير .

لكن الذى يحدث أحياناً ، أن « قشة تقصم ظهر البعير » .

فمن كان يصدق أن الذى طمأن الشاه وجعله لا يتخذ أى موقف إيجابى تجاه الأزمة ، هو مجرد أحاديث ودية ورسائل متبادلة بين روزالين زوجة الرئيس السابق كارتر وبين فرح ديبا ، زوجة شاه إيران الذى كانت النيران تندلع من حوله وهو ينتظر أن تطفئها أمريكا ، كما وعد كارتر ، وكما وعدت روزالين !

وكان على ثقة كاملة إلى حد أنه لم يتخذ أى اجراء .

وهذاأيضاً — كما يقول المحلل السياسى ، أستاذ العلوم السياسية بمعهد الدراسات بجامعة جروج واشنطن ، « وليم لويس » ، و « مايكل ليدين » ، رئيس التحرير التنفيذى بمجلة « واشنطن كوارترلى » ، ما شجع الشاه على تحاشى أية معركة يكون من شأنها تأليب القوى المعارضة عليه ، حتى لا يعطى الفرصة لمنتقديه فى واشنطن للدعوة إلى عزله .

ولذلك فقد كان من المشكوك فيه أن يلجأ الشاه إلى أى عمل عسكرى لإنقاذ عرشه ، الأمر الذى كانت تريد الولايات المتحدة الأمريكية أن يقوم به ولكن بدافع منه هو شخصياً وليس ابإيعاز منها . وعلى العكس ، فقد كان الشاه يعتقد أنه إذا كانت هناك مبادرة فلا بد أن تكون من جانب أمريكا لانقاذ الشاه . وكذلك كان رأى الكثيرين من الجنرالات الموالين ولاءاً تاماً لواشنطن .

وقد اعترف الشاه للرئيس السادات ذات مرة ، بعد استقراره فى مصر أن أحد أصدقائه قد نصحه بأن يصدر أوامره إلى سلاح الطيران الإيرانى فيغادر البلاد ويهبط فى بلد صديق ، لعل الشاه يستخدم هذا السلاح القوى ، فيهبط به مرة أخرى فوق العرش ، وقال الشاه : إنها فكرة رائعة ، لولا أنني لا أستطيع أن إصدر أمراً واحداً لسلاح الطيران ، فهو يتلقى أوامره من واشنطن !

وقد حلل **الشاه** بنفسه موقف أمريكا فى كتابه الذى ألفه وهو فى المنفى بعنوان : « **رد على التاريخ** » حين قال :

« أستطيع الآن أن أقول ، أننى قد فهمت الألاعيب التى حيكت ، والخطط التى نفذت منذ وقت طويل .

فمنذ عامين بالتحديد ، أقلقنى سلوك بعض الأمريكيين . كنت واثقاً من أن عدداً منهم يعارض برنامج التسليح ، وأعلنوا على الملأ ، أن الفنيين الذين جاءوا كخبراء ومدربين للأسلحة الحديثة ، يصلحون رهائن للاتحاد السوفيتى ، مما يعني بالنسبة لهم ، ضرورة إلغاء معاهدة التحالف الثنائية التى تربطنا بالولايات المتحدة والتى تحتم عليهم مساعدتنا فى حالة هجوم شيوعى .

ولما أقلقتنى نظرتهم للأمور ، أرسلت للحكومة الأمريكية راجياً تحديد موقفها من المعاهدات القائمة . فجاءنى الرد التالى : « أن الولايات المتحدة تفى دائماً بتعهداتها » .

وبعد بضعة أشهر قابلت صديقى العظيم نيلسون روكفلر ، فسألته : « هل قرر الأمريكيون والروس اقتسام العالم ؟ » .

أجابنى ، بالطبع لا ! ثم أضاف : « فى حدود علمى على الأقل » .

وبعد تفاقم الموقف صعوبة فى سبتمبر ١٩٧٨ جاء إلى سفير أمريكا وبريطانيا ليؤكدا إلى تأييدهما التام .

أما السوفيت فقد كانوا على علم بالموقف . ويبدو أن أحداث إيران قد أقلقتهم بصورة جدية . فجاء إنذارهم للشاه فى شكل مقال فى صحيفة البرافدا فى نهاية نوفمبر : جاء فى المقال : « إن الاتحاد السوفيتى الذى يحتفظ بعلاقة حسن الجوار مع إيران ، يعلن صراحة أنه ضد أى تدخل فى الشئون الداخلية لإيران .

وجاء أيضاً : إن الاضطرابات داخلية بحتة ، والمشاكل المرتبطة بها يجب أن يحلها الإيرانيون بأنفسهم ، وعلى كل الدول أن تتبع المبادىء التى حددها ميثاق الأمم المتحدة ، وعليها أن تحترم سيادة واستقلال إيران والشعب الإيرانى . ويجب أن يكون واضحاً أن كل تدخل ، وبخاصة التدخل العسكرى ، فى شئون إيران ، وهى دولة متاخمة للاتحاد السوفيتى ، سوف يعد مساساً بصالح أمنها .

ثم أعلنت الولايات المتحدة يوم ٧ ديسمبر ، أنها تتدخل فى إيران بأية وسيلة .

ويتابع الشاه فى مذكراته :

« لقد نقل إلى كل مبعوث أمريكى إلى طهران ، نصائح بالاطمئنان والتماسك ، غير أن تشجيعهم كان يتعارض مع مواقفهم . فقد التقيت بالممثل الجديد للمخابرات الأمريكية فى طهران ، ودهشت « لتفاهة » ملاحظاته ، فعندما تكلمنا عن (الحرية) انفجرت أساريره ، ولم يتكلم عن « الأمن » فى هذه المنطقة من العالم » .

وبعد أن أشعل المتظاهرون النيران فى سفارة انجلترا ، قال الملحق العسكرى الانجليزى لأحد الجنرالات الإيرانيين :

« ألم (تفهموا) بعد ، أن الحل ، هو الحل السياسى » ؟

ثم أبلغنى النائب محمد على مسعود فى نهاية ديسمبر ، أن سكرتير أول السفارة الأمريكية قال له :

« سيكون هناك نظام جديد فى إيران ، قريباً » .

ولذلك ، لم تعد تدهشنى المفاجآت المتوالية المتتالية ممن كنا حلفاء مخلصين لهم .

فى نفس الوقت جاء فى أنباء وكالات الأنباء : فى ١٩٧٨/١٢/١٦ :

أكد كارتر تأييده الكامل لشاه إيران وأعرب عن اعتقاده بأنه لن تحدث كارثة فى إيران .

وقال انه أبلغ الرئيس السوفيتى بريجنيف فى رسائل بعث بها إليه مؤخراً أن أمريكا لن تتدخل فى إيران ، وأنه ليست لديه أية نية للسماح لدول أخرى بالتدخل .

وقال كارتر فى حديث أجرته معه « بربارا والترز » لمحطة التليفزيون أى . بى . سى أنه « حسب علمه » فإن السوفيت ليسوا متورطين فى الأحداث التى تقع فى إيران وأضاف أنه تبادل رسائل فى الأسابيع الأخيرة مع المسئولين السوفيت حول الأوضاع الإيرانية .

وسئل كارتر عن الحد الذى يمكن أن يتحول عنده تأييد الولايات المتحدة للشاه إلى عمل إيجابى فأجاب أنه ليس مستعداً للإجابة على هذا السؤال ، وأضاف أنه لا يعتقد أنه ثمة كارثة سوف تحدث فى إيران .

وفى حديث صحفى للشاه مع الكاتب الصحفى ، أنيس منصور جاء تعليقه المرير على ماحدث ، فقال :

« كل الناس كانوا يقولون لى أنه من الأفضل أن أقوم بأجازة .. شهراً أو شهرين ، ولكن السبب هو الجنرال (هويزر) الذى جاء قبل خروجى ، ولم يشأ أن يتصل بى كما هى العادة وقد أعد كل شيء ليدفعنى إلى الخروج .. فلولا هذا الرجل بالذات ، ما كان قد حدث شيء » .

ويقول الشاه فى مذكراته ؟ : « رد على التاريخ » :

« لقد مكث هويزر عدة أيام فى طهران بعد رحيلى ، فماذا حدث ؟

كل ما أستطيع أن أقوله ، أنه فى خضم المحاكمات الثورية ــ أعلن « ربيعى » ، قائد عام الطيران الايراني :

« إن الجنرال هويزر ألقى بالملك خارج البلاد ، كفأر ميت ! »

أما زيارة الجنرال هويزر نفسه إلى طهران ، فلم يعلم بها حتى الملك نفسه مما جعله يندهش ويبدى هذا واضحاً فى مذكراته إلى حد أنه يتسائل مذهولاً ، « أن هويزر ليس بالشخصية المغمورة التى لا يحسب حساب لقدومها وذهابها » .

« ولما سألت جنرالات عن سبب الزيارة ، بعد أن علمت بها ، أجابو بجهلهم بأمرها » .

ويضيف الشاه :

لقد كان وجوده مريباً ومخالفاً للمألوف . ولما افتضح وجوده ، كتبت الصحف الروسية تقول ، أنه يدبر انقلاباً عسكرياً ، وكان هذا بمثابة تحذير من الكرملن . بينما حاول المسئولون الأمريكيون الدفاع عن وجوده ، بأنه يحاول « منع » انقلاب عسكرى .

ويتساءل الشاه :

« هل كان هذا صحيحاً ؟ لا أعتقد ! لأن جنودى متمسكون إلى أبعد الحدود بعهدهم وإخلاصهم للتاج والدستور . لكن المخابرات الأمريكية كانت لديها من الأسباب القوية ما جعلها تشيع أن الدستور قد أسيء تطبيقه .

لأنهم كانوا فى الواقع يهدفون إلى « تحييد » الجيش الإيرانى . ووضح أن هذا هو سبب

مجيء هويزر إلى إيران ، الذى لم أره إلا مرة واحدة وبرفقة السفير الأمريكى « سوليفان » ، وانحصر اهتمام كليهما فى معرفة يوم وساعة مغادرتى لطهران .

وقد أبلغنى فيما بعد الجنرال « غارا ـــ باغى » ، القائد الأعلى ، أن الجنرال هويزر عرض عليه أمراً مذهلاً ، هو أن يدبر لقاء مع « بازرجان » !

فمن هو « هويزر » هذا الذى يرجع إليه الشاه سبب كارثة خروجه من إيران ؟

الحل الأمريكي وإيفاد الجنرال هويزر :

كان الكثيرون فى واشنطن ، أمثال « فانسى » ، يعتقدون فى إمكانية نجاح حكومة مدنية تلقى مساندة العسكريين ، لأن الشاه فى اعتقادهم ، لم يعد أهلاً للثقة وأنه أصبح فى واقع الأمر السبب الرئيسى لحدوث الاضطرابات .

وكان من رأيهم أنه كلما طال أمد بقاء الشاه ، أصبحت الأزمة أكثر خطورة .

ولذلك كان من الضرورى ، كما أوضحت ، وزارة الخارجية الأمريكية فى أوائل نوفمبر .

تقرير وكيل وزير الخارجية الأمريكية :

كان جورج بول يشغل منصب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للرئيس كارتر . وجورج بول مؤلف لعدد من الكتب عن الشئون الدولية ، وقد أعد تقريراً خاصاً بتكليف من الرئيس كارتر ، وذلك في زمن قياسي (أقل من أسبوعين) ، وتوصل فيه إلى استنتاجات رئيسية فيما يتعلق بإيران ، وجاء فيه : أن سقوط الشاه أمر حتمي ، وأن على الحكومة الأمريكية أن تقوم «بنقل السلطة» بأقصى سرعة ، وذلك بتشكيل «مجلس أعيان» اعتماداً على دستور ١٩٠٦ .

وكان يعتقد أن الأشخاص الوحيدين في البلاد الذين يملكون تجربة سياسية كافية وسمعة طيبة تكفي لتشكيل حكومة فعالة هم أولئك الساسة الذين عاصروا عهد الدكتور محمد مصدق ، لكن معظمهم في السبعينات والثمانينات من أعمارهم . لكن «جورج بول» وجدها آخر فرصة طيبة متاحة لأمريكا .

لكن اقتراحه رفض وذلك حتى قبل أن يصل إلى الصحافة . وكان رد إيران فورياً ، فقد سألت عما إذا كان هذا أيضاً رأي الحكومة ! لكن السفير لم يكن يستطيع تقديم معلومات مؤكدة للشاه ، فالسفارة ببساطة لم تكن مشتركة في هذا المشروع على

الاطلاق .

وقد بنى بول توصياته على أساس أن :

«الشاه شيطان نعرفه ، بينما لا نعرف الشيطان الذي سيخلفه» .

إلا أن الأمر الذي أجمع عليه كل الساسة والمراقبين الامريكيين هو :

حتمية سقوط الشاه ، وذلك بداية من النصف الأول من شهر ديسمبر ١٩٧٨ ولكن سقوطه وتكاليف التخلي عن الشاه عالية جداً ، ولذلك فعلى الحكومة أن تكون واثقة كل الثقة قبل الاقدام على هذه الخطوة .

علاوة على أن أمريكا لم تكن واثقة من «مجلس الأعيان» وعما إذا كان كبلى الحكومة أن تكون واثقة كل الثقة قبل الاقدام على هذه الخطوة .

وبذلك برهنت تجربة مقترحات جورج بول في أوضح صورة ، أن حكومة كارتر **ليست لها** « **سياسة** » واضحة في إيران بعد ثلاثةِ أشهر من يوم الجمعة (الاسود) ، وإذا كان اقتراح بول قد قوبل بالرفض ، فلا بد اذن من وضع « سياسة » تجاه هذه الازمة .

المقامرة الامريكية :

اتجهت الآراء كلها إلى ايفاد ممثل خاص للرئيس الامريكي لابلاغ الشاه بموقف الولايات المتحدة الامريكية بعبارات واضحة . فحتى ذلك التاريخ ، كان الشاه قد وجد أنه من المستحيل الحصول على تأكيد من سوليفان ، السفير الامريكي ، لما كان يقوله بريجنسكي عن طريق التليفون .

واقترح « شليزنجر » وزير الطاقة الامريكي أن يكون هذا الشخص له مكانته وعلاقاته الوثيقة بكلا الجانبين حتى لايشك الشاه في صحة مايبلغ به . وكان « شليزنجر » يعتقد أن الشاه سوف يختار في نهاية الأمر الدفاع عن نفسه ضد أعدائه وأنه سيستخدم القنوة !

ورغم أن « هنري كيسنجر » اعترف بأن هذه الاستراتيجية قد تفشل ، غير أنها في جميع الاحوال ستجعل الموقف واضحا أمام الشاه وسوف تتيح له حرية الاحتيار .

وقد أبدت امريكا استعدادها للمقامرة حين قررت ابلاغ الشاه أنها تستطيع الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة على مقربة من سواحل المنطقة لردع أى تدخل أجنبي في حالة

انفجار الصراع في ايران . ورغم أن هذه السياسة ليست « شائعة » في البيت الابيض لكن « شليزنجر » أوضح أن المخاطر شديدة جداً وأن الامر لايتعلق فقط بمصالح أمريكا بل بمصالح الغرب الصناعي كله ، ولذلك فإن على الحكومة الامريكية أن تقامر ، فإذا فازت ، كان المكسب هائلا !

وفكرة إيفاد مبعوث خاص للشاه لم يكن فكرة جديدة ، بل إن « بريجنسكي » كان قد اقترحها على الرئيس الامريكي كارتر ، وتم الاعداد لها في نوفمبر .



تقرير وكيل وزير الخارجية الامريكية :

كان جورج بول يشغل منصب وكيل وزارة الخارجية الامريكية للرئيس كارتر . وجورج بول مؤلف لعدد من الكتب عن الشئون الدولية ، وقد أعد تقريراً خاصاً بتكليف من الرئيس كارتر ، وذلك في زمن قياسي (أقل من أسبوعين) ، وتوصل فيه إلى استنتاجات رئيسية فيما يتعلق بإيران ، وجاء فيه : أن سقوط الشاه أمر حتمي ، وأن على الحكومة الامريكية أن تقوم « بنقل السلطة » بأقصى سرعة ، وذلك بتشكيل « مجلس أعيان » اعتماداً على دستور ١٩٠٦ .

وكان يعتقد أن الاشخاص الوحيدين في البلاد الذين يملكون تجربة سياسية كافية وسمعة طيبة تكفي لتشكيل حكومة فعالة هم أولئك الساسة الذين عاصروا عهد الدكتور محمد مصدق ، لكن معظمهم في السبعينات والثمانينات من أعمارهم . إلا أن « جورج بول » وجدها آخر فرصة طيبة متاح لامريكا .

لكن اقتراحه رفض حتى قبل أن يصل إلى الصحافة . وكان رد إيران فورياً ، فقد سألت عما إذا كان هذا أيضاً رأى الحكومة ! لكن السفير لم يكن يستطيع تقديم معلومات مؤكدة للشاه ، فالسفارة ببساطة لم تكن مشتركة في هذا المشروع على الإطلاق .

وقد بنى بول توصياته على أساس أن :

« الشاه شيطان نعرفه ، بينما لا نعرف الشيطان الذى سيخلفه » .

إلا أن الأمر الذى أجمع عليه كل الساسة والمراقبين الأمريكيين هو : **حتمية سقوط الشاه** ، وذلك بداية من النصف الأول من شهر ديسمبر ١٩٧٨ ولكن سقوطه وتكاليف التخلي عن الشاه عالية جداً ، ولذلك فعلى الحكومة أن تكون واثقة كل الثقة قبل الإقدام على هذه الخطوة .

علاوة على أن أمريكا لم تكن واثقة من « مجلس الأعيان » وعما إذا كان كبار السن سيقبلون الآن تشكيل حكومة إذا طلب منهم ذلك ، فقد كان الجميع يعرفون — وكذلك أمريكا — أن الخمينى كان يعطى لنفسه حق الاعتراض على أية حكومة فى الوقت الحاضر !

وبذلك برهنت تجربة مقترحات جورج بول فى أوضح صورة ، أن حكومة

كارتر ليست لها « سياسة » واضحة فى إيران بعد ثلاثة أشهر من يوم الجمعة (الاسود) ، وإذا كان اقتراح بول قد قوبل بالرفض ، فلا بد إذن من وضع « سياسة » تجاه هذه الأزمة .

المقامرة الأمريكية :

اتجهت الآراء كلها إلى إيفاد ممثل خاص للرئيس الأمريكى لإبلاغ الشاه بموقف الولايات المتحدة بعبارات واضحة . فحتى ذلك التاريخ ، كان الشاه قد وجد أنه من المستحيل الحصول على تأكيد من سوليفان ، السفير الأمريكى ، لما كان يقوله بريجنسكى عن طريق التليفون .

واقترح « شليزنجر » وزير الطاقة الأمريكى أن يكون هذا الشخص له مكانته وعلاقاته الوثيقة بكلا الجانبين حتى لا يشك الشاه فى صحة ما يبلغ به . وكان « شليزنجر » يعتقد أن الشاه سوف يختار فى نهاية الأمر الدفاع عن نفسه ضد أعدائه وأنه سيستخدم القوة !

ورغم أن « هنرى كيسنجر » اعترف بأن هذه الاستراتيجية قد تفشل ، غير أنها فى جميع الأحوال ستجعل الموقف واضحاً أمام الشاه وسوف تتيح له حرية الاختيار .

وقد أبدت أمريكا استعدادها للمقامرة حين قررت إبلاغ الشاه أنها تستطيع الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة على مقربة من سواحل المنطقة لردع أى تدخل أجنبى فى حالة انفجار الصارع فى إيران . ورغم أن هذه السياسة ليست « شائعة » فى البيت الأبيض لكن « شليزنجر » أوضح أن المخاطر شديدة جداً وأن الأمر لا يتعلق فقط بمصالح أمريكا بل بمصالح الغرب الصناعى كله ، ولذلك فإن على الحكومة الأمريكية أن تقامر ، فإذا فازت ، كان المكسب هائلاً !

وفكرة إيفاد مبعوث خاص للشاه لم يكن فكرة جديدة ، بل أن « بريجنسكى » كان قد اقترحها على الرئيس الأمريكى كارتر ، وتم الاعداد لها فى نوفمبر .

لكن الذى حدث ، أن المبعوث كان « روبرت بيرد » ، زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ ، وكان زوج ابنته إيرانياً ، وله اتصالات عديدة فى إيران .

وعندما وصل « بيرد » إلى طهران ، فضل أن يقابل أفراد أسرته ، أو بالأحرى أسرة ابنته ، قبل أن يقابل الشاه .

وناقش أحوال الأزمة الإيرانية مع المقربين إليه ومع أنسبائه ، واقتنع بأن الموقف أخطر بكثير مما يعرفونه فى واشنطن ، أو مما حاولوا اقناعه به ، وبأنه لا توجد فى أحسن الأحوال سوى إمكانية ضئيلة لسيطرة الشاه على الموقف حتى لو كان مستعداً تماماً للمواجهة . وبعد لقائه مع الشاه ، عاد إلى واشنطن وهو أكثر اقتناعاً بأن الملك لا يريد إجراء عمليات قوية أو مواجهات مسلحة .

وكان اقتراح « شليزنجر » هذه المرة إيفاد « بريجنسكى » نفسه ، لأنه كان على اتصال « بزاهيدى » وتحدث أكثر من مرة مع الشاه ، تليفونياً ، كما أنه يملك الحماس وقوة الاقناع ، وهذا ما تحتاجه هذه المهمة ثم أن « لبريجنسكى » ، مركزاً مستولاً لا يشك فيه الشاه ، لكن بريجنسكى ، رفض ، لأنه يعرف أن أية محاولة لاقناع الشاه باستعمال القوة ، ستبوء بالفشل ، علاوة على أن بريجنسكى نفسه معروف بأنه الشخصية المتشددة فى حكومة كارتر ، ويوصف « بالصقر الأمريكى » .

وكان « بريجنسكى » قد أعاق برقية وزارة الخارجية الداعية إلى إنهاء حكم الشاه فى نوفمبر ، مما يجعله يخشى الآن ، إذا اتخذ موقفاً شديد الصراحة والوضوح أن يحبط خبراء الشئون الإيرانية فى الخارجية الأمريكية ، كل مقتراحاته ومجهوداته !

وكل ما كان يريده الآن ، إبلاغ الشاه عن طريق مندوب عن الحكومة الأمريكية مساندة الولايات المتحدة الأمريكية ، مما يدفع الشاه إلى اتخاذ قرار المواجهة المسلحة وهذا ما يجعل المسئولية تقع على عاتقه هو !

ولذلك اقترح « بريجنسكى » أن يكون المبعوث الرسمى هو « شليزنجر » !!

والمعروف أن الرئيس كارتر ، كان يستمع إلى جميع وجهات النظر وينصت إليها بانتباه ، ثم يخلوا إلى نفسه ومعه واحد أو اثنان من المقربين جداً إلى شخصه ثم يعلن قراره . ولم يعرف أحد ، إلى أن اختلى هذه المرة ، حتى قرر هذه الرحلة الصعبة والتى سميت « بالرحلة المشئومة » وأوفد فيها جنرال السلاح الجوى ، **روبرت هوزر** ، بدلاً من بريجنسكى وسلينزنجر . وإن كان الكثيرون يعتقدون أنه اختلى بسيروس فانس ، وزير الخارجية ، وهارولد براون ، وزير الدفاع وديفيد جونز ، رئيس أركان الحرب المشتركة .

لكنه من المؤكد ، أنه مع حلول منتصف شهر ديسمبر ، كانت الحكومة الأمريكية بكل هيئاتها متفقة على أن العسكريين الإيرانيين هم مفتاح الموقف ، وأنه يجب

المحافظة عليهم بعيداً عن الصراعات إذا تطور الموقف ، والاحتفاظ بهم لحين ساعة التصرف سواء باستعمال القوة ، أو بالتعاون السياسى . ولم يكن الرئيس كارتر يميل إلى أى حل يقترح استخدام القوة ، ولم يكن يحب أن تظهر أمريكا كما لو أنها تريد الحل العسكرى ، ورغم ذلك أرسل « هويزر » الذى كان يقيم فى مركز قيادة حلف الأطلنطى فى شتوتجارت بألمانيا الغربية ، إلى طهران .

لكنه ، فى الوقت الذى توجه فيه هويزر إلى طهران ، كان الشاه قد قرر مغادرة البلاد بعد أن سمع من السفير الأمريكى ، سوليفان ، أن واشنطن (تشعر) أنه يكون من الأفضل له أن يتنحى !

وهذا فقد جاء الأمر سريعاً إلى هويزر ، بأن (يأمر) الجنرالات الإيرانيين بالوقوف بحزم وراء بختيار ، الذى اختاره الشاه ليكون رئيس الحكومة ، (ريثما يعود) ، كما صدرت التعليمات لهويزر بأن يؤكد على رغبة الأميريكيين فى إيجاد حل (سلمى) للأزمة وفى نجاح حكومة بختيار .

ولهذا كله ، لم يكن هويزر بالشخص المناسب !! فقد كان فى ذلك الوقت يشغل منصب نائب قائد القوات العسكرية الأمريكية فى أوربا . وقد قام برحلات عديدة إلى إيران ليبحث الخطط (العسكرية) بوجه عام فى حالات الطوارىء ولدراسة وسائل التعاون بين إيران وقوات حلف الأطلنطى فى حالة الأزمات .

لكنه لم يكن لديه معلومات عامة عن المجتمع الإيرانى ولم يكن يعرف اللغة الفارسية ، بل لم تكن تربط علاقات حميمة مع كبار الجنرالات الإيرانية ، وليس على علم بتفاصيل الأزمة الإيرانية !

باختصار ، كان رجلاً عسكرياً أكثر منه سياسياً !

وأكثر من ذلك ، فهو لم يكن متحمساً لهذه المهمة ، عدا أن التعليمات الصادرة إليه كانت غامضة !

ووصل طهران فى يوم ٣ يناير عام ١٩٧٩ وقضى هناك ما وصف رسمياً « بمهمة الأيام الثلاثة » .

استشاط « الكسندر هيج » غيظاً ، وكان هو قائد قوات حلف الأطنطى ، أى أنه كان الرئيس المباشر لهويزر .

وكان هناك اثنان من كبار المسئولين الأمريكيين الذين عارضا مهمة هويزر أحدهما كان « هيج » والثانى كان « سوليفان » .

أما هيج فقد اشتكى من أن نائبه قد « انتزع » منه من أجل عملية فاشلة ، وبدون علمه ! وحذر من أنه الرجل غير المناسب لمثل هذه الظروف ، التى تتطلب رجلاً يتمتع بمهارة سياسية كبيرة . وحذر أيضاً من أن أية محاولة للمحافظة على تماسك العسكريين الإيرانيين خلال تتابع الحكومات لن تؤدى إلا إلى تحطيم معنويات الجنرالات وتفكيك القوات المسلحة الإيرانية .

وفى النهاية قال أنه عندما تكون المواجهة مع قوات معادية ثورية فإن الواجب الأول هو فرض النظام . ورغم اعتراضاته القوية وطلبه الخاص بإلغاء مهمة هويزر إلا أن طلبه قوبل بالرفض .

أما الرجل الثانى الذى استاء من مهمة هويزر فهو ، سوليفان السفير الأمريكى بطهران . الذى كان قد اتفق مع فانس بمحاولة أبعاد العسكريين عن الصراعات ، لكنهم يجب أن يحصلوا على ضمانات كافية حتى لا يهر [illegible] ، وقال سوليفان أن ذلك يعنى أن الأمريكيين يجب أن يتوصلوا إلى اتفاق مع الخمينى ، ووافق فانس ، واقترح إرسال مبعوث (للخمينى) ووقع الاختيار على تيودور اليوت ، المفتش العام للسلك الخارجى ووافق اليوت ، وبعد أن تمت كل الترتيبات ، ألغيت المهمة السرية فى آخر لحظة وذلك بعد حديث طويل بين كارتر وبريجنسكى .

هويزر يهدد (بقطع أرجل) الجنرالات :

كانت التعليمات قد قضت أن يقدم هويزر تقريراً يومياً عن طريق تليفون سرى يتصل بالبنتاجون ، حيث يتلقى الجنرال جونز ، رئيس الأركان المشتركة المكالمة ومعه براون وزير الدفاع ، أو دنكان ، نائب الوزير للاستماع إلى المكالمة ، ويتم تسجيل المحادثات لترسل مباشرة إلى بريجنسكى ومنه إلى كارتر .

وغادر الشاه إيران فى يوم ١٦ يناير واحتشد الجنرالات ــ شكلاً على الأقل ــ وراء بختيار ، الذى كان فى قلق دائم خوفاً من وقوع انقلاب عسكرى ، رغم أنه قد أبلغ أن هويزر قد أخذ على عاتقه منع حدوث أى انقلاب .

وقد حذر هويزر الجنرالات أكثر من مرة ، من أن أية محاولة لتدبير انقلاب ،

« سوف تدفع الولايات المتحدة إلى قطع أرجلهم » !

وأصيب الجنرالات الإيرانيون بالحيرة ، فهم لم يفهموا مهمة هويزر بوضوح . لأنهم ظنوا فى البداية أن أمريكا لديها خطة لا يستطيع هويزر الافصاح عنها ، لكن العلاقات بصورة عامة بين هويزر وبين الجنرالات لم تكن طيبة ، فالتفاهم كان شبه معدوم ، والترجمة هى أساس الحوار ، عدا أنه لم تكن تربطه بأى منهم رابطة شخصية ، تلك الرابطة التى تتحقق الثقة ، كما يحدث فى جميع دول العالم .

ومن بين الجنرالات الذين أجرى معهم هويزر اتصالات منتظمة ، رئيس السافاك ، و (خسروداد) قائد قوات المظلات ، وأوفيس قائد القوات البرية . وكان عدد كبير من هؤلاء الجنرالات يعتقدون أن زمام الموقف قد أفلت تماماً . وكان الجنرال « ربيعى » يعلم أن السلاح الجوى يتفكك ، كما كان يخشى بالفعل أن يكون بعض كبار مساعديه قد انتقل بالفعل إلى معسكر القادة الدينين ، وقد اعتقد الكثيرون أن الجنرال غارار ـــ باغى قد عقد صفقة أيضاً مع رجال الدين . وغارا ـــ باغى كان موضع تأييد وثقة كبيرين من جانب فاردست ، صديق الشاه الحميم .

وقد نجا كل من فاردستا وغارا ـــ باغى من عمليات التطهير التى تمت فى الشهور الأولى من عودة الخمينى ، وتولى فاردست رئاسة تنظيم المخابرات الجديد الذى سُمى (سافاما) .

وقد سرى الانهيار أيضاً فى صفوف الحرس الامبراطورى ، خصوصاً بعد مغادرة الشاه .

هويزر يضلل وسوليفان يقول الحقيقة :

كانت تقارير هويزر فى جملتها مضلة مضللة .. لأنه كان يعتمد فى معلوماتة على ما يقدمه له بعض الجنرالات ، الذين لم يكونوا يرغبون فى إزعاجه وإثارته ولذلك فإنهم كانوا يقدمون له ما يطمئنه ، وأبلغوه أن بختيار يملك زمام الموقف ويستطيع السيطرة عليه فى حال وقوع أية أزمة . وحتى حين عاد بنفسه إلى واشنطن يوم الأحد ٤ فبراير وقدم تقريراً إلى الرئيس بأن كل شىء يسير سيراً حسناً .. وبأنه لا يوجد أى مبرر لاتخاذ أى فعل عنيف وقال أنه ، من غير شك يوجد فوضى فى الشوارع ، لكن أية خطوة ضد الحكومة أو العسكريين على السواء ، ستقود إلى رد فعل فورى غير مأمون .

أما « سوليفان » فقد كان على علم بكل شيء . وكان يعرف تماماً أن حالات الهروب من الجيش تنتشر بين الجنود وأن بختيار لا يتمتع إلا بتأييد فئة هزيلة من السكان . أما معظم الجماهير فقد كانت تؤيد الخميني ، فى نفس الوقت الذى يتلاشى احترامها للعسكريين وخوفها منهم .

ورغم وضوح رسالة السفير فإن الساسة فى واشنطن لم يكونوا على استعداد لسماعها ولا تصديقها ، لأنهم اعتقدوا أنهم ملكوا قمة الأشخاص الذين يحتلون مراكز السلطة الحقيقية بين الجنرالات ، وكان سوليفان قد اعتاد دائماً على تهوين وتقليل شأن الزعماء الدينيين فى الربيع والصيف ..

فما الذى حدث لسوليفان حتى يغير رأيه ؟

أما الحكومة نفسها فكانت مستعدة لأى إجراء ولو عسكرى ، وقيل أيضاً : أن « شبكة الأمان » العسكرية جاهزة . لكن شبكة الأمان هذه كانت وهمية !

وحين اتضحت الأمور قليلاً ، تأكدت صحة تنبؤات « سوليفان وهيج » فقد أدى الجمود المفروض بالإضافة إلى الموقف السياسى الذى يتآكل باطراد وتصاعد الاضطرابات الدينية فى الشوارع إلى تفسخ القوات المسلحة .

ورغم ذلك ، فقد ظل البيت الأبيض يؤكد لنفسه أن هناك سيطرة على الموقف ، وأن بختيار سيبقى .

وصدق ظن الجنرالات الإيرانيين ، فمع رحيل هويزر من إيران ، فقد العسكريون الأمل ، خصوصاً حين تعاملوا مع « جاست » الذى كان مع هويزر فى إيران أثناء اتصالاته السابقة .

وثبت فى ظن الإيرانيين أن « جاست » يفتقر إلى الشجاعة ، وذلك نتيجة ما تردد من أنه فقد أعصابه أثناء هجوم على مبنى القائد الأعلى للأركان فى شهر فبراير كما فقد أعصابه مرة أخرى أثناء الهجوم على السفارة الأمريكية فى ١١ فبراير ثم أنه لم يقدم ضماناً بأنهم سيكونون موضع حماية من الأمريكيين ، وثبت أن تقييمهم للأمور كان أصوب ، فمن بين الجنرالات الذين تعاملوا بانتظام مع هويزر وجاست بقى أربعة فقط على قيد الحياة .

فقد قام أحدهم وهو غارا ــ باغى بترتيب مكانه مع قادة رجال الدين ونجا

خلال الموجة الأولى للتطهير التى قام بها خمينى ، حين أن مكانه لم يكن معروفاً ، وقصة غارا ــ باغى ، سنعود إليها ثانية ، لأنها سترد أكثر من مرة على لسان أخت الشاه أشرف بهلوى ، وهى تحمله وتحمّل فرح ديبا ما قاساه أخوها فى أيامه الأخيرة .

أما الجنرالات الثلاثة الآخرون ، فهم طوفانيان الذى اختفى فى مكان سرى ، وعاش فوق أسطح المنازل ، حتى تمكن من الهرب ، وكذلك فعل حبيب الله والجنرال أوفيسى !

معنى فشل الحل الأمريكى :

يقول « وليام لويس » ، استاذ العلوم السياسية بجامعة جورج واشنطن أن المعنى لسقوط الشاه وعجز الإدارة الأمريكية عن حمايته سيظل لسنوات طويلة مجهولاً . لكن الآثار « الجيو ــ بوليتيكية » ابتدأت تتضح :

أولها فقد إيران كحليف ممتاز للغرب وهذا ما جعل السوفيت يعيد حساباته ويدرس التكاليف المحتملة فى غزوه لأفغانستان .

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية ابتدأت تراجع سياستها فى الشرق الأوسط ، وبالذات فى منطقة الخليج العربى . علاوة على ذلك فإن الأزمة الإيرانية ، وسقوط هذا العدد الكبير من الإيرانيين قتلى ، وقضية الرهائن الشهيرة تدعم كثيراً من قوة الحركة الإسلامية التى ابتدأت تنتشر ، خصوصاً وأنها تعتبر أمريكا ، عدوها !

وهذا كله يستتبع أمراً خطيراً ومهماً هو : التغير فى مفهوم الولايات المتحدة الأمريكية .

فالشاه ، كحليف لأمريكا ، كان يعتقد ، مثل غيره من المراقبين ، أن أمريكا لن تسمح للأحداث ــ ببساطة ــ أن يفلت منها زمامها دون أن تحاول التأثير عليها .

لكنه تأكد فى النهاية أن حكومة كارتر **لم تضع أية سياسة** على الإطلاق ، ولم تحدد أهدافاً أو تكتيكات مدروسة ، مما اضطر دارسوا الشئون الدولية إلى إعادة تقييم وجهة نظرهم بالنسبة للقوة الحقيقية للحكومة الأمريكية .

فإذا كانت الحكومة الأمريكية لم تتحرك إزاء الأزمة الإيرانية الرهيبة ، فمتى يمكن أن تتحرك ؟

وإذا كانت لم تساند أقوى حليف مخلص لها ، فمن يمكن أن تساند ؟؟ فوق ذلك كله ، لم يحدث أن نظر خبراء وزارة الخارجية الأمريكية أبداً إلى حركة الخميني باعتبارها « شيئاً معادياً »، رغم احتقار الخميني لأمريكا وعدم تقديره للنظريات الأمريكية فيما يتعلق بحقوق الإنسان ، هذه الحقوق التى كان يتذرع بها المدافعون عنا فى وزارة الخارجية ويبررون بها عدم التحرك الجاد تجاه الأزمة .

بل أنه أيضاً كانت لا تزال هناك دعوات لإقامة علاقات طبيعية مع الخميني ، واستئناف برامج المساعدة العسكرية وإيفاد ممثل خاص إلى مدينة « قم » المقدسة .

أما الذين يرفضون أراء دعاة حقوق الإنسان فى الجانب الأمريكى ، ومنهم « بريجنسكى » فلم يقدموا مبادرة جدية تصلح للمناقشة ، ولم يقدم هو نفسه أى بديل عملى ، بل أشار إلى أن الشاه هو المشكلة الحقيقية وأن مجرد تنحيته سوف ينهى الأزمة .

وهذه الإشارات الغامضة من واشنطن كانت كفيلة من الناحية العلمية بأن تجعل الشاه يبقى حائراً وجامداً ، وعاجزاً عن معرفة ما يريده الأمريكيون .

صحيح أنه كان فى واشنطن من يأمل أن يفعل « الشاه » شيئاً ما !!، فى نهاية الأمر ، ولكن فى غياب إشارة واضحة من البيت بالتحرك ، كان من الصعب أن يتوقع المرء من رجل اشتهر بعدم قدرته على الحسم وبتفاقم متاعبه الصحية والنفسية ، أن يلعب دور البطل .!

أما النتائج المترتبة على هذه المأساة فهو أن « هويزر » ، الرجل الثانى فى حلف الأطلنطى وجد نفسه فى موقف صعب ، كان من شأنه أن يستنزف مهارات أقدر الدبلوماسيين وأكثرهم خبرة ، والمفاجأة الحقيقية كانت فى تكليفه هو شخصياً بهذه المهمة الصعبة .

أما الرجل الثانى الذى سقط بسبب هذه الأزمة ، فهو الدبلوماسى اللامع « سوليفان » ، فالأزمة الإيرانية أنهت تاريخه الممتاز فى السلك الدبلوماسى بشكل مؤسف . وكان يعزيه أن زملاءه في الخارجية كانو يرددون أنه كان على صواب على طول الخط .

ثم يأتى دور الرئيس جيمى كارتر . فالرئيس الأمريكى هو الذى يجب أن يضع السياسة الخارجية للبلاد ، فى النهاية . صحيح أن كارتر كان يواجه أول أزمة له ، لكن

المرء كان يتوقع تحديداً واضحاً ونوعاً من القيادة للمجموعة التى توجه السياسة الخارجية ، وينتظر بعض التعليمات التى يصدرها كارتر لكبار مستشاريه .. لكن شيئاً ما من هذا القبيل ، لم يحدث أبداً .

« الأمريكان أسقطونى » :

« رد على التاريخ » :

جاءت عبارة « **الأمريكان أسقطونى** » فى مذكرات الشاه التى كتبها فى المنفى . والتى كانت سريعة وقاسية الملامح ، بدأ فيها الشاه كإنسان خانه كل الناس حتى المقربين منه ، ولم يذكر فيها زوجته فرح ديبا بكلمة واحدة ، اللهم إلا فى معرض الحديث .

والعبارة جاءت كقرع طبل بإيقاع مروع . والمذكرات نفسها بدت كأنها « مذكرة » كتبها « متهم » للدفاع عن نفسه . قال فيها : « إيران أرادت ثروتى ، ورفضت جثتى » .

تحدث الشاه عن « إنجازاته » طوال مدة حكمه ، وقسمها إلى مرحلتين : الأولى ، وانتهت بسقوط مصدق عام ١٩٥٣ ، والثانية انتهت بسقوطه هو !!

ويقول : « أنه لو استطاعت إيران أن تصمد لمدة سنتين أخريين ، لكانت قد نجت بجلدها وتجاوزت كل المصاعب » .

فى بداية المذكرات يستعرض تاريخ إيران القديم ، وتشكيل إيران الحديثة ، ثم يستعرض مجهوداته الشخصية لانشاء دولة إيران القوية ، ثم الجزء الرابع المأسوى ، وفيه يسلط الضوء على الأحداث الأخيرة التى سبقت وتلت السقوط المروع المدوى .

وهو يعترف بأن الحملات الصحفية ابتدأت ضده عام ١٩٥٨ ، عندما أعلن سياسة البترول الجديدة .

وذكر على سبيل المثال ، مقابلة أجراها معه الصحفى الأمريكى « أرنودوبور — شجراف » فى نيوزويك عام ١٩٧٧ ، ولمح له فيها عن شكوكه فى أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذه ، فى حالة تعرض حكمه للخطر .

ويقول :

« من المذهل أن رجلاً محترماً مثل « اندرويانج » . المدافع عن حقوق الإنسان قد

أعلن متحدثاً عن رجل « قم » بأنه « قديس » !

أما رأى الشاه فى الخمينى ، فقد ـاه صراحة فى حديث صحفى مع أنيس منصور ، « الخمينى ؟ .. أنه شرير .. أنه رجل متخلف » .

وسأله أنيس منصور : هل قابلته ؟

أجاب : لم أره . لقد كان مجهولاً تماماً قبل ١٧ عاماً ، وكان مضحكاً حقاً ، عندما راح يهاجم الثورة البيضاء التى أعلناها ، ولذلك طردناه إلى الخارج ، وبدلاً من أن نضعه فى السجن ، تركناه يخرج حياً .

وسأله ، قبل وفاة الشاه بشهر واحد : « إن كان يستطيع بوضوح أن يدلى برأيه فى محكمة التاريخ وإن كان يستطيع أن يكون القاضى على نفسه والمحامى عن أخطائه والمتهم من الجميع والمنتقم الجبار » .

قال :

« انني لم أحسن التقدير . أخطأت فى اعتمادى على الأمريكان . وكنت أعمى . أعمى . أعمى » .

ويتابع :

« انني حاولت أن أقفز بشعبي بدلاً من أن أخطو به . وحاولت أن أنكر الجغرافيا والتاريخ ، فأجعل إيران (الفارسية) الأسيوية ، دولة أوروبية غربية » .

وهنا تبدو غلطة الشاه الكبرى ، وليس فيما قال ، أنه حاول أن يقفز بشعبه ، فهل غلطة محسوبة له ، لا عليه ، لكن غلطته ، أو خطيئته الكبرى ، هو أنه تجاهل تماماً إيران المسلمة .

وفى هذا يقول فى مجال آخر فى مذكراته : رد على التاريخ :

« من المفارقات الغريبة أن يتولى الجلادون الذين تناسوا تاريخنا زمام السلطة زاعمين أنهم باسم الله يعيدون العدالة . إن لنا **قبل الإسلام** أحد عشر قرناً من الانتصارات والمحن ، منح فيها الفرس للعالم بعضاً من أثمن أمجاده وإبداعاته » .

« كل هذا التاريخ ، وفقاً لمفاهيمهم يعد كفراً وإلحاداً ، أما بعد قيام الإسلام ، فيقولون أنها سلطة زمنية مؤقتة مغتصبة ، باستثناء عشرة أعوام فقط هى فترة خلافة

(على) وإنهم وحدهم المسلمون العادلون الحقيقيون ، أنه التعصب الأعمى ، ذلك الذى أقر فى البلاد حكم الإرهاب والجنون والحمق .

ويتابع :

« إن (الفساد فى الأرض) هو عبارة قرآنية تعنى كل إنسان أساء إلى المولى بآثامه وذنوبه وشروره ، وما من نص فى أى قانون جزائى فى العالم قد التقط مثل تلك العبارة (المبهمة) لتحديد جنحة أو جريمة ، ومن البديهى أن يعد المرء مفسداً فى نظر المحققين لكثير من الأسباب » .

ويضيف الشاه إلى جانب تجاهله لإيران المسلمة ، جهله أيضاً بمدى قوة الحركة الإسلامية وتهوينه من شأن الزعماء الدينين . وهذا يمكن أن نغفره ، أو نتقبله من المراقبين الأمريكيين أو الأوربيين ، مثلما فعل السفير الأمريكى فى بداية الأمر ، ومثلما فعل غيره ، ممن لم يزنوها بميزان التاريخ والعقل .

ومن تهاون الشاه بأمر الإسلام والقادة المسلمين فى بلاده ، أنه يناصر تماماً ويردد مؤيداً ما قاله أحد رجال القانون وهو حسن نزيه ، رئيس المحامين الليبراليين السابق ، أثناء انعقاد مؤتمر رجال القانون فى ٢٨ مايو عام ١٩٧٩ ، حيث جاء فيما قاله :

« إن جرائم خطيرة ترتكب باسم الإسلام ، ومن البديهى أن :

حل المشاكل السياسية والاقتصادية والقانونية لا يكمن **فقط** فى قواعد الإسلام ، حتى رجال الدين ، يدركون أن الالتجاء إلى الإسلام فى ظل الظروف الحالية ، ليس ممكناً أو مجدياً ..... » .

ويؤيد الشاه هذا الكلام بقوله :

« إن الدولة (يقصد إيران) تغوص إلى غير رجعة فى مأساة لا شبيه لها وفساد لا مثيل له ، فبعد أن انتزعت إيران طوال سبعة وثلاثين عاماً من الظلام ، متبعاً النظام الغربى الذى يضع حدوداً للفساد ، **بفضل قوانينه ومحاكمه** ، ضاع كل شىء » .

« إنها حكومة الجحيم التى قويت شوكتها فى قم منذ فبراير سنة ١٩٧٩ » .

أما أن « الأمريكان » اسقطوه ، باعترافه ، فهو يتحدث عن هذه الفترة فى الجزء الأخير من المذكرات ، وهى الفترة التى عاشها فى إيران ، والتى سبقت مغادرته النهائية لها .

يقول :

« قاد سانجابى وبازرجان الحركة ضد الحكومة ، فألقى القبض عليهما ، ثم توسط رئيس السافاك فأفرج عنهما . وقبّل سانجابى يدى معلناً إخلاصه لى لكنه طلب منى مغادرة طهران فى أجازة » .

كانت الأحوال الاقتصادية فى إيران تتدهور بعد هبوط إنتاج البترول (بسبب ضراب العمال) ، وتوقف الغاز الموجه إلى الاتحاد السوفيتى . وهنا قابل الشاه بختيار ، بواسطة رئيس السافاك ، ودامت المقابلة ساعات عديدة ، اتضح للشاه بعدها ، أن بختيار هو الشخص الوحيد القادر على تأليف حكومة فى الفترة الحرجة التى تجتازها إيران .

ورغم أن بختيار استطاع تأليف حكومة مدنية وحصل على أغلبية الأصوات فى مجلس النواب ، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق برنامجه الذى أعلنه على مراسلى الصحافة العالمية فقد قرر أصدقاؤه من الجبهة الوطنية ، نسفه ...

ويضيف الشاه :

« لم يكن هدف المسئولين فى البلاد إعادة النظام أو تسيير دفة الاقتصاد القومى بل مصير الملك . ونصحنى عدد من المقربين بالابتعاد عن إيران لبضعة أسابيع ، حتى تهدأ النفوس ، بينما عارض جنرالاتى هذا الحل بشدة .

« كان مقرراً أن أسافر وبرفقتى الإمبراطورة ، فى أجازة لبضعة أسابيع ، لكن الغريب أن واشنطن هى التى أعلنت نبأ رحيلى فى مؤتمر صحفى يوم ١١ يناير على لسان « سايروس فانس » ، (أى قبل مغادرة الشاه الفعلية لطهران بخمسة أيام) .

ملحـوظة :

« جاء فى مذكرات جيمى كارتر ، التى صدرت حديثاً ، أنه فى إحدى رسائل سوليفان إليه ، جاء : أن العسكريين الإيرانيين كانوا يرفضون رحيل الشاه وأنهم كانوا يريدونه أن يستقر فى إحدى الجزر الإيرانية إلى أن يتم تطهير البلاد من الفوضى » .

أما الثورة نفسها ، فيصفها الشاه « بالكارثة » ، ويقول عنها :

« أنها كارثة أجيد تخطيطها » .

ويدافع بشدة وبحماس عن جهاز « السافاك » الذى يعترف العالم كله ، بأنه من أقسى وأخطر أجهزة البوليس السرى فى العالم ، فيقول :

« ما هو إلا جهاز أمن ومعلومات فقط ، وأن تدخله فى المظاهرات ، هو تدخل شريف وعادل ومسموح به فى كل الدول ، التي يوجد بها إرهابيون شبان ، مثل هؤلاء الذين فى إيران » ..

ويقول : أنه أوجد السافاك لإحباط أى انقلاب شيوعى ، وأن عدد العاملين فيه لا يتعدى ٣٢٠٠ موظفاً فى بداية سنة ١٩٧٨(مع أن الوثائق الرسمية تؤكد أن عدد العاملين فى السافاك لا يقل عن خمسين ألفاً) !

ويذكر الشاه حادثة أثناء « الكارثة » وهى أنه ، « خلال الشهور الثمانية الأولى من سنة ١٩٧٨ تضاعفت المظاهرات والاضطرابات فى أنحاء البلاد ، فأطلقنا سراح **مئات** المعتقلين السياسيين ، للتخفيف من حدة التوتر .. لكن الحرائق المشتعلة فى أصفهان ، أجبرت الحكومة على إعلان الأحكام العرفية ، وتتابعت خطة التدمير بلا هوادة » .

« وفى نهاية شهر أغسطس ، التقى بى رئيس الأمن ، الجنرال مقدم على أثر لقائه بشخصية دينية هامة ، لا أستطيع ذكر اسمها ليبلغنى أن هذه الشخصية قد طلبت منه إبلاغى حرفياً :

« إننا نتوسل إليك **أن** تقدم على القيام بحركة **استعراضية** تعود فائدتها على الجماهير » » .

« وردد على مسامعى كلمة استعراضية ، عدة مرات ، فلم أستطع تجاهل الرسالة » . فهل كانت زيارة الشاه والشهبانو لمدينة « مشهد » الشيعية ، هى هذه الحركة الاستعراضية المطلوبة ؟؟..

ومن أهم أخطاء الشاه « المصيرية » القاتلة ، كان ، تهجمه على الخمينى وإسرافه فى تشويه سمعته دون وازع من أخلاق أو كياسة ، كما يذكر « فريدون هوفيدا » شقيق أمير عباس هوفيدا ، أحد رؤساء حكومات « الحضرة الشاهانية الفارسية » (تأملوا الاسم) .

وقد كتب فريدون هوفيدا ، كتابه : (سقوط الشاه) ، بعد إعدام أخيه على يد

أعضاء الثورة . ورغم ذلك فقد كان حيادياً فى تقييم فترة حكم الشاه ، فى نفس الوقت الذى لم يهاجم الثورة .

وهو لا ينكر أن الشاه هو الذى عمل على اشعال مشاعر الحنق والغضب لدى رجال الدين ولدى أفراد الشعب العاديين فى مواجهة مع الخمينى .

فقد راح يؤكد فى كل أحاديثه ، أن الشعب الإيرانى يحتقر الخمينى ، لأنه ليس إيرانى المولد ، بل أن أصله من الهند ، وأنه خائن وعميل بالأجر ، للبريطانيين والعراقيين .

وراحت الصحف الحكومية بدورها تكمل الحكاية وتكيل أوضع الاتهامات لشخص الخمينى ، جزافاً ، حتى وصل القول إلى التعريض بأمه ، التى قيل عنها ، أنها كانت راقصة محترفة .

ويقول فريدون هوفيدا :

أنه بالرغم من أن الشاه نجح فى القضاء على الإقطاع وقام بالثورة البيضاء التى جعلت الفلاح مالكاً للأرض ، وملك العمال ٤٠٪ من أسهم الشركات وضمن لهم نصيباً من أرباحها كما توسع فى التعليم وإقامة الصناعات الثقيلة ، حتى وصل دخل الفرد السنوى ٢٢٠٠ دولاراً ، وبلغ عدد التلاميذ أكثر من مليون ، وانخفضت نسبة الأمية من ٨٥٪ إلى ٥٥٪ إلا أن ذلك كله لم يواكبه تحسن فى الظروف السياسية .

كما أدى اضطلاع الشاه بمهمة ملء الفراغ الذى خلفه رحيل البريطانيين عن المنطقة إلى شعور متضخم بالأهمية ، ملأه بها هذا الدور الذى عهد به إليه نيكسون وكيسنجر ، وأضيف إلى كل ذلك ، ارتفاع أسعار البترول المذهلة ، خصوصاً بعد حرب أكتوبر ــ رمضان ١٩٧٣ .

أما أن الشاه ديكتاتور من رأسه إلى قدميه ، فهذا واقع ، وكانت أجهزته تتحكم فى كل المجالات وفرضت رقابة صارمة على كل ألوان التعبير ، حتى التعبير الفنى ، ومن الأمثلة المضحكة ، أن الرقابة كانت تمنع تداول مسرحيتى (هاملت) و (ماكبث) بالذات لشكسبير لأنهما تتضمنان مشاهد يقتل فيها ملوك وأمراء !!

ويضيف فريدون هوفيدا :

أن استهانة الأسرة المالكة بالدين كان يثير السخط ، فقد كان من المعروف مثلاً

أن الأمير محمود رضا ، قد احتكر زراعة الخشخاش فى مزارعه ، وكان المصدر الأكبر لتجارة المخدرات المهربة فى إيران .

كما كان الشاه والشهبانو وراء إعداد جزيرة قيش أو (كيش) فى الخليج لتكون مكاناً للهو والخلاعة ، والتى سميت (مونت كارلو الجديدة) وهى تبعد عن الساحل الإيرانى ١٧ كيلو متراً . أقيم فيها كازينو عالمى للقمار (باعتراف فرح ديبا نفسها ، وهى التى كانت تقوم بالدعاية) . وهذا الكازينو مستورد من فرنسا بكل أجهزته وأثاثاته . وكانت « الفتيات » تستورد من فرنسا بحجة تشجيع السياحة .

أما الشاه نفسه ، فلم يذهب مرة واحدة لأداء الصلاة فى أية مناسبة دينية وسط رجال الدين وأفراد الشعب ، ولو مراعاة لمشاعرهم .

وفى حديث مع أنيس منصور قال الشاه ، قبل وفاته :

هل تقول إن الإمام الخمينى قد دفعه إلى الثورة عليك ، أن أباك قتل أباه وأنك قتلت ابنه ؟ ..

(لم يسترح الشاه لهذا السؤال ، أو لهذا التبسيط الشديد)

قال : لم يحدث لابنه أى شىء ..

لقد مات أبوه موتاً عادياً ، ثم إن أباه ليس إيرانياً . كما إننى لم أقتل ابنه أيضاً . إنما الخمينى رجل شرير بطبعه ، ولم يكن فى حاجة إلى وفاة أبيه ليسفك الدماء ، أو ليهدم قبر والدى ليدفن حماته .

سأله : بماذا تفسر جلالتك جاذبية الرجل والتفاف الملايين حوله ؟

أجاب : الدم .. أنه الدم !

سأله : هل تريد جلالتك أن تقول أن كل هذه الملايين متعطشة للدم ؟

قال : نعم ! ماداموا قد التفوا حوله ومشوا وراءه وارتضوا الهوان والعذاب على يديه .. ووقفوا يتفرجون على خراب البلاد ، دون أن يثوروا .. فلا بد أن هذا يريحهم .. فلا بد أن هذا يريحهم .. فهو بذلك قد حقق لدى الجماهير رغبة دموية شريرة .

البذخ الملكى :

حتى بعد أن غادر الشاه إيران وحتى بعد أن انتهى وسقط العرش والتاج نهائياً ، فإن أحداً لم يستطع معرفة ما بلغت إليه ثروة الشاه الحقيقية .

وقد طالب رجال الثورة الإيرانية بإعادة ثروة الشاه وجمعها من أنحاء العالم ، لكن المراقبين كانوا يقولون ، إن ذلك شبه مستحيل .

وقد كانت استعادة ممتلكات الشاه فى الخارج شرطاً من الشروط الأربعة الرئيسية التى وضعها آية الله خمينى يوم ١٩٨٠/٩/١٢ للإفراج عن الرهائن الأمريكيين المحتجزين من السفارة الأمريكية بطهران .

ورغم أن ذلك كان يمكن أن يسهل مهمة أمريكا لاستعادة الرهائن ، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم رسمياً بإجراء احصاء لأموال الشاه فى الولايات .

وفى نوفمبر من عام ١٩٨٠ صرح المسئولون الرسميون أنه يمكن (تجميد) الأموال الإيرانية فى الولايات الأمريكية والبالغ مقدارها حوالى ٨ مليار .

والمعروف أن يمكن الكشف عن حسابات العملاء فى الولايات المتحدة لأنه لا يوجد فى أمريكا قانون يمنع هذا ، كما هو الحال فى سويسرا ، ولذلك فقد كان من السهل على الرئيس الأمريكى كارتر إصدار أمر للبنوك الأمريكية يطالبها بإطلاعه بطريقة سرية على أية حسابات باسم محمد رضا بهلوى أو أى من أقربائه وعائلته ، فيما لو أراد الرئيس الأمريكى ذلك .

فى ذلك الوقت كانت الحكومة الإيرانية قد رفعت دعوى أمام المحكمة العليا فى نيويورك مطالبة بـ ٢٠ مليون دولار ، قالت أن الشاه قد استولى عليها هو والإمبراطورة فرح ديبا ، وطالبت الحكومة أيضاً بمبلغ ٣٦,٥ **بليون** دولار كتعويض ، وكان أحد المسئولين الأمريكيين قد أكد فى ذلك الحين أن احصاء غير رسمى عن حجم ثروة الشاه قد تم مؤخراً ، بناء على تعليمات من البيت الأبيض .

بينما يؤكد بعض المقربين من العائلة المالكة أن ممتلكات الشاه كانت قليلة جداً فى الولايات المتحدة قبل وفاته ، وذلك على عكس ما يقال عن ممتلكاته فى أوروبا وإيران . أما شقيقاته أشرف وشمس وفاطمة فيمتلكن مساحات واسعة من الأراضى ومبالغ كبيرة من الأموال فى مختلف بلدان أوربا .

وتعتبر أشرف أغنى أقرباء الشاه .

وكان قد سرى نبأ بين السلطات الأمريكية أن الشاه قام بنقل كل ما أمكنه من أموال إلى خارج الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد احتجاز الرهائن فى طهران مباشرة ، لأنه توقع أن تقوم الحكومة الأمريكية بتجميد الأموال الإيرانية .

وتقدر السلطات ثروة الشاه عموماً بين ٢٠٠ مليون وعدة بلايين دولار ! أما طهران فتقول على لسان على رضا نوبارى ، مدير بنك إيران المركزى أن ثروة الشاه تتراوح بين ٧ و ١١ مليار دولار .

وتقول الأرقام الرسمية لأجهزة المخابرات العالمية أن ثروة أسرة بهلوى حوالى ٣٠ مليار دولار ، وكان الشاه قد أعلن أن ثروته تقدر بحوالى ٢٥ مليون دولار ، فقط .

وأسرة بهلوى تضم ٦٣ أميراً وأميرة يعيشون فى أوربا وأمريكا والبرازيل وجزيرة سيشيل ، وهذه الثروة عبارة عن أسهم وسندات فى شركات وبنوك وعقارات .

وقد نشرت مجلة (اوتو كابيتال) الإيطالية فى ميلانو مجموعة صور نادرة التقطتها فى طهران بإذن من السلطات الإيرانية لمجموعة سيارات شاه إيران السابق والتى بلغ عددها قبل مغادرته إيران (٣٠٠٠ سيارة) ، جميعها صناعة خاصة من أشهر الماركات العالمية .

وفى إيطاليا أيضاً ، طالب حلاق إيرانى اسمه حمايون أميرالاى بتركة الشاه ، زاعماً أنه ابن الشاه الراحل من السيدة « لسيتر بارى » ، وقال أن ثروة الشاه تقدر بـ ٧٠٠ مليار دولار .

ومن المفارقات ، أن الإمبراطورة فرح ديبا ، كانت تبحث فى أوائل عام ١٩٨٢ عن فيلا (صغيرة) تقيم فيها مع أسرتها أثناء وجودهم فى مصر ، بدلاً من الإقامة فى قصر القبة . وقد بعث رجل الأعمال السورى (لطفى سباهى) المقيم فى سانت مونيكا بولاية كاليفورنيا الأمريكية ، برقية إلى فرح ديبا ، يعرض عليها شراء الفيلا التى يملكها فى شارع العروبة بمصر الجديدة .

والفيلا (الصغيرة) مقامة على مساحة ٢٠٠٠ متر مربع ، وترتفع ثلاثة طوابق وتطل على ثلاثة شوارع ، وجميع حوائطها الداخلية من الرخام .

والحقيقة أنه لا أحد يستطيع حصر ثروة الشاه ولا حتى ممتلكاته الظاهرة فهى

موزعة فى أنحاء العالم وما هو معروف فقط ، هو أن الشاه كان يعيش حياة أسطورية بكل معنى الكلمة .

ففى أكتوبر عام ١٩٦٧ توج نفسه ، وهى ظاهرة لا تحدث إلا فى النادر ، فليس من المألوف أن يضع أى حاكم التاج على رأسه ، بيده .

وكان التاج الذى توج به نفسه ، مرصعاً بـ ٣٧٥٥ جوهرة ، وتوجت زوجته فرح ديبا بتاج فيه ١٦٤٦ جوهرة ، وكان هو نفسه يجلس على عرش يسمى عرش الطاووس . هذا العرش مرصع بـ ٢٧ ألف جوهرة ، وآستقل الشاه يومها عربة ملكية مذهبة كان يبلغ ثمنها ٧٨ ألف دولار .

وكانت مصادر من باكستان قد نقلت فى أغسطس من عام ١٩٨٤ ، أن سلطات البوليس الباكستانية ألقت القبض على عصابة فى مطار لاهور ، وقد قامت هذه العصابة بسرقة مجوهرات وتحف فنية خاصة بأسرة شاه إيران ويرأس العصابة غلام خان ، وقد قدرت قيمة هذه التحف والمجوهرات بأكثر من مليار دولار .

وتمت السرقة أثناء الاضطرابات فى عام ١٩٧٩ من أحد متاحف **طهران** واستطاعت العصابة إخفاء المجوهرات فى إيران لمدة خمسة أعوام ثم حاولت **تهريـ ' إلى** إحدى دول أوربا عن طريق باكستان حتى ألقى القبض على أفرادها فى مطار **لاهور** الباكستانى .

ومن بين المسروقات حزام مرصع بالمجوهرات ، كان الشاه يرتديه فى المناسبات العامة .

ومرة عرضت فرح ديبا ، أثناء إقامتها فى القاهرة بعد رحيل زوجها الشاه ، شراء قصر القبة ، أيام ان كانت تقيم فيه ، وعرضت مبلغاً يقرب من ألف مليون دولار لشرائه لكن الرئيس السادات اعتذر ، مؤكداً أن القصر لا يمكن بيعه ، وهو ملك للدولة .

أما مؤسسة سويثبى الشهيرة لبيع المجوهرات والتحف الأثرية الفاخرة والنادرة ، فقد عرضت مجموعة من المجوهرات النفيسة ، يقال أنها ملك فرح ديبا ، وبلغت قيمة هذه المجموعة حوالى مليونا و ٣٠٠ ألف دولار .

وفى نوفمبر من عام ١٩٨٠ حاولت إيران توقيع الحجز على قيراط من الماس بلغت قيمته أكثر من ٦ ملايين دولار ، لكن السلطات السويسرية رفضت ، لأن هذا

القيراط لم يطرح للبيع فى المزاد لصالح فرح ديبا .

ويبدو أن الشهبانو كانت من أهم زبائن شركة سوثيبى البريطانية ، فقد أقنعت الشركة بإقامة مزاد تعرض فيه الشهبانو مجوهراتها للبيع فى مزاد دون التعرض لذكر اسمها . وكانت أيضاً من أشهر المتعاملين مع شركة فان كليف وآربل الفرنسية وكارتييه ، كما ثبت أيضاً أن معظم ثروة الأسرة المالكة مجمدة .

ويقول خبير شركة سوثيبى أن ثمن القرط المعروض من الماس يبلغ حوالى ٣,٥ مليون دولار ، فماسة إليزابث تايلور التى على شكل الكومثرى والتى اشترتها من نفس الشركة اشتراها عام ١٩٧٩ تاجر الماس الأمريكى هنرى لومبارث بثلاثة ملايين دولار .

وإلى جانب القرط كان هناك مجوهرات أخرى للعرض ، من بينها عقد مكون من ١٨ حجراً من الياقوت و ١٨ حجراً من الماس يقدر ثمنه بمليون دولار .

كما أنه يوجد فيها سوار فيه حجر من الماس الأصفر يزن ٥٥,٥ قيراطاً يقدر ثمنه بحوالى ١٢ مليون دولار ، وخاتم به حجر من الماس يزن ٥٦,٠٧ قيراط يقدر بـ ١٥٠ ألف دولار وعقد من خمسة أدوار من اللؤلؤ الأبيض المائل للوّن الوردى وهو أغلى أنواع اللؤلؤ ، يقدر ثمنه بـ ٢٥٠ ألف دولار ، وقد صنعه لها خصيصاً محل فان كليف وآربل الفرنسى .

ويروى أنيس منصور أن ما حدث فى مهرجانات برسيليوس أثناء الاحتفال بذكرى تأسيس دولة فارس ، كان « النموذج الكامل لحماقة الشاه والمبرر الأخير للثورة عليه » ، وقال :

مثلاً ، لقد أراد أن تكون لكل جنوده لحي سوداء كما كان الجنود أيام الإمبراطورية قورش ، وكانت ملابس الجندى الواحد بها خيوط ذهبية طولها ستة كيلومترات ، ووقف الجنود تحت مليون مصباح تعلقت ب ٤٠٠ كيلومتراً من الأسلاك بلغ وزنها ١٤٠ طناً .

أما الطعام فكان « لحم طواويس » جاء خصيصاً ، ساخناً ، من باريس !!

ويقول « فريدون هوفيدا » بأن الشاه كان يدافع بدون توقف عن احتفالات قورش التى كان فيها البذخ قد وصل إلى حد لا توجد كلمات لوصفه .

ويدافع الشاه عن هذه الاحتفالات بقوله ، إنها دليل ملموس على حيوية (الأمة الإيرانية) بوصفها وارثة مجد الأكاسرة العظام الذين أعطوا البشرية أول امبراطورية فى التاريخ ، وأنها أفضل مناسبة **للبعث الآرى المنشود !**

وفى حديثه للصحفى الشهير « كارنجيا » أكد أن هذه الاحتفالات كانت بمثابة اكتشاف للروح الآرية (الفارسية) من جديد ، هذه الروح التى لم يفقدها الشعب الإيرانى مطلقاً ، رغم النكسات وموجات الانحسار التى تعرض لها .

وفيما عدا هذا البذخ الشديد فى الحياة التى كان الشاه يقودها مع أفراد أسرته انتشر الفساد الذى دعمه المال الطائل الفاحش ، فكان الفساد أيضاً فاحشاً ، تماماً كالثراء الذى تمتعت به عائلة بهلوى .

فقد كشف تحقيق أجراه مجلس الشيوخ الأمريكى أن زوج الأميرة أشرف ، وكان يشغل قائد سلاح الطيران ، وابنها ، حصلا على مبالغ ضخمة كرشاوى لعقد صفقات مع شركات أمريكية .

أما رئيس أركان القوات البحرية أدميرال رمزى عطاى فقد حصل على عملات تقدر بثلاثة ملايين دولار من عقود تسليح أبرمها مع الشركات الأجنبية .

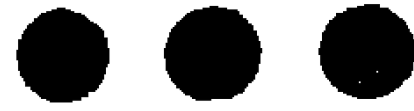
وفى عام ١٩٧٧ منحت وزارة الصحة طبيب الشاه الخاص حق احتكار استيراد الدواء وإنتاجه محلياً ، وتم بالتالى القضاء على مشروع لإنشاء مستشفيات عامة عن طريق بنك يؤسس لهذا الغرض .

ووصل الأمر إلى حد أن أصبحت وجبات المدارس الغذائية المجانية تباع فى الأسواق علناً دون خوف أو رقيب .

والأميرة أشرف التى تبيح لنفسها هذا ، ذات شعور مرهف إلى حد كبير . فقد حكى وزير الصحة (السابق) لهوفيدا ، أنه قرر مرة القيام بحملة لإبادة الكلاب الضالة فى أنحاء إيران ، بعد أن تفاقم خطرها على الصحة العامة ، ولكن كان عليه أولاً أن يحصل على موافقة الشاه ، وحصل عليها بالفعل .

لكنه قبل أن يبدأ التنفيذ فوجىء الوزير بأمر ملكى بإرجاء التنفيذ ، لأن الأميرة أشرف تحب الكلاب ولا تطيق أن تراها تقتل تحت سمعها وبصرها فما كان على الوزير إلا أن ينتظر ريثما تغادر أشرف البلاد إلى الخارج فى زيارة ، ليبدأ الحملة !

أما فى جزيرة (قيش) أو كيش فى الخليج العربى فقد اتحدت عناصر البذخ والإسراف والفساد والاستهانة بالشعب والدين، حيث أنشئت مدينة جديدة سميت بمونت كارلو الجديدة . وهى تبعد عن الساحل الإيرانى ١٧ كيلو متراً ، وقد قامت فرح ديبا بنفسها بالدعاية للجزيرة على أوسع نطاق .



الشاه يبحث عن قبره

النهــاية

الفأر الميت :

حين قيل عن الجنرال هويزر ، أنه ألقي بالملك خارج البلاد « كفأر ميت » ، لم يكن ذلك صحيحاً تماماً ، فالفأر لم يكن ميتاً . أما أنه كان « فأراً » ، فهذا أمر يقبل الجدل .

فالشاه نفسه كان يرى أنه على صواب فى كل ما يفعل ، وهذا يعنى أن كان يرى أن خصومه دائماً مخطئون ومجرمون أيضاً فى كثير من الأحيان .

ويقول المؤلف الفرنسى « جيراردى فيير » الذى عاش أحداث إيران قبل الثورة لمدة ١٥ عاماً ، أن الشاه كان يحس أنه صاحب رسالة تجاه الأمة الفارسية ، بل كان يشعر أن القدر أرسله فى هذا بالذات ليعيد لها مجدها القديم .

وكان شعوره طاغياً إلى حد أنه كان يؤمن بأنه من واجبه قسر شعبه على اعتناق ما يراه .

ولأنه كان معتداً بنفسه وبإيمانه الغيبى بأن الله يرعاه ، وبإيمانه بالسلطة (الأبوية) المطلقة له على شعبه ، فهو الأب بحكمته ورشاده ، وهم الأبناء بقصورهم وضيق عقولهم ، مما يعطيه دائماً الحق لفرض ما يراه صواباً على أبنائه . والشاه يستمد هذا من التراث الفارسى . وقد مثل هذا الكلام ، فى كتابه : « نمو الحضارة العظمى » .

وفى نفس الوقت كان يزدرى « الديمقراطية » الغربية بالرغم من أنه مرتبط ارتباطاً شديداً جداً بالغرب الرأسمالى ، واستعار منه الكثير من أساليب الحياة الغربية ليطابقها فى بلاطه وفى بلاده .

أما الشاه نفسه فكان مصاباً بما سماه كتّاب سيرته ، « بجنون العظمة » ،

« أن الواقف أمامنا إمبراطور اسماً ، طاغية فعلاً » .

واستطاع (كما يقول أنيس منصور) بأنف النسر أن يشم رائحة الموت .. فقد أيقن أن شاه إيران جثة شاه سابق !!

وحين استدعى الشاه رئيسَ وزرائه عباس هوفيدا ليكون وزيراً للبلاط قال له : « أتينا بك لتكنس بلاط صاحب الجلالة الإمبراطور محمد رضا بهلوى شاهنشاه اريا مهرى » !

وحبه للسلطة أعماه عما ينتظره حتى اللحظة الأخيرة . فلم يتنازل إرضاء للمعارضة وارتضى بتطبيق سياسة كبش الفداء تحت تأثير « أردشير زاهيدا » متوهماً أنه سيمتص السخط الشعبى . ولهذا تصرف الشاه تصرفاً قضى عليه . فقد كلف « أزهرى » بتشكيل حكومة عسكرية وسلم له زاهيدى قائمة طويلة بأسماء المطلوب اعتقالهم تمهيداً لمحاكمتهم وإعدامهم وكان الكثيرون منهم من رجال الملك السابقين ، وكان أمير عباس هوفيدا على رأس من يريد زاهيدى الإطاحة بهم .

لكن الثائرين اعتبروا تشكيل الحكومة العسكرية تحدياً لهم . وبعد أن كان التنازل كافياً لإرضائهم وتهدئتهم فإنهم أصبحوا الآن من القوة بحيث لم يعد حتى هذا الحل مقبولاً .

وحين غادر الشاه إيران كانت أول خطوة نحو النهاية :

محطات المنفى :

فى يوم ١٧ يناير ١٩٧٨ أكد كارتر ، الرئيس الأمريكى ، فى مؤتمر صحفى بواشنطن قائلاً :

« إن الشاه الآن فى القاهرة ، وسيأتى إلينا فيما بعد » .

وكانت أسوان هى أولى محطات المنفى .

تقول أشرف بهلوى ، التى تركت إيران فى سبتمبر من عام ١٩٧٨ ، وقتل ابنها شهريار فى ١٦ يناير ١٩٧٩ فى باريس ، فكان أول من طالته يد الثورة :

« انى أتهم ، ليس فقط حكومة كارتر ، بل (اللاإنسانية) البشعة التى عومل بها أخى المعروف منذ أمد بعيد باحترامه وارتباطاته تجاه حلفائه » .

إن الحكومة الأمريكية شاركت فى إسقاط حكم دام ٣٧ عاماً . وكان من واجبها على الأقل إيجاد منفى آمن لحليف قديم . ولكن خلال شهور الإضطرابات والمنفى ، لم يتلق أخى سوى مكاملة تليفونية واحدة من كارتر أثناء وجوده بالقاعدة الجوية بتكساس عندما طلب منه كارتر التوجه فوراً إلى باناما ، وتمنى له رحلة طيبة ، رغم أنهم لحظة رحيله من طهران جعلوه يصدق ، بأن من حقه البقاء فى الولايات المتحدة ، وأن هذا قرار الإدارة الأمريكية .

« وعندما ذهب الشاه إلى المغرب كان يعتقد أنه منفى مؤقت ، وأن بختيار سينجح فى مصالحة الخلافات القائمة بين المعارضة ، فقد جمع قبل رحيله جميع ضباط القيادات العليا ، وطالبهم بالتماسك حتى النهاية ، مؤكداً أن حكومة بختيار ستشن انقلاباً عسكرياً حين الضرورة ، وكان على رأس ضباطه ، حسين فاردست ، صديقه الحميم ، وصديقه الجنرال غارى — باغى » .

« لكن الشاه كان يجهل صعوبة ذلك ، فالخمينى ضمن أنه سيحصل على تأييد حلفاء الشاه ، ولهذا صرح أنه لن يتحدث مع بختيار إلا إذا استقال » .

وتضيف أشرف بهلوى :

« وعندما حاول بختيار إعداد انقلاب عسكرى ، لم يجد تأييداً بعد أن (رشا) الجنرال هويزر قيادات الجيش » .

لقد حذره بعض مستشاريه من عدم إخلاص صديقه « فاروست » له ، لكنه رفض أن ينصت إليهم . فكتبت أنا إليه أرجوه أن يعيد النظر فى تعيين الجنرال غارى — باغى ، فلم ينصت أيضاً ، لأننى لم أحصل على دليل ملموس يدينه ، فقد كان صديقاً لفاردست ، كما كان يسمع لرأى الإمبراطورة فرح ديبا ، التى كان من رأيها ترشيحه لرئاسة القيادة العليا ، بسبب أقدميته وخدمته الطويلة بين صفوف الحرس الملكى .. وكان هذا الخطأ فادحاً كما ثبت فيما بعد .

ملحـوظة :

المعروف أن فرح ديبا كانت هى التى تتفاوض مع بختيار على تشكيل الحكومة وكانت تتولى أعمال الملك طيلة الشهور الثمانية الأخيرة فى إيران ، لأن الشاه كان عاجزاً تماماً عن اتخاذ أى قرار !!.

ومات الشاه ..

بعد رحلة مرض استمرت ٢٦ عاماً .

الملك الذي يمتلك ملايين الملايين .. كان في آخر أيامه يبحث عن قبر له ! لكن العالم كله استنكر عليه حتى الموت !

كان في آخر أيامه لا يريد إلا أن يموت في أى مكان يمكن أن يدفن فيه .. في قبر ، كما يقال ، متر في متر !! لكنه لم يجد ..

وحين صلى عليه في مسجد الرفاعي بالقاهرة ، قال الإمام أثناء صلاته : اللهم أن هذا المسجى هنا .. فقير إليك !!!

هذا هو الفقر في أشد حالاته ..

كل هذا في الوقت الذي نشر هذا الشاه في مذكراته الخاصة السرية ، القوة الحقيقية للجيش الإيراني الذي كان يتحكم فيه تماماً :

(١) الدبابات : ١٠٠٠ دبابة صنع بريطاني لإيران خصيصاً تسمى اسود إيران مزودة بمدفع ١٢٠ ملم وتعمل بأشعة الليزر ، و ٨٠٠ دبابة شيفتن مزودة بمدفع ١٢٠ ملم وبأشعة الليزر ، و٤٠٦ دبابة م ٦٠ أمريكية متطورة بمدافع ١٠٥ ملم ، و ٤٠٠ دبابة م ٤٧ مطورة بمدفع ٩٠ ملم ، و ٢٥٠ دبابة استطلاع من طراز سكوربيون بمدفع ٩٠ ملم ، و ١٠٠٠ ناقلة جنود أمريكية و ٢٠٠٠ ناقلة جنود روسية مزودة بمدافع ٧٣ ملم مضادة للصواريخ .

(٢) المدفعية : لها قوة نيران مدفعية حلف شمال الاطلنطي .

(٣) الطيران : ٧٨ ف ١٤ صواريخ من طراز فينكس مداها ٩٠ ميلاً مزودة برادار مداه ١٥٠ ميلاً وقادرة على إطلاق ستة صواريخ على ستة أهداف مختلفة في وقت واحد ، و ٢٥٠ طائرة فانتوم مطورة مزودة بقنابل تطلق أشعة ليزر وبصندوق أسود لتضليل الصواريخ المعادية ، و ١٢٠ طائرة طراز ف ٥ أى ، و١٠٦ طائرة طارز ف ١٦ (وسيطلب من أمريكا تزويد إيران بـ ١٥٠ طائرة أخرى) ، و٧ طائرات أواكس (أى طائرات انذار مبكر محمول جواً) ترتفع إلى ٣٥ ألف قدم ، و٢٤ طائرة بوينج ٧٤٧ و٧٠٧ مطورة قادرة على تموين نفسها بالوقود ، وتبقى فترة طويلة في الهواء كما أن المصانع الإيرانية تعمل على إنتاج الطراز الروسي سام ٧ وصواريخ مافريك الامريكية

مداها ١٢ ميلاً .

وجاء في وثيقة الشاه السرية أن مصانع الصواريخ تحطمت أخيراً في شيراز (أثناء الاضطرابات) وكذلك صواريخ تاو المضاد للطائرات .

ويضيف : وسوف تتفوق المصانع الإيرانية في إنتاج هذه الصواريخ لتكون أسرع من الصوت بتوجيه من أشعة الليزر .

(٤) البحرية : أربع بوارج حمولة كل منها ٨ آلاف طن ، مزودة بصواريخ بحر ــ جو سرعتها ٣ ماخ وصواريخ هاربون بحر ــ بحر سرعتها ١٥٠ ميلاً ، و١٢٠٠ مدمرة مزودة بصواريخ هاربو مستوردة من ألمانيا وهولندا ، و١٢٠ مدمرة فرنسية ، و٣ غواصات أمريكية بحرية حربية .

ويقول : سوف نطلب من ألمانيا الغربية ٩ غواصات أخرى و٥٠٠٠ طائرة بحرية و٣٠ طائرة استطلاع أمريكيه طراز أوريون !

فقط !!!

كل هذا لم يستطع حماية الشاه ..

وبعد ..

فقد تحول الشاه بعد موته إلى حالة إنسانية ، بعد أن ظل حتى لحظة وفاته برغم خلعه عن العرش ومنفاه ، كما يقول الصحفي عبد العظيم حماد ، حالة سياسية وقضية ساخنة مطروحة على الساحة الدولية ، وحينما ينصب التاريخ نفسه قاضياً على الأشخاص والسياسات ، فإنه يتجاوز هذا المقياس الضيق الذي تستخدمه السياسة ، ليشرك الدوافع إلى جانب النتائج في محاولته لإبراز الحقيقة ..

وهذا مانأمل أن نكون قد حققناه ! والله أعلم !

تم بحمد الله

الفهـرس

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

هو قصة كل إنسان كـان يومـاً ما عـلى كرسي، ثم وقـع هو، أو وقـع الكرسي، أو وقع هو والكرسي معاً، فضاعت منه سلطته، وضاعت معها كل انحناءات المقربين والمتقربين منه.

وابتدأت السكاكين تغوص في بقاياه، نزف ما نزف من الدماء، فهذا لم يعد يهم أحداً

وهذا الكتاب محاولة لمتابعة موضوعية لما حدث في ايران حتى وقوع التاج الايراني. فهو يتابع الشاه منذ نشأته في مدارس سويسـرية وزيجـاته الثـلاثة، وتلقيب نفسـه «بملك الملوك»، ثم تنصيب نفسـه امبراطـوراً، وتعليقـات من شاهدوه، إلى أن مات، بعد رحلة مضنية باحثاً عن قبر له، وإلى أي حد لعب الشاه نفسه دوراً في إنهاء حكم البهلوية، وكيف أطاح به الخميني، ثم طوح به في بلاد العالم ليحرمه حتى من الموت الكريم، نتيجة لثأر قديم، وإلى مدى ساعدت العقيدة الشيعية التي يعتنقها معظم الايرانيين على ذلك، وما هو دور أمريكا، وكيف سقط التاج، وكيف داسته الأقدام في شرق العالم وغربه.

والكتاب يورد في حياد تام أجزاء من مذكرات الشاه وفرح ديبا وشقيقته أشرف بهلوي، والذين عاشوا في ظل التاج، والذين كانـوا شهود عيـان على خصوصيات العائلة البهلوية وراء الأبواب، كما يورد تقارير وافرة للمراسلين، وآراء المحللين السياسيين المستشرقين، ومذكرات أحد الرهائن الأمريكيين.